عليه السلام

شهادة الحسين

برواية

الطبري



تلخيص وتعليق

السيد محمد حسين الحسيني الجلالي

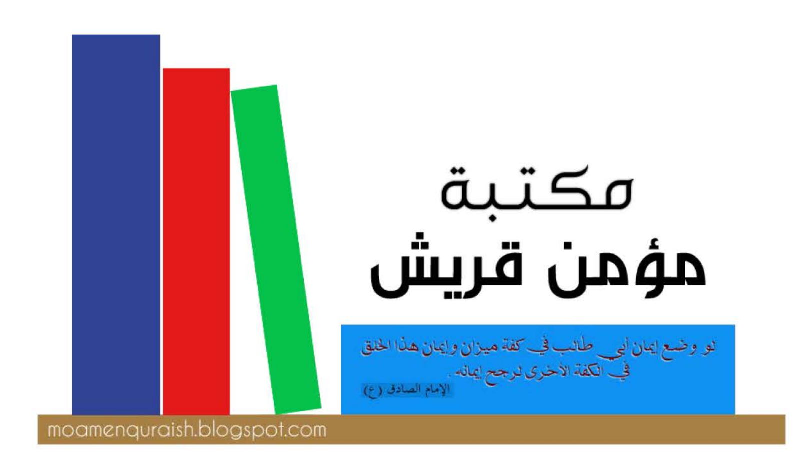
تحقيق وتدقيق

أحمد نعمة الموسوي



ديوان الكتاب

شهادة الحسين عليه السلام



الطبعة الأولى
1427 - 2006



ديوان الكتاب للثقافة والنشر
تلفاكس: 00961 1 451552 ص.ب: 1001/85 - 2010 بيروت - لبنان
E-mail: D.K@dalilalkitab.net diwan_alkitab@hotmail.com
Website: www.dalilalkitab.net

شهادة الحسين عليه السلام

في تسلسلها التاريخي من المنطق حتى المقتل
وموارد الاعتبار

بروایة

محمد بن جرير الطبري (ت 310)

تلخيص وتعليق

السيد محمد حسين الحسيني الجلالي

تحقيق وتدقيق

السيد أحمد نعمة الموسوي

ديوان الكتاب


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الهداة المهديين الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

وبعد،

إن حركة الحسين الإصلاحية والتي سلط عليها الضوء من خلال صفحات هذا الكتاب (شهادة الحسين عليه السلام في تسلسلها التاريخي من المنطلق حتى المقتل وموارد الاعتبار) ما هي إلا مسيرة للثوابت الإسلامية بدأها الحسين من مدينة جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله المدينة المنورة وانتهت بمقتله في صحراء كربلاء والتي لا تبعد كثيراً عن مرقد أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مدينة النجف الأشرف.

كانت مسيرة الحسين هذه تجسيداً حقيقياً لمسيرة جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بكل خطوة خطاها وكل فعل فعله وكل قولٍ قاله،

وهي مسيرة واضحة الأهداف والرؤيا نطق بها الحسين منذُ وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية وتمسك بها حتى مقتله.

جاءت تلك المسيرة وبين طياتها كمٌّ هائل من الدروس والعبر والاعتبار وبالإمكان دراسة تلك المسيرة والتمعن فيها لاستخلاص تلك الدروس والعبر والتي لا تستغني عنها أيةُ قاعدةٍ أو قيادة إذا أرادت وضوح الأهداف والرؤيا.

عملي في هذا الكتاب:

1 ـ كنت قد شُرّفت بكتابة موارد الاعتبار بخط يدي بعد ما كان سماحة السيد الجلالي يملي عليَّ ما يتوفر عندهُ من تلك الموارد حول حركة الحسين الإصلاحية بعد كل موضوع ورد ذكره في رواية الطبري، هذا العمل تطلب مني إعادة النظر في الكتابة تلك وتصحيح الأخطاء الإملائية.

2 ـ لقد قمت بمطابقة ما ورد من نصوص تاريخية في كتاب تاريخ الطبري (ت310) طبعة القاهرة/ 1968 والتي اعتمدها سماحة السيد في ذكر تلك النصوص التاريخية مع طبعة بيروت/ 1998، وقد أوردت كل الفقرات أو الكلمات التي كانت غير واضحة أو ممسوحة في طبعة القاهرة/ 1968.

3 ـ أوردت كل اختلاف وجدته بين الطبعتين وحصرت ذلك الاختلاف بين معقوفتين أمام كل كلمة مختلفة وذكرت ذلك الاختلاف في الهامش.

4 ـ صححت الأخطاء المطبعية التي وقعت في الطبعة الأولية لهذا الكتاب اعتماداً على الطبعتين المذكورتين سابقاً.

ولا بد لي أن لا أنسى أن أشكر زوجتي الفاضلة رباب سعد لمساهمتها في إنجاز تحقيق وتدقيق هذا الكتاب.

عسى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى الله الغني

أحمد نعمة الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم لقاء الله وبعد..

إن مقتل الحسين يمثل نقطة سوداء في تاريخ الإسلام خلفت أثراً عميقاً في الأمة الإسلامية على مختلف قومياتها ومذاهبها، ولا يمكن للباحث المنصف أن يغفل عن دراستها بروحٍ موضوعية لمعرفة الحقيقة وآثارها في التاريخ والحضارة والأدب.

وهذه محاولة متواضعة لقراءة حركة الحسين من المنطلق في مدينة جده الرسول ﷺ حتى مقتله في صحراء كربلاء، وذلك اعتماداً على كتاب تاريخ الطبري المعروف بعنوان تاريخ الرُسل والملوك، تأليف محمد بن جرير الطبري (ت 310)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة 1968 على أمل أن نحصل على نصٍ أوثق.

وحيث إن رواية الأحداث تتداخل في روايات الطبري رأيت الانتقاء منها حسب تسلسل الأحداث مع المحافظة على ترتيب كتاب الطبري ما أمكن، وذلك بالإشارة في الهامش إلى مواضع التقديم والتأخير وإرجاء ما لا يرتبط بسيدنا الحسين إلى آخر الكتاب حسب الترقيم.

وروايات الطبري على الأغلب تمثل ما رواه فلول المشاركين في الجيش المعادي للحسين، وهو على الأغلب لا يمثل رواية أهل البيت أنفسهم، وإن كانت الروايتان تلتقيان في الخطوط العريضة للأحداث، فإن رواية أهل البيت أطول، وخاصة فيما حدث في داخل مخيم الحسين وما جرى بينه وبين أصحابه وأهل بيته وهي تستدعي دراسة مستقلة.

كما أن حركة الحسين تفتقر إلى دراسة من لهُ اختصاص بالتاريخ السياسي والثقافي العام لعصر الحسين والمخططات العسكرية السائدة آنذاك والمتوفرة لأعداء الحسين عسى أن يقوم بها من يجد في نفسه القدرة والكفاءة.

التأكيد الثلاثي

الأحاديث النبوية في أهل البيت كثيرة نكتفي منها بما رواه مسلم في صحيحه بإسناده عن زيد بن أرقم قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ **جمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي...»**.

[صحيح مسلم 7 ـ 120 ـ ط القاهرة 1334]

وهذا الحديث يحدد المراد بأهل بيت النبي، وأيضاً روى مسلم عن رسول الله ﷺ: «**... ألا أيها الناس فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب وأنا تاركُ فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسِكوا به**» فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي أُذكركم الله في أهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي...**»..

[صحيح مسلم 7 ـ 120 ـ ط القاهرة 1334].

إن التأكيد الثلاثي من الرسول القائد بذكر أهل البيت يكشف عن نبوءة صادقة بمصير أهل البيت النبوي ظهرت ملامحها في عصره ﷺ فأوجب التأكيد الثلاثي المباشر من النبي ﷺ الساهر على مصلحة الإسلام والمسلمين وقد أثبتت حركة الحسين وأهل بيته من المدينة حتى مصرعه في كربلاء تجديد مواقف جده رسول الله ﷺ في سيرته من الالتزام بالثوابت الإسلامية.

الحسين

الحسين وما أدراك ما الحسين! تربى في حجر النبوة، وعاصر حوادث الرسالة التي قادها جدهُ الرسول الأعظم ﷺ، وشاهد الأحداث الكبرى بعد وفاته، وشارك في المواقف التي اتخذها أبوه في الحرب، وساند الخطوات التي سار عليها أخوه في السلم، وإن تجربته الشخصية على طول الخط جعلتهُ الشخصية البارزة التي تنعمت بالرؤيا الواضحة للثوابت الإسلامية، فالحسين في حركته جسَّد مسيرة جده النبي ﷺ في تحمل المسؤولية الإسلامية من المنطلق حتى المصير في كل مرحلةٍ من مراحل حياته.

مقتل الحسين عليه السلام

ولقد أصبح مقتل الحسين نقطة سوداء في التاريخ الإسلامي مهما تكاثفت القوى المادية، ليس لأن شهادته أصبحت رمزاً لليقظة والمقاومة والصمود (لنيل إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة) وقد سردت كتب التاريخ مقتل الحسين على أنه حدث تاريخي في مقطع من الزمن وقلَّ من درسها على أنها حركة ذات ثوابت وأهداف شارك فيها الطليعة من المجتمع الإسلامي رجالاً ونساءاً، صغاراً وكباراً بكل وعيٍ ويقظة للظروف والأهداف مستهينة للخسائر المادية في سبيل الله.

روايات المقاتل

وروايات مقتل الحسين شأن كل الروايات التاريخية تمثل وجهتي نظر الغالب والمغلوب على أمره، وهي على الأغلب المصادر التاريخية العامة التي كتبت بأقلام موالية للحكم الأموي والعباسي باستخدامها الشعراء والكتاب السائرة في مواكبها وأهملت صوت أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم الطبقة المحكومة المطاردة شأن كل الأقليات في التاريخ المغلوب على أمرها. وفي مقدمة هذه الروايات، روايات الوحيد الذي نجى من أولاد الحسين، وروايات سبايا أهل البيت عليهم السلام، وفي مقدمتهن زينب الكبرى بطلة كربلاء، ثم روايات موالي أهل البيت في نصوص عابرة، مما يساعدها الاعتبار، ولا ينبغي للباحث المنصف أن يهمله.

هذه الرسالة

وهذه الرسالة نظرة مقتضبة في محاولةٍ سريعة لتفهم حركة الحسين من المدينة حتى كربلاء، أسبابها ومواقفها وأهدافها وموارد الاعتبار فيها حسب التسلسل التاريخي للأحداث، وقد جردتها من موارد الاعتبار من سيرة الإمام الحسين على ما رواه الطبري في تاريخه، ثم عقبتها بنقاط من موارد الاعتبار.

الإسناد

وسندي في رواية الطبري عن شيخي مسند الحجاز علم الدين محمد ياسين الفاداني (ت 1411).

* عن شيخه محمد علي المالكي.
* عن السيد أبي بكر بن محمد شطا.
* عن السيد أحمد بن زيني دحلان.
* عن عثمان بن حسن الدمياطي.

* عن عبد الله بن حجازي الشرقاوي.
* عن الشمس محمد بن سالم الحنفي.
* عن عبد العزيز الزيادي.
* عن الشمس محمد بن العلاء البابلي.
* عن الشيخ سالم بن محمد السنهوري.
* عن محمد بن أحمد الغيطي.
* عن القاضي زكريا بن محمد الأنصاري.
* عن الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
* عن الشيخ أبي الفرج.
* عن يونس بن أبي إسحاق.
* عن أبي الحسن علي بن المقير.
* عن أبي الفتح بن البطي.
* عن أبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي.
* عن الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سيد بن حزم.
* عن أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور.
* عن أبي بكر أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري.
* عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310).

الأسلوب

وقد دعاني إلى جرد هذه الروايات طلب العارف بالله نقيب الأشراف في سوريا الشيخ الأمجد السيد محمد الحسيني حفظه الله في لقاءٍ معه في دمشق حيث جاء من موطنه الحسكة بمناسبة أيام عاشوراء عام 1421 فشكى من غلو ما قرأه من المقاتل فوعدته أن ألخص النصوص التاريخية في تسلسلها التاريخي، كما وردت في تاريخ الطبري الذي يعتبر أقدم التواريخ الموجودة المتيسرة.

وعقبت روايات الطبري ببعض الملاحظات المقتضبة التي ليست سوى انطباعات شخصية في قراءة سريعة لمعرفة الحقيقة في مواقف الحسين ومواقف أعدائه، على أن يلحق بموارد الاعتبار في سيرة النبي المختار وأهل بيته الأطهار وقد استجبت في ذلك رغبة شيخي العارف بالله بقية السلف الشيخ السيد محمد الحسيني، لما رأيتُ ذلك أداءً لواجب مودة القُربى التي أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾. **[سورة الشورى: 23]**.

وقد جعلته في خمسة فصول:

1. المنطلق: من المدينة إلى مكة 28 رجب 60 هـ.
2. سفارة مسلم في الكوفة 5 شوال 60 هـ 8 ذي الحجة 60 هـ.
3. مسيرة كربلاء والمنازل 8 ذي الحجة ـ 2 محرم 61 هـ.
4. عاشوراء قمة الصراع ومقتل الحسين 10 محرم 61 هـ
5. أسارى أهل البيت ما بعد معركة كربلاء.

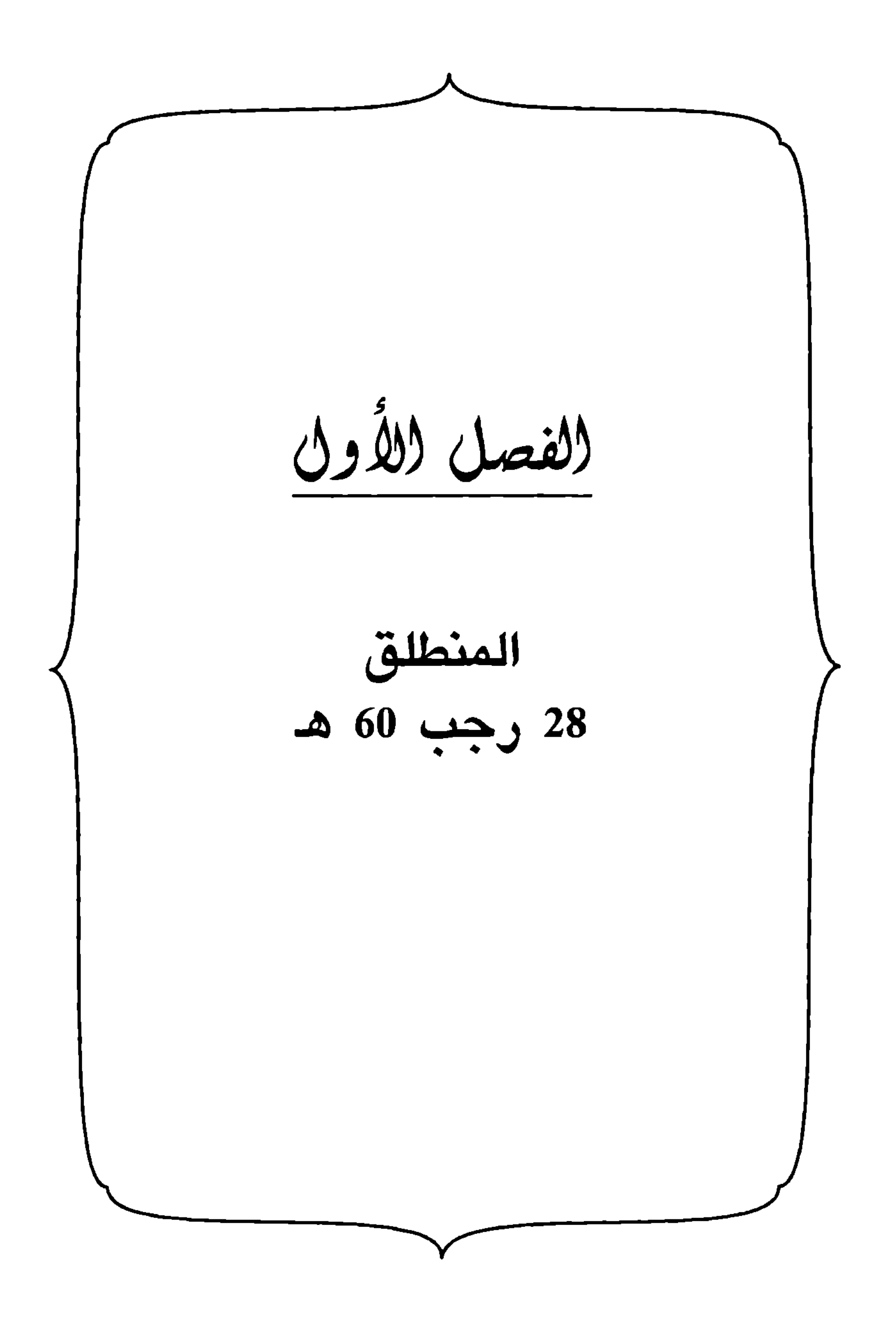
عسى أن تكون هذه الرسالة تطبيقاً للتأكيد الثلاثي من الرسول القائد: «**أذكركم الله في أهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي**». وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب.

الفقير إلى الله

محمد حسين الحسيني

الجلالي

أحسن الله إليه



الفصل الأول

المنطلق

28 رجب 60 هـ

المنطلق
28 رجب هـ
خلافة يزيد بن معاوية

رواية الطبري:

وفي هذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه، للنّصف من رجب في قول بعضهم، وفي قول بعض: لثمان بقين منه ـ على ما ذكرنا قبل من وفاة والده معاوية ـ فأقر عُبيد الله بن زياد على البصرة ـ والنُّعمان بن بشير على الكوفة.

وقال هشام بن محمد، عن أبي مخنف، ولّى يزيد في هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيّان، وأمير الكوفة النّعمان بن بشير الأُنصاري، وأمير البّصرة عبيد الله بن زياد، وأمير مكّة عمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلاّ بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه ولى عهده بعده، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم

من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد،

فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوله، ومكّن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات براً تقياً، والسلام».

وكتب إليه صحيفة كأنها أُذُن فأرة:

«أما بعد،

فخذ حُسيَناً و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخصة حتى يبايعوا، والسلام».

فلما أتاه نعي معاوية فظع به، وكبُر عليه، فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه ـ وكان الوليد يوم قدم المدينة ـ قدمها مروان متكارهاً ـ فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان، فجلس عنه وصرمه، فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد، فلما عظُم على الوليد هلاكُ معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى مروان، ودعاه، فلما قرأ عليه كتاب يزيد، استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد في الأمر وقال: كيف ترى أن نصنع؟ قال: فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم. وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمنابذة، ودعا إلى نفسه لا أدري، أما ابنُ عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أنه يُولّى على الناس إلا أن يُدفَع إليه هذا الأمر عفواً. فأرسل عبد الله بن عمر بن عثمان ـ وهو إذ ذاك غلامٌ حدث ـ إليهما

يدعوهما. فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد، يجلس فيها للناس. ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا، الأميرُ يدعوكما. فقال له: انصرف الآن نأتيه. ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظُن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال الحسين: قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر؛ فقال: وأنا ما أظنّ غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمّع فتياني الساعة. ثم أمشي إليه، فإذا بلغتُ الباب احتسبتهم عليه. ثم دخلت عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت. قال: لا آتية إلا وأنا على الامتناع قادر. فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخلٌ. فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتحموا علي بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم. فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالسٌ عنده، فقال حسين كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما! فلم يجيباه في هذا بشيء، وجاء حتى جلس. فأقرأه الوليد الكتاب، ونعى له معاوية، ودعاه إلى البيعة. فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله معاوية، وعَظم لك الأجر! أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يُعطي ببيعته سراً، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؛ قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً؛ فقال له الوليد ـ وكان يحب العافية: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس؛ فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يُبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه؛ فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يابن الزرقاء، أنت

تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت، ثم خرج فمر بأصحابه، فخرجوا معه حتى أتى منزله. فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبخْ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا ومُلكها، وأني قتلتُ حُسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع! والله إني لا أظن امرأً يُحاسبُ بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة. فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه[1].

موارد الاعتبار:

1 ـ مات معاوية في 15 رجب 60 هـ وجلس ابنه يزيد مكانه باسم خليفة المسلمين. وكان هذا الحدث مثاراً للجدل من الرأي العام الإسلامي ومرفوضاً من الصحابة لأنه إهمال لمادة الشورى والكفاءة في الحكم الإسلامي والحاكم المسلم ولم يستخلف أحدٌ من الخلفاء أولادهم في الخلافة، وكان الرأي العام يركز على موقف الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ باعتباره سيد أهل البيت والرمز البارز.

2 ـ وكانت السلطة على علم كامل بكل هذه الملابسات لما بايعوا يزيد بن معاوية، لذلك لم تكن مفاجئة حينما وجه يزيد كتاباً إلى والي المدينة ابن عمه الوليد بن عتبه بن أبي سفيان، بأخذ البيعة من أهالي المدينة وخاصة الحسين وفي

---

(1) بعد هذا المقطع جاء خبر ابن الزبير، راجع الملحق الأول في آخر الكتاب.

كتابٍ منفصل، وإن أبى الحسين فليضرب عنقه وامتنع الوالي أن يقتل الحسين وقال: والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً سبحان الله. أقتل حسيناً أن قال لا أبايع؟!! وهذا الكلام يكشف عن تلاحم الرأي العام مع مواقف الحسين سواءً قالها الوالي اعتقاداً أو سياسةً للرأي العام.

3 ـ إن الوالي لعلمه بالظروف كان لا يريد الاستعجال لاندلاع الثورة الإسلامية بل أراد جس النبض فبعث في الليل إلى الحسين مستعرضاً الرسالة وكان في جواب الإمام ما يكشف عن ذلك حيث قال: إني أراك لا تقنع ببيعتي سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس.

فقال الوليد: أجل.

فقال الحسين: نصبح ونرى...

4 ـ إن الحسين فوت بذلك دعاية السلطة مؤكداً أن رفض البيعة إنما هو لأمر مبدئيّ عقائدي باعتباره رمز بيّن النبوة، كما تبين سيرته عند الوداع، وبذلك فوت الفرص للوقيعة به في ظلام الليل ولم يبق مجال لهم للقول بأن الإمام له عداوة شخصية ليزيد أو معاوية.

5 ـ إن الحسين كان على معرفة كاملة بأهداف وخطط السلطة حيث لم يستجب دعوة الوالي بمفرده بل اصطحب جماعة من أهل بيته ومواليه، وكانوا ثلاثين رجلاً وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه وهو غيرُ مأمونٍ،

فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني فلما اجتمعا نعى الوليد معاوية، وكان كما ارتقب الإمام فقال الحسين: «**رحم الله معاوية وعظم الله لك الأجر**» واسترجع.

المقاطعة 28 رجب 60 هـ ليلاً:

رواية الطبري: فخرج حسين من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين.

وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة، خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع، فبينا عبد الله بن الزبير يساير أخاه جعفراً إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكــلّ بــنــي أمّ سَــيُــمْــسُــون لــيــلــةٌ
ولــم يَـبْـق مــن أعــقــابِــهــم غَـيْـرُ واحـدِ

فقال عبد الله: سبحان الله، ما أردت إلى ما أسمعُ يا أخي! قال: والله يا أخي ما أردتُ به شيئاً مما تكره. فقال: فذاك والله أكره إلى أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد ـ قال: وكأنه تطير منه ـ وأما الحُسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته. إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له: يا أخي، أنت أحب الناس إلي، وأعزهم عليّ، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك. تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رُسُلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدتُ الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقُص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يُذهب به مروءتك ولا فضلك. إني أخاف أن تدخل

مِصراً من هذه الأمصار وتأتي جماعةٌ من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة. فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً. قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدارُ فسبيل ذلك، وإن نبت بل لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين يستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي، قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعد المقبُري، قال «**نظرت إلى الحسين داخلاً مسجد المدينة وإنه ليمشي وهو معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة، وهو يتمثل بقول ابن مفزع:**

لاذَعَـرْتُ الـسّـوامَ فـي فَـلَـق الـصـبْـ
حِ مُـغـيـراً ولاذُعـيـتُ يـزَيـدا
يـومَ أعْـطَـى مـن الـمـهـابـةِ ضَـيـمـاً
والـمـنَـايَـا يَـرْصُـدْنَـنِـي أن أحـيـدا

قال: فقلت في نفسي: والله ما تمثّل بهذين البيتين إلا لشيء يريد، قال: فما مكث إلاّ يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة.

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال: بايعْ ليزيد، فقال: إذا بايع الناسُ بايعت؛ فقال رجل: ما يمنعك أن تبايع؟ إنما تريد أن

يختلف الناسُ فيقتلوا ويتفانوا، فإذا جهدهم ذلك قالوا: عليكم بعبد الله بن عمر، لم يبق غيره، بايعوه! قال عبد الله: ما أحبّ أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا، ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيري بايعتُ، قال: فتركوه وكانوا لا يتخوفونه.

قال: ومضى ابن الزبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخل مكة قال: إنما أنا عائذ، ولم يكن يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، كان يقف هو، أصحابه ناحية، ثم يفيض بهم وحده، ويصلي بهم وحده، قال: فلما سار الحسين نحو مكة. قال: **«فخرج منها خائفاً يترقب قال: رب نجني من القوم الظالمين»** فلما دخل مكة قال: **«ولما توجه تلقاء مدين قال: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل»**[1].

موارد الاعتبار:

1 ـ قرر الإمام الحسين الخروج ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب وكانت أمام الحسين من الخيارات:

أولاً: الاستسلام والبيعة وذلك نقض لأهداف الحكم في الإسلام من الثوابت الإسلامية في الحكم بالشورى وبالحاكم للأهلية للخلافة وهو أمرٌ مرفوض بالطبع.

ثانياً: البقاء في المدينة مع وجود خطر القضاء عليه وهو خطر قائم من قبل السلطة المسلحة ما دام على موقفه الرافض من الاستسلام.

ثالثاً: الذهاب إلى ناحية مجهولة والمفروض أن عيون يزيد

(1) راجع الملحق الثاني في آخر الكتاب

تراقبه ولا شك أنها تقضي عليه بحجج مفتعلة مع أن هدف الحسين لم يكن المحافظة على نفسه إذا تطلب منه الجهاد.

رابعاً: الخروج إلى مكة حيث موسم الحج وتواجد الوفود من مختلف البلاد الإسلامية لبيان موقفه الإسلامي حيث يتمكن الإمام من ذلك لكي يتبين الموقف للرأي العام بكل الملابسات.

2 ـ وفي رواية أهل البيت أن الحسين ذهب إلى قبر جده الرسول ﷺ قائلاً: «**بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد خرجت من جوارك كرهاً وفرق بيني وبينك، وأخذت قهراً أن أبايع يزيد شارب الخمور وراكب الفجور وإن فعلتُ كفرت وإن أبيتُ قتلت فها أنا خارجٌ من جوارك كرهاً فعليك مني السلام يا رسول الله ﷺ**».

والوداع لقبر جده أمرٌ طبيعي يعتادهُ أهل البيت وخاصة في مثل هذه الظروف الصعبة.

3 ـ وأيضاً وزع الحسين المسؤوليات الرسالية بين أقاربه وأنصاره وكتب وصيته كما هي عادة أهل البيت وقد روى الخوارزمي الوصية التالية لأخيه محمد بن حنفية وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية: إن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدهُ ورسوله جاء بالحق من عند الله وأن الجنة حق والنار حق والساعة

أتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

[بحار الأنوار 44 ـ 329]

وخرج الحسين في جوف الليل وسلك الطريق العام ولما سُئل لما لم تتنكب الطريق؟ فقال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض.

4 ـ ومن هذه الوصية تظهر الأهداف التالية لحركة الحسين:

أولاً: طلب الإصلاح في الأمة الإسلامية.

ثانياً: أداء المسؤولية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: تطبيق سيرة النبي ﷺ.

وقد ربط الإمام في وصيته بين هذه النقاط الثلاث باعتبار أن ذلك يرتبط ارتباطاً مباشراً بالحكم الإسلامي القائم على الشورى وكفاءة الحاكم، وهما مفقودان في شخص يزيد وحكمه.

5 ـ إن خروج الإمام في الليل له دلالة واضحة على القرار الشخصي المفاجئ، لما يتحسسه من السلطة وسلك الإمام الطريق العام، حيث يكون في مرأى ومسمع للناس لكل ما

قد تفاجئه السلطة به، وحينما اقترح على الإمام بأن يتنكب الطريق الأعظم قال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 21]

مما يكشف عن وعي كامل مما قد تلفقه السلطة وتخطط له فيما لو تنكب الطريق وسلك طريقاً مفرداً يجعله هدفاً للقضاء عليه قبل أن يصل إلى مقصده.

ولما سُئل: أين تريد فقال عليه السلام: «**أما الآن فمكة وأما بعد فاستخيرُ الله**» حيث لم يتخذ القرار النهائي ما عدا مكة.

في مكة
3 شعبان 60 هـ

رواية الطبري: وفي هذه السنة وجه أهل الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكة يدعونه إلى القدوم عليهم، فوجه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وأما أبو مخنف فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخوصه إلى الكوفة ومقتله قصة هي أشبه وأتم من خبر عمار الدهني عن أبي جعفر الذي ذكرنا، ما حُدثت عن هشام بن محمد، عنه، قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: حدثني عُقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة حسين، وكانت مع سُكينة ابنة حسين، وهو مولى لأبيها، وهي إذ ذاك صغيرة، قال: خرجنا فلزمنا الطريق الأعظم. فقال للحسين أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب، قال: لا، والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب إليه، قال: فاستقبلنا عبد الله بن مُطيع فقال للحسين: جُعلت فداك! أين تريد؟ قال: أما الآن فإني أريد مكة. وأما بعدها فإني أستخير الله، قال: خار الله لك، وجعلنا فداك؛ فإذا أنت أتيت

---

(1) نقلنا ما يتعلق بمسلم بن عقيل إلى الفصل الثاني

مكة فإياك أن تقرب الكوفة. فإنها بلدة مشؤومة؛ بها قُتل أبوك؛ وخُذِل أخوك؛ واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه؛ الزم الحرم؛ فإنك سيدُ العرب، لا يعدل بك والله أهلُ الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك.

فأقبل حتى نزل مكة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة، فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف، ويأتي حُسيناً فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كل يومين مرة، ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد، وأن حسيناً أعظم في أعينهم وأنفسهم منه، وأطوعُ في الناس منه.

فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق بيزيد، وقالوا: قد امتنع حسين وابن الزبير، ولحقا بمكة، فكتب أهل الكوفة إلى حسين، وعليهم النعمان بن بشير.

قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني، قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صُرّد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه، قالوا: لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب ابن نجية ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى تلحقه بالشام إن شاء الله. والسلام ورحمة الله عليك.

قال: ثم خرجنا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني و عبد الله بن وال، وأمرناهما بالنجاء؛ فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر مضين من شهر رمضان بمكة، ثم لبثنا يومين، ثم سرحنا إليه قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله ابن الكدن الأرحبي وعمارة بن عبيد السلولي، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة؛ [الصحيفة] من الرجل والإثنين والأربعة.

قال: ثم لبثنا يومين آخرين، ثم سرحنا إليه هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبنا معهما:

بسم الله الرحمن الرحيم

لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فحيهلا، فإن الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك.

وكتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن روتم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي:

أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وصمت الحمام فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند. والسلام عليك.

موارد الاعتبار:

1 - وصل الحسين مكة في 3 شعبان 60 هـ ومكة المكرمة باعتبارها مركز التجمع الإسلامي معلناً معارضته لخلافة يزيد بالوسائل المتيسرة طيلة إقامته بها أربعة أشهر وخمسة أيام حتى الثامن من ذي الحجة 60هـ.

2 - خلال فترة تواجد الإمام التقت جموع المعارضة من أهالي مكة وغيرهم من أهالي الآفاق، ووصلته رسائل التأييد من مختلف الطبقات والبلدان والإمام لم يعر اهتماماً بكل ما يرده سوى من يثق بهم لمعرفته بماضيهم حسب تجربته الطويلة في أيام والده وأخيه وكان يعلم أن هناك من المنافقين الذين دخلوا صفوف المعارضة ليضربوها من الداخل أو يغيروا مسيرتها لذلك لم يأخذ بنظر الاعتبار إلا الخلص من أصحابه كسليمان بن صرد والمسيب بن نجية

وحبيب بن مظاهر الأسدي.

3 ـ إن توجه الرأي العام من أهالي مكة وأهل الآفاق كان التذمر من ابن الزبير لأن (حسيناً أعظم في أعينهم وأنفسهم منه وأطوع في الناس منه) فإن النقاط الثلاث من كون الحسين أعظم في الأعين والأنفس وأطوع تكشف عن خيار الرأي العام على أساس قيادة وخلافة عقائدية لا قيادة سياسية وقتية، ومن هنا كان الحسين (أثقل خلق الله على ابن الزبير) كما في الرواية.

4 ـ موقف الإمام تجاه الكتب والرسل كان موقفاً حصيفاً.

أولاً: (تلاقت الرسل كلها عنده) فلم يسمع الإمام من طائفة خاصة بل فتح الباب لكل الناس وجعل الحرية لمختلف الطبقات في التعبير عن آرائهم.

ثانياً: (قرأ الكتب والرسائل) فكان له الإشراف المباشر على قراءة ما يصل مكتبه من الكتب والرسائل التي تعبر عن شخصية المراسلين.

ثالثاً: (سأل الرسل عن أمر الناس) فإن الهدف في تطبيق الحكم الإسلامي لا يكون إلا بعد موافقة الرأي العام والأغلبية فإن أي حكم لا يحترمه الأغلبية لا بد وأن يؤول بالفشل، وبهذه المواقف الثلاثة كان الإمام يكشف عن شخصية المراسلين من معرفة ماضيهم في عهد أبيه وأخيه ووسائلهم من الاندساس في صفوف المعارضة وأهدافهم الشخصية والسياسية.

5 ـ إن الإمام لم يأخذ قرار الحركة نحو العراق إلا بعد رسالة

سليمان بن صرد والمسيب بن نجية وحبيب بن مظاهر ولم يستجب لهذه الدعوة إلا بعد التأكد حيث أرسل سفيره لاستطلاع الرأي وقد أثبت التاريخ فيما بعد مواقف هؤلاء في الولاء لآل البيت والتزامهم بمواقف الحسين.

رسالة مفتوحة

رواية الطبري:

وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب، يسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب مع هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخر الرسل:

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين.

أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم. وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم. فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رُسُلكم، وقرأت في كتبكم. أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله. والسلام.

قال أبو مخنف: وذكر أبو المخارق الراسي، قال: اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد ـ أو منقذ ـ أياما، وكانت تشيع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدثون فيه، وقد بلغ ابن زياد إقبالُ الحسين، فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق.

وموارد الاعتبار:

1 ـ إن الحسين لم يرد على الرسائل التي وصلته من الكوفة رداً خاصاً بل أجاب الرسائل كلها برسالةٍ مفتوحة جواباً عاماً شاملاً موجهاً إلى «**الملأ من المؤمنين والمسلمين**» من دون أي تخصيص يمتاز به أحد الرسل فلم يبق مجال لدعوى أحد بالخصوص وبالطبع لا يكون الجواب معنياً لمن لا يكون من الملأ أو من المؤمنين أو من المسلمين للتحديد المذكور.

2 ـ شرح الحسين في الجواب مضمون الرسائل التي استلمها من قبل سواء كتابةً أو شفهاً ومضمونها «**ليس علينا إمام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق**».

3 ـ إن هذا المضمون كان معبراً عن الرأي العام للشعب «**مقالة جلكم**» وفي ظل حالةٍ كهذه كان للحسين ثلاثة خيارات:

أولاً: رفض الطلب وهذا ينافي الواجب الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: القبول من دون تريث وهذا يستلزم طلب السلطة للسلطة.

ثالثاً: القبول مع التحفظ حتى تظهر الحقائق.

4 ـ اختار الحسين الخيار الثالث مبنياً على شروط تكشف عن قبوله الطلب بتحفظ وذلك بشرح وتحديد مسؤوليات الإمام بقوله: «**فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله**».
وهذه الأركان لقبوله والأهداف الرئيسية لحركة الحسين التي هي أداء للمسؤولية الإسلامية.

5 ـ لم يعتمد الحسين على أية من هذه الرسائل ولا الرسل بل أرسل سفيراً خاصاً من جانبه هو ابن عمه مسلم بن عقيل مع آخرين ليتحرى الواقع وبيان الظروف باستطلاع الحقيقة وإبلاغ الحسين بالنتائج حتى يتخذ قراره الأخير.

حقيقة الموقف

رواية الطبري:

قال: فأجمع يزيد بن نُبيط الخروج ـ وهو من عبد القيس ـ إلى الحسين، وكان له بنون عشرة، فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبد الله و عبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعتُ على الخروج، وأنا خارج، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لهان على طلب من طلبني.

قال: ثم خرج فتقدى، في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام، فدخل في رحله بالأبطح، وبلغ الحسين مجيئه، فجعل يطلبه، وجاء الرجل إلى رحل الحسين، فقيل له: قد خرج إلى

منزلك، فأقبل في أثره، ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره، وجاء البصري فوجده في رحله جالساً، فقال: «**بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**» قال: فسلم عليه، وجلس إليه، فخبره بالذي جاء له، فدعا له بخير، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه، فقتل معه هو وابناه.

موارد الاعتبار:

1 ـ يكشف عن حقيقة الموقف ما كتبه ابن زياد إلى عامله بالبصرة «**أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق**» وهاتان النقطتان تعنيان التجسس على تحركات الناس وتفتيش المسافرين في الطريق لأن لا تتلاحم القوى المساندة لحركة الحسين.

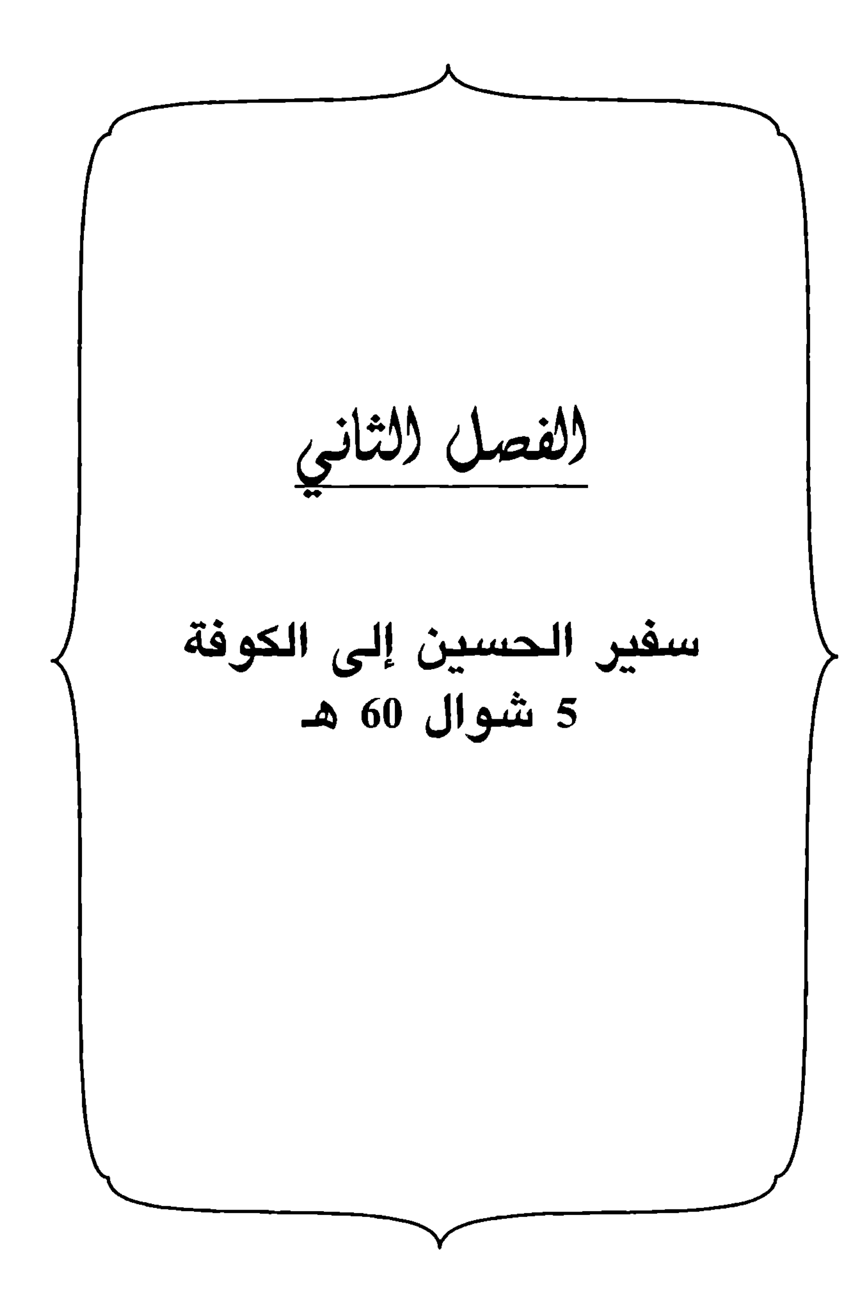
2 ـ بالرغم من هذه الرقابة المشددة وشبكة التجسس على المناظر والطرق تمكن بعض المسلمين المؤمنين بحركة الحسين من الالتحاق بالركب أو الحركة منهم بن نبيط القيسي وابناه عبد الله و عبيد الله وتمكنوا من الالتحاق بالحسين في الأبطح وهو قرب مقبرة المعلى في مكة المكرمة.

3 ـ التحاق بنو قيس هؤلاء يكشف عن نسبة المستعدين للالتحاق بالحركة فإن القيسي كان له (بنون عشرة فقال أيكم يخرج معي فانتدب له ابنان) وهي نسبة عشرون بالمئة بالعائلة الوحيدة.

4 ـ اهتمام كلّ من القيسي والإمام بزيارة الآخر يكشف عن مدى اهتمام الحسين بأصحابه حيث إن هذا القيسي أثبت

صدق دعواه بالحضور وتجاوز كل المخاطر والقيود العسكرية في حين لم يجب إجابة شخصية لعلمه بأنها دعاوى مجردة عن الالتزام والعمل.

5 ـ التحاق بنو قيس هؤلاء بركب الحسين في مكة يكشف عن انتشار فكرة الحسين وحركته في صفوف الحجاج من كل البلاد الإسلامية الذين حضروا مكة في موسم الحج.



الفصل الثاني

سفير الحسين إلى الكوفة
5 شوال 60 هـ

سفير الحسين
5 شوال 60 هـ

رواية الطبري:

ذكر الخبر عن مراسلة للكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

حدثني زكريا بن يحيى الضرير، قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي ـ ويكنى أبا الوليد ـ قال: حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسري، قال: حدثنا عمار الدهني، قال: قلت لأبي جعفر: حدثني بمقتل الحسين حتى كأني حضرته، قال: مات معاوية والوليد بن عُتبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن علي ليأخذ بيعته، فقال له: أخرني وارفق، فأخره فخرج إلى مكة، فأتاه أهل الكوفة ورُسُلهم: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا ـ وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة. قال: فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلي، فإن كان حقاً خرجنا إليهم. فخرج مسلم حتى أتى المدينة. فأخذ منها دليلين، فمرا به في البرية، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وكتب مسلم إلى الحسين

يستعفيه، فكتب إليه الحسين: أن امض إلى الكوفة.

فخرج حتى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة، قال: فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبّوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً، قال: فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنك ضعيف أو متضعف، قد فسد البلاد! فقال له النعمان: أن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك سراً ستره الله.

فكتب بقول النعمان إلى يزيد، فدعا مولى له يقال له: سرجون، وكان يستشيره، فأخبره الخبر، فقال له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حياً؟ قال: نعم، قال: فاقبل مني؛ فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فولها إياه ـ وكان يزيد عليه ساخطاً، وكان هم بعزله عن البصرة ـ فكتب إليه برضائه، وإنه قد ولاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده.

قال: فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً، ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا: السلام عليك يا بن بنت رسول الله ـ وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليه السلام ـ حتى نزل القصر، فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف، وقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع له أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر، وهذا مال تدفعه إليه ليتقوى. فلم يزل يتلطف ويرفق به حتى دُل على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة، فلقيه فأخبره، فقال له الشيخ: لقد سرني لقاؤك إياي، وقد ساءني؛ فأما ما سرني من ذلك فما هداك الله له. وأما ما ساءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد، فأدخله إليه، فأخذ منه المال وبايعه، ورجع إلى عبيد الله فأخبره.

فتحول مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها إلى منزل هانئ بن عروة المرادي، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي عليه السلام يخبره ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم. وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة: مالي أرى هانئ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني! قال: فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب داره، فقالوا: إن الأمير قد ذكرك واستبطاك، فانطلق إليه، فلم يزالوا به حتى ركب معهم وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي. فلما نظر إليه قال لشريح: «**أتتك بحائن رجلاه**»، فلما سلم عليه قال: يا هانئ أين مسلم؟ قال: ما أدري، فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه، فلما رآه قُطع به، فقال: أصلح الله الأمير! والله ما دعوته إلى منزلي، ولكنه جاء فطرح نفسه علي: قال: ائتني به. قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه. قال: أدنوه إلي، فأدني فضربه على حاجبه فشجه. قال: وأهوى هانئ إلى سيف شرطي ليسله، فدفع عن ذلك. وقال: قد أحل الله دمك، فأمر به فحبس في جانب القصر.

وقال غير أبي جعفر: الذي جاء بهانئ بن عروة إلى عبيد الله بن زياد عمرو بن الحجاج الزبيدي.

ذكر من قال ذلك: حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا أبو قتيبة، قال: حدثنا يونس ابن أبي إسحاق، عن العيزار بن حريث. قال: حدثنا عمارة بن عقبة ابن أبي معيط، فجلس في مجلس ابن زياد فحدث، قال: طردت اليوم حمراً فأصبت منها حماراً فعقرته، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي: إن حماراً تعقره أنت لحمار حائن؛ فقال: ألا أخبرك بأحين من هذا كله! رجل جيء بأبيه كافراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر به أن يضرب عنقه، فقال: يا محمد فمن

للصبية؟ قال: النار، فأنت من الصبية، وأنت في النار، قال: فضحك ابن زياد.

رجع الحديث إلى حديث عمار الدهني؛ عن أبي جعفر. قال: فبينما هو كذلك إذ خرج الخبر إلى مذحج؛ فإذا على باب القصر جلبة سمعها عبيد الله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج، فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم أني إنما حبسته لأسائله، وبعث عيناً عليه من مواليه يسمع ما يقول، فمر بهانئ بن عروة، فقال له هانئ: اتق الله يا شريح، فإنه قاتلي، فخرج شريح حتى عام على باب القصر. فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرقوا، فأتى مذحج، مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدم مقدمته، وعبى ميمنته، وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد الله، وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائرهم فجعلوا يكلمونهم ويردونهم فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسى في خمسمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً.

فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني فسقته، ثم دخلت فمكثت ما شاء الله، ثم خرجت فإذا هو على الباب؛ قالت: يا عبد الله، إن مجلسك مجلس ريبة، فقم؛ قال: إني أنا مسلم بن عقيل ؛ فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم، ادخل، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره، فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي ـ وكان صاحب شرطة ـ إليه، ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث،

فلم يعلم مسلم حتى أُحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبدالرحمن الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيد الله، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه، وألقى جُثته إلى الناس، وأمر بهانئ فسُحب إلى الكناسة، فصلب هنالك، وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانئ في السوق وابن عقيل
أصابهما أمرُ الإمام فأصبحا
أحاديث من يسعى بكل سبيل
أيركبُ أسماءُ الهماليج آمناً
وقد طلبتهُ مدججُ بذُحول!

وفي صفحة 351 ذكر الطبري سفارة مسلم بن عقيل برواية أبي مخنف التي وصفها بقوله: «**هي أشبع وأتم من خبر عمار الدهني عن أبي جعفر...**» قال الطبري ما نصه:

ثم دعا مسلم بن عقيل فسرحهُ مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وودع من أحب من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلا الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتى تنتهي إلى الماء، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً. فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى

حسين، وذلك بالمضيق من بطن الخبيت:

أما بعد، فإني أقبلتُ من المدينة معي دليلان لي، فجارا عن الطريق وضلا، واشتد علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يُدعى المضيق من بطن الخبيت، وقد تطيرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه، وبعثت غيري، والسلام.

فكتب إليه حسين:

أما بعد، فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامضِ لوجهك الذي وجهتك له. والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب: هذا ما لست أتخوفه على نفسي، فأقبل كما هو حتى مر بماء لطيئ، فنزل بهم. ثم ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد، فنظر إليه قد رمى ظبياً حين أشرف له، فصرعه، فقال مسلم: يقتل عدونا إن شاء الله، ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار ابن أبي عبيد ـ وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب ـ وأقبلت الشيعة تختلف إليه؛ فما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون.

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله.

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي، فقال: رحمك الله! قد قضيت ما في نفسك، بواجز من قولك؛ ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه.

ثم قال الحنفي ذلك، فقال الحجاج بن علي: فقلت لمحمد بن بشر: فهل كان منك أنت قول؟ فقال: إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب.

واختلفت الشيعة إليه حتى عُلِمَ مكانه، فبلغ ذلك النعمان بن بشير.

موارد الاعتبار:

1 ـ قرر الحسين إرسال من يستطلع حقيقة الموقف من قرب واختار لهذه المهمة ابن عمه مسلم بن عقيل ليستطلع من الحالة بالاتصال المباشر بالملأ من المؤمنين والمسلمين وأرسلهُ في جماعة مكونة من ثلاثة أشخاص هم:

* قيس بن مسهر الصيداوي.

* عمارة بن عبيد السلولي.

* عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي.

2 ـ دعا الحسين مسلم بن عقيل «**فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك**»، فإن هذه النقاط الأربع من التقوى والكتمان واللطف واجتماع الناس مستوثقين هي واجبات السفير وقد أداها مسلم حرفياً كما يظهر من حياته.

3 ـ سفارة مسلم كانت بصحبة آخرين تكون لجنة معتمدة

للشورى في تطبيق القواعد الأربع التي وجههم الحسين بها وقد أضيف إلى اللجنة دليلان من قيس فصاروا خمسة أفراد.

4 - خرج مسلم من مكة سفيراً للحسين متحلياً بالآداب الإسلامية «**فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله وودع من أحب من أهله واستأجر دليلين**»، فإن الصلاة والوداع واستئجار دليلين آداب إسلامية تجاه الله والأهل والطريق بحيث لو ضل أحد الدليلين ساعده الآخر.

5 - لم يتسلم مسلم رسالة خاصة إلى شخص خاص في الكوفة، وإن اضطر إلى النزول في دار المختار «**وأقبلت الشيعة تختلف إليه فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فأخذوا يبكون**» فالرسالة كانت رسالة مفتوحة عامة.

موقف يزيد

رواية الطبري

قال أبو مخنف: حدثني نُمير بن وعلة، عن أبي الوداك؛ قال: خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما يهلك الرجال، ويسفك الدماء، وتُغصب الأموال - وكان حليماً ناسكاً يحب العافية - قال: إني لم أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب علي، ولا أشاتمكم، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ

بالقرف ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم إن أبدبتم صفحتكم لي، ونكثتم ببيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل.

قال: فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأيُ المستضعفين، فقال: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبُ إلي من أن أكون من الأعزين في معصية الله، ثم نزل.

وخرج عبد الله بن مسلم، وكتب إلي يزيد بن معاوية:

أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعف. فكان أول من كتب إليه.

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثم كتب إليه عمر بنُ سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك.

قال هشام: قال عوانة: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك؟ فإن حسيناً قد توجه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين: وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيّىء ـ وأقرأه كتبهم ـ فما ترى، من أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد؛ فقال سرجون: أرأيت معاوية لو نُشر لك، أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال: هذا رأي

معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب. فأخذ برأيه وضم المصرين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهده على الكوفة.

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي ـ وكان عنده ـ فبعثه إلى عبيد الله بعهده إلى البصرة، وكتب إليه معه:

أما بعد، فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين؛ فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه؛ والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة، فأمر عبيد الله بالجهاز والتهيؤ والمسير إلى الكوفة من الغد.

موارد الاعتبار:

1 ـ كانت سياسة السلطة المتمثلة بوالي الكوفة النعمان بن بشير سياسة لينة تجاه حركة الحسين فهو يدعو إلى اللين بقوله «**لا تسارعوا إلى الفتنة**» وفي نفس الوقت يهدد بقوله: «**لأضربنكم بسيفي**» وذلك ليكسب الوقت حتى يصله القرار الحاسم من القيادة العليا المتمثلة بيزيد بن معاوية في دمشق.

2 ـ إن دعاة الشدة في المواجهة في السلطة كانت ترى هذا الموقف ضعيفاً في السلطة فأرادت الردع السريع منهم عبد الله الحضرمي حليف بني أمية قام فقال: «**إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين**».

3 ـ قرار القمع كان قراراً مسبقاً مدروساً احتياطاً من قبل السلطة

العليا حيث أظهرهُ سرجون مولى معاوية. فقال سرجون مخاطباً يزيد بن معاوية: «**أرأيت معاوية لو نشر لك أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم فاخرج عهد عبيد الله [ابن زياد] على الكوفة فقال هذا رأي معاوية ومات**».

4 ـ قد ترجحت كفة المتشددين في السلطة بأمرٍ قيادي من شخص يزيد بن معاوية جاء فيه مخاطباً ابن زياد (فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه) حيث جعل هذه الخيارات الثلاث بالترتيب، فالحبس أولاً إن أمكن لغرض استجوابه، وإن لا يمكن فالقتل وإن لا يمكن لكثرة المعارضين فالنفي والتبعيد.

موقف ابن زياد

رواية الطبري:

وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً؛ قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي، قال: كتب حسين مع مولى لهم يقال له: سليمان، وكتب بنُسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف؛ فكتب إلى مالك بن مسمع البكري، وإلى الأحنف بن قيس؛ وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس ابن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها:

أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه

وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قول وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمه، غير المنذر بن الجارود، فإنه خشي بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبيد الله، فجاءه بالرسول من العشية التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة، وأقرأه كتابه، فقدم الرسول فضرب عنقه، وصعد عبيد الله منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فوالله ما تُقرن بي الصعبة، ولا يُقعقع لي بالشنان، وإني لنكل لمن عاداني، وسم لمن حاربني، أنصف القارة من راماها. يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد ابن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريقه ووليه، ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم.

موارد الاعتبار:

1 ـ اختار ابن زياد أن يتحرك من البصرة إلى الكوفة مستصحباً معه بالإضافة إلى جيشه رجلاً من قادة الشيعة (شريك بن

الأعور) وكان شيعة لعلي فكان أول من سقط بالناس شريك فيقال إنه تساقط غمرةً ومعه ناس، مما يكشف أن استصحابه كان لغرض سياسي للفصل بين هذا القائد الشيعي وقاعدته وإنهم اكتشفوا هذه الخطة في الطريق (فتساقط غمرةً ومعه ناس).

2 ـ خطط ابن زياد لمواجهة مسلم بن عقيل بالطرق المعروفة من التهديد لإيجاد الرعب والوحشية من جنود الشام وتفريق كلمة الشعب باستمالة القادة والحصار بإعلان الحكم العسكري في البلاد.

3 ـ الأشراف الذين وجّه الحسين رسالة إليهم ما عدا واحد منهم كانوا مؤيدين لحركة الحسين فإن (كل من قرأ ذلك الكتاب كتمه غير المنذر ابن الجارود) فإن كتمان هذه الرسالة تكشف عن ولاء للحسين وحذر من السلطة في آنٍ واحد.

4 ـ ابن زياد لم يترك البصرة إلا بعد أن استوثق من أمرها فإن مغادرة البصرة في ليلة واحدة لا بد وأن يسبقها تخطيط مسبق مدروس من قبل أنصار السلطة كتخطيط وقائي.

5 ـ خطبة ابن زياد احتوت على نقاط في غاية القسوة:

* العقاب قبل الجناية بما لم يسبق في تاريخ الإسلام.

* قتل المخالف.

* قتل العريف وصلبه على باب داره.

ابن زياد في الكوفة

رواية الطبري:

ثم خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان بن زياد، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو متلثم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا بن رسول الله! قدمت خير مقدم، فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ماساءه، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، فأخذ حين أقبل على الظهور؛ وإنما معه بضعة عشر رجلاً، فلما دخل القصر وعلم الناسُ أنه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاظ عبيد الله ما سمع منهم، وقال: ألا أرى هؤلاء كما أرى.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني المعلى بن كليب، عن أبي وداك، قال: لما نزل القصر نودي: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولاني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مديبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليبقِ امرؤ على نفسه. الصدق ينبئ عنك لا الوعيد، ثم نزل.

فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال: اكتبوا إلى الغرباء،

ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرافته من بُغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء، وسُيّر إلى موضع بعُمان الزارة.

وأما عيسى بن يزيد الكناني فإنه قال ـ فيما ذكر عمر بن شبة، عن هارون بن مسلم، عن علي بن صالح، عنه ـ قال: لما جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد، انتخب من أهل البصرة خمسمائة، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل، وشريك بن الأعور ـ وكان شيعة لعلي، فكان أول من سقط بالناس شريك، فيقال: إنه تساقط غمرة ومعه ناس ـ ثم سقط عبد الله ابن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوي عليهم عبيد الله وبسيفه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط، ويمضي حتى ورد القادسية، وسقط مهران مولاه، فقال: أبا مهران، على هذه الحال، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف، قال: لا، والله ما أستطيع، فنزل عبيد الله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن، ثم اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته، ثم انحدر راجلاً وحده، فجعل يمر بالمحارس فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الحسين، فيقولون: مرحباً بك يا بن رسول الله! وجعل لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلق عليه وعلى خاصته، وانتهى إليه عبيد الله وهو لا يشك أنه الحسين، ومعه الخلق يضجون، فكلمه النعمان، فقال: أنشدك الله إلا تنحيت عني! ما أنا بمسلم إليك أمانتي، ومالي في قتلك من أرب؛ فجعل لا يكلمه، ثم إنه دنا وتدلى الآخر بين شرفتين، فجعل يكلمه

فقال: فتح لافتحت، فقد طال ليلك، فسمعها إنسان خلفه، فتكفى إلى القوم، فقال: أي قوم، ابن مرجانة، والذي لا إله غيره! فقالوا: ويحك! إنما هو الحسين، ففتح له النعمان، فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس، فانقضوا وأصبح فجلس على المنبر فقال: أيها الناس، إني لأعلم أنه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه، والله ما عرفتُ منكم أحداً، ثم نزل.

وأخبر أن مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة، وأنه بناحية الكوفة، فدعا مولى لبني تميم فأعطاه مالاً؛ وقال: انتحل هذا الأمر، وأعنهم بالمال، واقصد لهانئ ومسلم وانزل عليه؛ فجاء هانئاً فأخبره أنه شيعة، وأن معه مالاً. وقدم شريك بن الأعور شاكياً، فقال لهانئ: مُرْ مسلماً يكن عندي، فإن عبيد الله يعودني؛ وقال شريك لمسلم: أرأيتك إن أمكنتُك من عبيد الله أضاربه أنت بالسيف؟ قال: نعم والله. وجاء عبيد الله شريكاً يعوده في منزل هانئ - وقد قال شريك لمسلم: إذا سمعتني أقول: اسقوني ماء فاخرج عليه فاضربه - وجلس عبيد الله على فراش شريك، وقام على رأسه مهران، فقال: اسقوني ماء، فخرجت جارية بقدح، فرأت مسلماً، فزالت، فقال شريك: اسقوني ماء؛ ثم قال الثالثة: ويلكم تحرموني الماء! اسقونيه ولو كانت فيه نفسي؛ ففطن مهران فغمز عبيد الله، فوثب، فقال شريك: أيها الأمير، إني أريد أن أوصي إليك؛ قال: أعود إليك، فجعل مهران يطرد به؛ وقال: أراد والله قتلك؛ قال: وكيف مع إكرامي شريكاً وفي بيت هانئ ويد أبي عنده يد! فرجع فأرسل إلى أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث فقال: ائتياني بهانئ، فقالا له: إنه لا يأتي إلا بالأمان؛ قال: وماله وللأمان! وهل أحدث حدثاً! انطلقا فإن لم يأت إلا بأمان فآمناه، فأتياه فدعواه، فقال: إنه إن أخذني قتلني،

فلم يزالا به حتى جاءا به و عبيد الله يخطب يوم الجمعة، فجلس في المسجد، وقد رحل هانئ غديرتيه، فلما صلى عبيد الله، قال: يا هانئ، فتبعه، ودخل فسلم فقال عبيد الله: يا هانئ، أما تعلم أن أبي قدم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير حُجر، وكان من حجر ما قد علمت، ثم لم يزل يُحسنُ صُحبتك، ثم كتب إلى أمير الكوفة: إن حاجتي قبلك هانئ؟ قال: نعم، قال: فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلاً ليقتلني! قال: ما فعلت، فأخرج التميمي الذي كان عيناً عليهم، فلما رآه هانئ علم أن قد أخبره الخبر، فقال: أيها الأمير، قد كان الذي بلغك، ولن أضيع يدك عني، فأنت آمن وأهلك، فسر حيث شئت.

فكبا عبيد الله عندها، ومهران قائم على رأسه في يده معكزة، فقال: واذلاه! هذا العبد الحائك يؤمنك في سلطانك! فقال: خذه؛ فطرح المعكزة، وأخذ بضفيرتي هانئ، ثم أقنع بوجهه، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجه هانئ، وندر الزج، فارتز، في الجدار، ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه، وسمع الناس الهيعة، وبلغ الخبر مذحج، فأقبلوا، فأطافوا بالدار، وأمر عبيد الله بهانئ فألقي في بيت، وصيح المذحجيون، وأمر عبيد الله مهران أن يُدخل عليه شريحاً، فخرج، فأدخله عليه، ودخلت الشرط معه، فقال: يا شريح، قد ترى ما يصنع بي! قال: أراك حياً! قال: وحي أنا مع ما ترى! أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلني؛ فخرج إلى عبيد الله فقال: قد رأيته حياً، ورأيت أثراً سيئاً؛ قال: وتنكر أن يعاقب الوالي رعيته! اخرج إلى هؤلاء فأخبرهم، فخرج، وأمر عبيد الله الرجل فخرج معه، فقال لهم شريح: ما هذه الرعة السيئة! الرجل حي، وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تُحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم. فانصرفوا.

موارد الاعتبار:

1 ـ يظهر مدى خوف ابن زياد من روح الجماهير الثورية من أساليبه التي اتخذها في المكر والتضليل في كيفية الوصول إلى الكوفة فقد دخلها بعد أن توقف في ظهر النجف مراعياً النقاط التالية:

أ. الدخول ليلاً إلى الكوفة.

ب. تغيير الزي بزي أهل الحجاز ولبس العمامة السوداء وهو متلثم.

ج. الالتزام بالسكوت دائماً.

د. الدخول من جهة البادية ليوهم الناس أنه الحسين الذي ينتظرونه؟

2 ـ يظهر أن ذلك كان بتخطيط مسبق مع عملائه وجواسيسه وهم الذين أعلنوا الله أكبر ابن رسول الله فتصايح الناس إذ كيف يخفى ذلك على المخلصين من شيعة الحسين مرافقة الحسين حين وصوله.

3 ـ حسب الرواية الأخرى استصحب ابن زياد معه جماعة منهم شريك بن الحارث الحارثي، وكان هذا شديد التشيع قد شهد صفين وكان أبوه الحارث الهمداني من خواص أصحاب أمير المؤمنين، وما هذا الاستصحاب يعني إلا تفريق كلمة الشيعة، فإنه يؤمن هدفين، أولاً: قطع الصلة بين القيادة والقاعدة. والثانية: الدعاية في صفوف الشعب بأن في القيادة الذي يشرف عليها بن زياد شخصيات شيعية ولا يعلم بالضبط ما الذي دعا شريك إلى الرضوخ سوى الخوف.

4 ـ إن ابن زياد سار بسرعة هائلة للوصول إلى الكوفة لخوفه الشديد من سقوطها في أيدي الثوار، وكان كما في روايةٍ أخرى للطبري استصحب معه خمسمائة شخص سقطوا في الطريق وكان أول من سقط أو تساقط شريك بن الحارث وآخرهم مولاه مهران وابن زياد لا يلتفت إلى من سقط إلى أن انحدر راجلاً وحده.

5 ـ انطلت أساليب ابن زياد على الناس حتى وصل إلى القصر وأنذاك أزال اللثام عن وجهه معرفاً شخصيته، ومن الغريب أن لم يكشف الناس شخصيته خلال تصرفاته وأسلوبه في الوصول إلى القصر مما يكشف عن تخطيط مسبق وقوة دعاية ابن زياد وشبكاته الإعلامية.

التجسس

رواية الطبري:

وذكر هشام، عن أبي مخنف، عن المعلى بن كليب، عن أبي الوداك، قال: نزل شريك بن الأعور على هانئ بن عروة المرادي، وكان شريك شيعياً، وقد شهد صفين مع عمار.

وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، فخرج من دار المختار ـ وقد عُلِم به ـ حتى انتهى إلى دار هانئ بن عروة المرادي، فدخل بابه، وأرسل إليه أن اخرج، فخرج إليه هانئ، فكره هانئ مكانه حين رآه، فقال له مسلم: أتيتك لتجيرني وتُضيفني؛ فقال: رحمك الله! لقد كلفتني شططاً، ولولا دخولك داري وثقتك لأحببت ولسألتك أن تخرج عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، ادخُل.

فآواه، وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ بن عروة، ودعا ابن زياد مولى له يقال له معقل، فقال له: خذ ثلاثة آلاف درهم، ثم اطلب مسلم بن عقيل، واطلب لنا أصحابه، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف؛ فقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك، ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم؛ ثم اغدُ عليهم ورُحْ. ففعل ذلك، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عوسجة الأسدي من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلي، وسمع الناس يقولون: إن هذا يبايع للحسين، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبد الله، إني امرؤ من أهل الشام، مولى لذي الكلاع، أنعم الله عليّ بحُب أهل هذا البيت وحب من أحبهم، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردتُ بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه ولا يعرف مكانه، فإني لجالس آنفاً في المسجد إذ سمعتُ نفراً من المسلمين يقولون: هذا رجلٌ له علم بأهل هذا البيت؛ وإني أتيتك لنقيض هذا المال وتدخلني على صاحبك فأبايعه، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه، فقال: أحمد الله على لقائك إياي، فقد سرني ذلك لتنال ما تحب؛ ولينصر الله بك أهل بيت نبيه، ولقد ساءني إياي بهذا من قبل أن ينمى مخافة هذا الطاغية وسطوته.

فأخذ بيعته قبل أن يبرح، وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحن وليكتمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثم قال له: اختلف إلي أياماً في منزلي، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك. فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن. فمرض هانئ بن عروة، فجاء عبيد الله عائداً له، فقال له عُمارة بن عبيد السلولي: إنما جماعتنا وكيدُنا قتل هذا الطاغية، فقد أمكنك الله منه فاقتله؛ قال هانئ: ما أحب أن يُقتل في داري، فخرج.

موارد الاعتبار:

1 ـ وفي الصباح كان أول ما قام به ابن زياد إعلان الحكم العسكري في خطبته وأوامره للشرطة بقوله: «**اكتبوا إلى الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق...**».

2 ـ في نفس الوقت استخدم التجسس على المعارضة، وخاصة الذين لم تؤثر فيهم التهديدات والتطميع من الذين حافظوا على سلامة مسلم بن عقيل، بالرغم من الجو الإرهابي السائد.

3 ـ استخدم ابن زياد رجلاً غريباً عن البلد باسم معقل ولعله اسم مستعار للقيام بدور التجسس واستخدم المال ليوصلها إلى أصحاب مسلم وأظهر نفسه من أهل حمص ويقول: «**تستعينوا على حرب عدوكم**» باعتباره ممن استصبر من أهل الشام.

رفض الاغتيال

رواية الطبري:

فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور ـ وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء، وكان شديد التشيع ـ فأرسل إليه عبيد الله: إني رائح إليك العشية؛ فقال لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشية، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله، ثم اقعد في القصر، ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن برئتُ من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها.

فلما كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك فقام مسلم بن عقيل ليدخل، وقال له شريك: لا يفوتنك إذا جلس؛ فقام هانئ بن عروة إليه فقال «إني لا أحب أن يُقتل في داري، كأنه استقبح ذلك، فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس، فسأل شريكاً عن وجعه، وقال: ما الذي تجد؟ ومتى اشكيت؟ فلما طال سؤاله إياه، ورأى أن الآخر لا يخرج، خشي أن يفوته، فأخذ يقول:

«ما تنتظرون بسلمى أن تُحيوها»

اسقينها وإن كانت فيها نفسي، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً؛ فقال عبيد الله، ولا يفطن ما شأنه: أترونه يهجُرُ؟ فقال له هانئ: نعم أصلحك الله! ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح حتى ساعته هذه. ثم إنه قام فانصرف، فخرج مسلم، فقال له شريك ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان: أما إحداهما فكراهة هانئ أن يُقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدثه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن**»؛ فقال هانئ: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً، ولكن كرهت أن يُقتل في داري. ولبث شريك بن الأعور بعد ذلك ثلاثاً ثم مات، فخرج ابن زياد فصلى عليه، وبلغ عبيد الله بعد ما قتل مسلماً وهانئاً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يُحرض مسلماً، ويأمره بالخروج إليك ليقتلك؛ فقال عبيد الله: والله لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً، ووالله لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً.

ثم إن معقلاً مولى ابن زياد الذي دسه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه، اختلف إلى مسلم بن عوسجة أياماً ليدخلة على ابن عقيل، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور، فأخبره خبره كله، فأخذ ابن عقيل بيعته، وأمر أبا ثُمامة الصائدي، فقبض ماله

الذي جاء به ـ وهو الذي كان يقبض أموالهم، وما يعين به بعضهم بعضاً، يشتري لهم السلاح، وكان به بصيراً، وكان من فُرسان العرب ووجوه الشيعة ـ وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل وآخر خارج، يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم، ثم ينطلق بها حتى يُقرها في أذن ابن زياد. قال: وكان هانئ يغدو ويروح إلى عبيد الله، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض، فجعل لا يخرج، فقال ابن زياد لجلسائه: مالي لا أرى هانئاً! فقالوا: هو شاكٍ، فقال: لو علمتُ بمرضه لعدتُه.

موارد الاعتبار:

1 ـ بما أن كل فعل ينتج رد فعل مساوي فإن أصحاب مسلم اتخذوا التكتل السريع وأول بادرةٍ قاموا بها أن نقلوا مسلم سراً من دار المختار إلى دار هانئ بن عروة لإعفاء الأثر باعتبار أن هانئ شخصية بارزة لا يمكن التعدي عليها.

2 ـ إن شريك المذحجي الذي اصطحبه معه ابن زياد من البصرة كان قد نزل على هانئ، وقد أشار على مسلم باغتيال ابن زياد، وأجاب مسلم بالرفض مستنداً إلى الحديث النبوي «**بأن الإيمان قيد الفتك**» معلناً عن التزامه بمبدأ الإسلام بأن الغاية لا تبرر الواسطة، وأيضاً أن رفض مسلم للاغتيال يعبر عن مبدأ إنساني هو احترام الضيافة فإن صاحب الدار وهو هانئ كره القتل في داره، فالأسئلة التي تبقى بدون أجوبة كثيرة.

3 ـ إن مسألة الاغتيال عملية لا أثر لها مع تضافر القوى المعادية، فإن الحرب يجب أن تعلن من قبل القيادة

والمفروض أنه لا قيادة حرة في مثل هذه الظروف مع أن الاعتيال وسيلة تظهر حركة مسلم بن عقيل بأنه عصابات اغتيال لا تخدم القضية الإسلامية، فيكون تحريفاً لأهداف الحسين وحركته الإصلاحية.

4 ـ إن الذين اقترحوا الاغتيال كان بإمكانهم أن يقوموا به أو يأمروا به شخصاً آخر غير مسلم فإن اقتراحهم على مسلم ذلك يوجب أنهم هم القادة، وأنهم لم يؤمنوا به كقائد للحركة، وعليه لا يكون الاغتيال إلا تحقيقاً لأغراضهم الشخصية دون أهداف حركة الحسين.

موقف هانئ

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد، قال: دعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة.

قال أبو مخنف: حدثني الحسن بن عُقبة المرادي أنه بعث معها عمرو بن الحجاج الزبيدي.

قال أبو مخنف: وحدثني نُمير بن وعلة، عن أبي الوداك، قال: كانت روعة أخت عمرو بن الحجاج تحت هانئ بن عروة، وهي أم يحيى بن هانئ. قال لهم: ما يمنع هانئ بن عروة من إتياننا؟ قالوا: ما ندري أصلحك الله!

وإنه ليشتكي؛ قال: قد بلغني أنه قد برأ، وهو يجلس على باب داره، فألقوه، فمروه ألا يدع ما عليه في ذلك من الحق، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثلُه من أشراف العرب. فأتوه حتى وقفوا عليه عشية

وهو جالس على بابه، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير؛ فإنه قد ذكرك، وقد قال: لو أعلم أنه شاك لعُدته؟ فقال لهم: الشكوى تمنعني؛ فقالوا له: يبلغُه أنك تجلس كل عشية على باب دارك وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتملُه السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا! فدعا بثيابه فلبسها، ثم دعا ببغلة فركبها حتى إذا دنا من القصر؛ كأن نفسه أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي، إني والله لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟ قال: أي عمّ، والله ما أتخوف عليك شيئاً؛ ولم تجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء؟ وزعموا أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله، فأما محمد فقد علم به؛ فدخل القوم على ابن زياد، ودخل معهم، فلما طلع قال عبيد الله: أتتك بحائنٍ رجلاه! وقد عرَّس عبيد الله إذ ذاك بأم نافع ابنة عُمارة بن عُقبة؛ فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت نحوه، فقال:

أريدُ حباءهُ ويريدُ قَتْلي
عذيرَكَ من خليلك من مُرادِ

وقد كان له أول ما قدم مكرماً ملطفاً، فقال له هانئ: وما ذاك أيها الأمير؟ قال: إيه يا هانئ بن عروة! ما هذه الأمور التي تربصُ في دورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين! جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى علي! قال: ما فعلت، وما مسلم عندي، قال: بلى قد فعلت؛ قال: ما فعلت، قال: بلى! فلما كثر ذلك بينهما، وأبى هانئ إلا مجاحدته ومناكرته، دعا ابن زياد معقلاً ذلك العين، فجاء حتى وقف بين يديه فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم،

وعلم هانئ عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فسقُط في خلده ساعة. ثم إن نفسه راجعته، فقال له: اسمع مني، وصدق مقالتي، فوالله لا أكذبك، والله الذي لا إله غيرهُ ما دعوتُه إلى منزلي، ولا علمتُ بشيء من أمره، حتى رأيته جالساً على بابي، فسألني النزول عليّ، فاستحييت من رده، ودخلني من ذلك ذمام، فأدخلتُه داري وضفتُه وآويته، وقد كان من أمره الذي بلغك، فإن شئت أعطيت الآن موثقاً مغلظاً وما تطمئن إليه ألا أبغيك سوءاً، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره؛ فقال: لا والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به؛ فقال: لا، والله لا أجيئك أبداً، أنا أجيئك بضيفي تقتله! قال: والله لتأتيني به، قال: والله لا آتيك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شأمي ولا بصري غيره - فقال: أصلح الله الأمير! خلني وإياه حتى أكلمه، لما رأى لجاجته وتأبيه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلماً، فقال لهانئ: قم إلى ها هنا حتى أكلمك؛ فقام فخلا به ناحية من ابن زياد، وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما؛ إذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان، وإذا خفضا خفي عليه ما يقولان، فقال له مسلم: يا هانئ، إني أنشدُك الله أن تقتل نفسك، وتُدخل البلاء على قومك وعشيرتك! فوالله إني لأنفس بك عن القتل، وهو يرى أن عشيرته ستحرك في شأنه أن هذا الرجل ابن عم القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان، قال: بلى؛ والله إن علي في ذلك للخزي والعارُ،

أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الأعوان! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه. فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً؛ فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه مني، فأدنوه منه، فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك؛ قال: إذاً تكثر البارقة حول دارك، فقال: والهفا عليك! أبالبارقة تخوفني! وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه؛ فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدني، فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه، وسيل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هانئ بيده إلى قائم سيف شُرطي من تلك الرجال، وجابذه الرجل ومنع، فقال عبيد الله: أحروري سائر اليوم! أحللت بنفسك، قد حل لنا قتلك، خذوه فألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، واجعلواعليه حرساً، ففُعل ذلك به، فقام إليه أسماء بن خارجة فقال: أرسل غدر سائر اليوم! أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمت وجهه، وسيلت دمه على لحيته، وزعمت أنك تقتله! فقال له عبيد الله: وإنك لهاهنا! فأمر به فلهُز وتُعتُع به، ثم تُرك فحبس.

وأما محمد بن الأشعث فقال: قد رضينا بما رأى الأمير؛ لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب. وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئاً قد قُتل، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمعٌ عظيم، ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذحج ووجُوهُها، لم تخلع طاعةً، ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أن صاحبهم يُقتل، فأعظموا ذلك؛ فقيل لعبيد الله: هذه مذحج بالباب، فقال لشُريح القاضي: ادخُل على صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج فأعلمهُم أنه حي لم يُقتل، وأنك قد رأيته، فدخل عليه شريح فنَظر إليه.

فقال أبو مخنف: فحدثني الصقعب بن زهير، عن عبد الرحمن بن شريح، قال: سمعته يحدث إسماعيل بن طلحة، قال: دخلت على هانئ، فلما رآني قال: يا لله يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ فأين أهل الدين! وأين أهل المصر! تفاقدوا! يُخلوني، وعدوهم وابن عدوهم! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجة على باب القصر، وخرجت واتبعني، فقال: يا شريح، إني لأظنها أصواتُ مذحج وشيعتي من المسلمين، إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني؛ قال: فخرجت إليهم ومعي حُميد بن بكير الأحمري - أرسله معي ابن زياد، وكان شرطة ممن يقوم على رأسه - وايمُ الله لولا مكانُه معي لكنتُ أبلغتُ أصحابه ما أمرني به؛ فلما خرجتُ إليهم قلت: إن الأمير لما بلغه مكانُكم ومقالتُكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيتُه فنظرتُ إليه، فأمرني أن ألقاكم، وأن أعلمكم أنه حي، وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاً. فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يُقتل فالحمدُ لله، ثم انصرفوا.

قال أبو مخنف: حدثني الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني، قال: لما ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشُرطُه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا، فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتُجفوا وتُحرموا، إن أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

قال: ثم ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه.

موارد الاعتبار:

1 ـ استهدف ابن زياد على أكبر العناصر المساندة لمسلم بن عقيل، وهو هانئ بن عروة المرادي، حيث إن القضاء عليه يسبب الرعب في نفوس العامة، حيث إنه صاحب العشيرة والعدة.

2 ـ ومن جانب آخر كان هانئ بن عروة قد احتاط للموقف فانقطع عن حضور مجلس ابن زياد بحجة المرض فأخذ ابن زياد يتآمر من ناحيةٍ عائلية، فدعا عمه عمرو بن حجاج الزبيدي، وهو أبو زوجته حيث كانت بنته رويحة زوجة هانئ، ويظهر أن دوره دور المغفل وسأله ابن زياد ما يمنع هانئ أن يأتينا، وكان من المدعوين محمد بن الأشعث ابن أخيه يتربص للزعامة على العشيرة بعد هانئ وأقنع هانئ بالحضور.

3 ـ حين اللقاء اتهم ابن زياد هانئ واستشهد على اتهامه بالعين معقل ونقاط الاتهام ثلاث:

أ. جئت بمسلم بن عقيل.

ب. فأدخلته دارك.

ج. وجمعت له السلاح والرجال.

ونفى هانئ من جانبه تهمتين واعترف بالثالثة:

1 ـ ما دعوته إلى منزلي، رأيته جالساً على بابي.

2 ـ سألني النزول عليّ فاستحييت من رده.

3 ـ دخلني من ذلك ذمام فأدخلته داري وضيفته وآويته،

وقد برر هانئ هذه التهمة الثالثة استناداً على عادة عربية شائعة، فاقترح بما يخرجه عن هذا الذمام، ولكن ابن زياد لم يهتم بهذه العادة العربية، ولم يهتم بالاقتراح وكان بإمكانه أخذ مسلم بعد أن يخرج من الذمام مما يظهر أن مقصده الرئيسي القضاء على رموز القيادة المتعاطفة مع حركة الحسين والمتمثلة بهاني.

4 ـ إن هانئ كان يعتمد على عشيرته وقومه، وعلل موقفه الرافض لتسليم مسلم بالأعراف العربية بقوله: «**إن أدفع جاري وضيفي وأنا حيّ، صحيح أسمع وأرى شديد الساعد كثير الأعوان**»، ثم ذكر السبب العقائدي بقوله: «**والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه إلا أن أموت دونه**»، واتهمه ابن زياد أخيراً بالتهمة العظمى بقوله الحروري ثم قال: «**أحللت نفسك قد حل لنا قتلك**».

5 ـ إن السلطة المتمثلة بابن زياد كانت قد أعدت للوقيعة بهذا الرمز المعارض لضربه من الداخل والخارج، فكان من الداخل محمد بن الأشعث الذي قد علم بخطط ابن زياد كما في رواية الطبري، فلم يكن مغفلاً بل قد يكون ممن أطمع برئاسة العشيرة بعد هانئ وصحب هانئ إلى ابن زياد، وبعد أن ضرب ابن زياد هانئ قال الأشعث هذا: «**قد رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا إنما الأمير مؤدب**»، مما يكشف عن طاعةٍ عمياء للسلطة. ومن الخارج استخدم ابن زياد شُريح القاضي لتنفيذ دعاية السلطة وتثبيط عزائم العشيرة والأعوان ليتفرقوا عنه بخطة فرق تسد، وبعد أن شاهد شريح القاضي هانئ والدماء تسيل على لحيته،

وبعد أن طلب هانئ منه أن أدخل عليّ عشرة نفر ينقذوني خرج شريح القاضي مع شرطة ابن زياد يخبر العشيرة بأن هانئ حي في محادثة ومفاوضة مع ابن زياد. وكانت النهاية واضحة لهاني حيث ظهرت خيوط المؤامرة التي اكتشفها والتي انتهت بقتله.

موقف مسلم

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمرُ هانئ؛ قال: فلما ضُرب وحُبس ركبتُ فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوةٌ لمراد مجتمعات ينادين: يا عشيرتاه يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: نادِ: يا منصور أمت؛ فناديتُ: يا منصور أمتْ؛ وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على رُبع كندة وربيعه، وقال: سر أمامي في الخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم أقبل نحو القصر، فلما أبلغ ابن زياد إقبالُه تحرز في القصر، وأغلق الأبواب.

قال أبو مخنف: وحدثني يونس بن أبي اسحاق، عن عباس الجدلي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلا

ونحن ثلثمائة. قال: وأقبل مسلم يسيرُ في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء، فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كُبْر أمرِه أن يتمسك بباب القصر، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه. ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت. فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يُخذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جباب الكلبي أن كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؛ فأمر به فحبس، وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة، وجاه عماره بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه، فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شريخ الشبامي، فلما رأى محمد

بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحى ويتأخر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جُلبتُ على ابن عقيل من العرار، فتأخر عن موقفه، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين، فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، فقال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء، وأمرهم شديد، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس فمنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فُصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن خازم الكثيري من الأزد، من بني كثير، قال: أشرف علينا الأشراف، فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يُحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبالَ ما جرّت أيديها، وتكلّم الأشراف بنحو من كلامِ هذا؛ فلما سمع مقالتهم الناس أخذوا يتفرقون، وأخذوا ينصرفون.

موارد الاعتبار:

1 ـ كان ابن زياد قد أعد جماعة لإلقاء القبض على كل من لم يتفق معه من الرؤساء، وبذلك يحقق هدفين: أولاً: الفصل بينهم وبين القاعدة، حيث تكون القاعدة بلا مرشد فيكون حائراً جاهلاً باتخاذ المواقف، ومن السهل القضاء على القاعدة الحائرة الجاهلة بالدعايات المضللة.

2 ـ الاحتفاظ بهؤلاء الرؤساء كرهائن فيما لو وقع أحد أصحابه في الفخ، وكان من هؤلاء عبد الأعلى الكلبي الذي خرج لنصرة مسلم فأمر ابن زياد بقتله في الجبانة.

3 ـ إن مسلم بن عقيل أخذ موقف الحرب بعدما أعلن ابن زياد الحرب بقتل هانئ بن عروة استناداً إلى الثوابت الإسلامية (فاعتدوا بمثل ما اعتدوا عليكم)، ولم يصدر من مسلم ولا أحدٍ من أصحابه أية مبادرة للحرب قبل ذلك فأمر النداء في أصحابه واتخذوا شعار (يا منصور أمت). وكان عدد الأصحاب 18 ألف مبايعين وأربعة آلاف في الدور أي مسلحين وخطط الجيش على أساس حارات القبائل لكنده وربيعة ـ لمذحج وأسد ـ لتميم وهمدان ـ المدينة. ولم يكن من ابن زياد إلا أن (يحترز في القصر وغلق الأبواب).

4 ـ إن سياسة ابن زياد كانت على ثلاثة طرق:

أ. منوا أهل الطاعة بالزيادة والكرامة.

ب. خوفوا أهل المعصية بالحرمان والعقوبة.

ج. أعلموهم وصول الجند من الشام إليها.

د. وخص محمد بن الأشعث برفع راية الأمان.

وقد أثرت هذه السياسة في تخذيل الناس وتفريقهم عن مسلم بن عقيل، حيث تفرقت الجموع بترتيب تنازلي من أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى خمسين شخص (30 شرطة بالإضافة إلى عشرين أشراف وأهل بيته)، ثلاثين صلوا في المسجد معه وعشرة عند باب المسجد لما خرجوا، ولما خرج من باب المسجد لم يكن معه إنسان.

مع طوعة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد؛ أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف؛ الناس يكفونك، ويجيء الرجلُ إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر! انصرف فيذهب به؛ فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتى صُليت المغرب، فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً. فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فلما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحس أحداً يدله على الطريق، ولا يدُله على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو، فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة ـ أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره ـ فسلم عليها ابن عقيل، فردت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماء؛ فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت

الإناء، ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب! قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك؛ فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك؛ فسكت؛ ثم قالت له: في الله، سبحان الله يا عبد الله فمر إلى أهلك عافاك الله؛ فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك؛ فقام فقال: يا أمة الله، مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة؛ فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلي مكافئك به بعد اليوم! فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغروني؛ قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم. قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنه ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه إن لك لشأناً؛ قالت: يا بني، الهُ عن هذا؛ قال لها: والله لتخبرني. قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألح عليها، فقالت: يا بني، لا تحدثن أحداً من الناس بما أخبرك به؛ وأخذت عليه الإيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت ـ وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس. وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له ـ ولما طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً! فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، ففرعوا بحايح المسجد، وجعلوا يخفضون شُعَل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحدٌ؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدلوا القناديل وأنصاف الطُنان تشد بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تُدلى، حتى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر، فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في

المسجد. ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابُه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد؛ فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد بالناس؛ ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت بالناس؛ أو يصلي بهم غيرك، ودخلت أنت فصليت في القصر، فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك! فقال: مُرْ حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون، ودُرْ فيهم فإني لست بداخل إذاً. فصلى بالناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن ابن عقيل السفيه الجاهل، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته. اتقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. يا حُصين بن تميم، ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مُراصِدة على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبر الدور وجُس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل - وكان الحصين على شرطه، وهو من بني تميم - ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولا يُتهم! ثم أقعده إلى جنبه، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل. فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه؛ فقال: فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فساره، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا؛ فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة.

موارد الاعتبار:

1 ـ إن سلطة ابن زياد، بالرغم من علمه بتأثير الدعايات المضللة، كانت على خوف من المقاومة واتخذت الخطوات التالية:

أ. التحرز الشديد، قال ابن زياد: «**لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم وجعلوا يحفظون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون هل في الظلال أحد**».

ب. الحراسة المشددة: قال ابن زياد: «**مر حرسي فليقوموا ورائي، كما كانوا يقفون**».

ج. الإعلان العام بمطاردة مسلم قال ابن زياد: «... **فبرئت ذمة الله من رجلٍ وجدناه في داره**».

د. الرصد: «**ابعث مراصد على أفواه السكك واصبح غداً واستبرء الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل**».

2 ـ أن بلال ابن طوعة العجوز غدا إلى عبد الرحمن بن الأشعث وأخبره بوجود مسلم في داره، وحيث إن الأشعث قال لابن زياد: «**إن ابن عقيل في دار من دورنا**»، يظهر أن بلال كان كندياً وربما أمه كذلك كانت من كندة، وقد أثرت الدعايات والتهديدات في هذا الولد دون أمه العجوز للأسباب التالية:

1 ـ خبرة الأم وغرور الشباب.

2 ـ كان شريداً من الناس.

3 ـ كان يشرب مع أصحاب له.

4 ـ اعتماد الأم على الولد ويمينه.

3 ـ إن ابن زياد أمر مع ابن الأشعث الكندي (ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس) والمأمور هو الأشعث الكندي الذي قام بدور التجسس على عمه هانئ بن عروة والرجال المؤتمرين بأمره ليسوا من كندة، بل كلهم من قيس، وفي هذا الاختيار دلالة واضحة، كما في الرواية (لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل) فإن هؤلاء الأقوام على الأغلب فيهم من بايع ابن عقيل بالأمس ممن تأثر بالدعايات والتهديدات.

محاربة مسلم

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني قُدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي، أن ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابن عقيل بعث إلى عمرو بن حُريث وهو في المسجد خليفته على الناس؛ أن ابعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس ـ وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادق فيهم مثل ابن عقيل ـ فبعث عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه، فشد عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين، فضرب بُكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأشرع السيف في السفلى، ونصلت لها ثنيتاه، فضربه مسلم ضربة في رأسه منكرة، وثنى بأخرى على حبل العاتق

كادت تطلعُ على جوفه. فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويُلهبون النار في أطنان القصب، ثم يقلبونها عليه من فوق البيت، فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكة فقاتلهم، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يا فتى، لك الأمان، لا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلُهم، وهو يقول:

أقسمتُ لا أُقتل إلا حُرا
وإن رأيتُ الموت شيئاً نُكْرَا
كل امرِئٍ يوماً مُلاقٍ شَرا
ويُخلط البارد سُخْناً مُرًّا
رُدّ شُعاع الشمس فاستقرا
أخافُ أن أُكْذَبَ أو أُغَرا

موارد الاعتبار:

1 ـ صلى مسلم المغرب في المسجد ومعه ثلاثون نفر، ولما وصل إلى باب المسجد لم يبقَ معه إلا عشرة، ولما خرج من الباب لم يبق معه إنسان، وطبيعي أن يكون هذا من تأثير مخطط مدروس للتفريق بين القيادة والقاعدة، وحيث إن مسلم لم يكن من أهل الكوفة، فمن الطبيعي أن يسير على وجهه لعدم معرفته بالطرق حتى وقف على باب دار طوعة التي كانت تنتظر مجيء ابنها بلال.

2 ـ استقى مسلم الماء من طوعة فسقته، وكانت تتوقع أن يذهب، ولكن لما عرفته آوته وأكرمته، وبالرغم من محافظتها على الكتمان عرف ابنها بلال بذلك وأخبر سلطة ابن زياد.

3 ـ إن مسلم لما أحس بوقع حوافر الخيل وعلم أن الشرطة

تقصده، خرج لأن لا تصاب دار طوعة بأذى، خرج بسيفه إليهم وحيداً محارباً ستين أو سبعين من الشرطة، ولم يستسلم حتى هزموا مراراً وأرضخوه بالحجارة والنار من السطوح.

4 ـ ولما أعيا مسلم واتكأ على حائط قابله رئيس الجيش محمد بن الأشعث مكرراً لهُ الأمان حتى قبل ذلك، وهو يقول وأيُّ أمانٍ للغدرة والفجرة.

مع ابن الأشعث

رواية الطبري:

قال له محمد بن الأشعث: إنك لا تُكذب ولا تُخدع ولا تُغر، إن القوم بنو عمك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك، وقد أثخن بالحجارة، وعجز عن القتال وانبهر، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمد ابن الأشعث فقال: لك الأمان، فقال: آمن أنا؟ قال: نعم؛ وقال القوم: أنت آمن؛ غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمى فإنه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل وتنحى.

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعتُ يدي في أيديكم وأتى ببغلة فحُمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من عنقه، فكأنه عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه؛ ثم قال: هذا أول الغدر؛ قال محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس، قال: ما هو إلا الرجاء، أين أمانُكم! إنا لله وإنا إليه راجعون! وبكى، فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثلُ الذي نزل بك لم يبك؛ قال: إني والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفا، ولكن أبكي

لأهلي المُقبلين إلي، أبكي لحسين وآل حسين! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إني أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير! تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً، فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خارج غداً هو وأهلُ بيته، وإن ما ترى من جزعي لذلك، فيقول: إن ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن تمشي حتى تُقتل وهو يقول: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؛ إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذب رأي؛ فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أني قد أمنتُك.

قال أبو مخنف: فحدثني جعفر بن حُذيفة الطائي ـ وقد عرف سعيد بن شيبان الحديث ـ قال: دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائي من بني مالك بن عمرو بن ثمامة، وكان شاعراً، وكان لمحمد زواراً، فقال له: الق حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازُك، ومُتْعة لعيالك؛ فقال: من أين لي براحلة، فإن راحلتي قد أنضيتها؟ قال: هذه راحلة فاركبها برحلها. ثم خرج فاستقبله بزبالة لأربع ليال، فأخبره الخبر، وبلغه الرسالة، فقال له حسين: كل ما حُمَّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا.

وقد كان مسلم بن عقيل حيث تحول إلى دار هانئ بن عروة وبايعه ثمانية عشر ألفاً، قدم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى؛ والسلام.

وأقبل محمد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر، فاستأذن

فأذن له، فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكير إياه، فقال: بُعداً له! فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان! كأنا أرسلناك تؤمنه! إنما أرسلناك لتأتينا به، فسكت. وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عُقبة بن أبي مُعيط، وعمرو بن حُريث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب.

موارد الاعتبار

1 ـ لم يغب عن مسلم أخبار من ساهم في تسليم هانئ ومن قام بدور التجسس ولو احتمالاً، وهو الآن يجد نفسه الوحيد المحاط بالستين أو السبعين محارب بالسيوف والحجارة والنار، وإذا يجد نفسه يواجه دور هذا الوسيط الذي يكرر له الأمان، فقام مسلم بموقف يكشف للتاريخ حقيقة الموقف.

2 ـ ابن الأشعث هو الذي قام بدور تسليم عمه لسلطة ابن زياد اعتماداً على العادة العربية بالأمان، وهو الآن يقدم نفس الأمان لمسلم بن عقيل المثقل بالحرب والمحارب بالسيوف والحجارة والنار، ولما انتزعوا سيفه قال مسلم: «**هذا أو الغدر**».

3 ـ «**خاطب مسلم من يعرض الأمان مستغلاً الفرصة بقوله: يا عبد الله إني أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير**» وطلب منه من دون أن يسميه باسمه ما لا يمكن أن يطلبه من شخص آخر، وهو يقول: «**أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً فإني لا آراه إلا وقد**

خرج اليوم أو هو خارجٌ غداً، ويقول له ان ابن عقيل بعثني إليك، وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل... إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لمكذوبٍ رأي».

4 ـ استجاب ابن الأشعث وقال: والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أني قد أمنتك.

مما يظهر مدى تظاهر ابن الأشعث في المحافظة على سلامة مسلم وتأمين مطاليبه، مما أقنع أو اقتنع مسلم بوعود ابن الأشعث، حيث لا مجال آخر لمسلم سوى ذلك، فهل كان من الحكمة؟

5 ـ لقد أبدى مسلم قمة الوعي في صلته بقائده الحسين، واستغل هذه الفرصة الوحيدة في أداء دور الرسالة غيرُ عابىء بالأمان الذي اعتبره أول الغدر حتى يتمكن من إيصال موقفه في الأسر ومصيره إلى القتل إلى قائده الحسين وهو عالمٌ بأن ابن الأشعث لا يقوم بدورٍ لا يخدم مصلحة السلطة، ولكن كان الطريق الوحيد لأداء واجبه في الرسالةِ التي حملها قائده الحسين، وكان مسلم ينظر إلى مسألة الأمان نظرة استخفافٍ بالنسبة إلى هذه الرسالة.

مقتل مسلم

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني قُدامة بن سعد أن مسلم بن عقيل حين انتهى إلى باب القصر فإذا قلة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عقيل: اسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما

أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم من نار جهنم! قال له ابن عقيل: ويحك! من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذا عصيته وخالفت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال ابن عقيل: لأمك الثكل! ما أجفاك، وما أفظك، وأقسى قلبك وأغلظك! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني؛ ثم جلس متسانداً إلى حائط.

قال أبو مخنف: فحدثني قُدامة بن سعد أن عمرو بن حُريث بعث غلاماً يُدعى سليمان، فجاءه بماء في قلة فسقاه.

قال أبو مخنف: وحدثني سعيد بن مدرك بن عُمارة، أن عُمارة بن عُقبة بعث غلاماً له يُدعى قيساً، فجاءه بقُلة عليها منديل ومعه قدح فصبّ فيه ماء، ثم سقاه، فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً، فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيتاه فيه، فقال: الحمدلله! لو كان لي من الرزق المقسوم شربتُه. وأدخل مسلم على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير! فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه! وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه؛ فقال ابن زياد: لعمري لتُقتلن؛ قال: كذلك؟ قال: نعم؛ قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي، فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نجح حاجتي، وهو سرّ، فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لا أتمتنع أن تنظر في حاجة ابنِ عمك، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد، فقال له: إن عليَّ بالكوفة ديناً استدنتُه منذ قدمتُ الكوفة، سبعمائة درهم، فاقضها عني، وانظر جُثتي فاستوهبها من ابن زياد، فوارها، وابعث إلى حسين من يرده، فإني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً؛ فقال عمر

لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ إنه ذكر كذا وكذا؛ قال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالُك فهو لك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت؛ وأما حسين فإنه إن لم يُردنا لم نُرِدهُ، وإن أرادنا لم نكف عنه، وأما جُثته فإنا لن نشفعك فيها، إنه ليس بأهل منا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا. وزعموا أنه قال: أما جثته فإنا لا نبالي إذ قتلناه ما صُنع بها. ثم إن ابن زياد قال: إيه يا بن عقيل! أتيت الناس وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض! قال: كلا، لست أتيتُ، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب؛ قال: وما أنت وذلك يا فاسق! أولم نكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر! قال: أنا أشرب الخمر! والله إن الله ليعلم أنك غيرُ صادق، وأنك قلت بغير علم، وأني لستُ كما ذكرت، وإن أحق يشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها ويقتُل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله؛ قال: فمن أهله يا بن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. فقال: الحمدلله على كل حال، رضيا بالله حكماً بيننا وبينكم، قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً! قال: والله ما هو بالظن، ولكنه اليقين، قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يُقتلها أحد في الإسلام! قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدعُ سوء القتلة، وقبح المُثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك. وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم بكلمة لا يكلمه. وزعم أهل

العلم أن عبيد الله أمر له بماء فسقي بخزفةٍ، ثم قال له: انه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تُحرَّم بالشرب فيها، ثم تقتلك، ولذلك سقيناك في هذا، ثم قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم أتبعوا جسده رأسه، فقال: يا بن الأشعث، أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت؛ قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك، ثم قال: يا بن زياد، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتني؛ ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه وعاتقه؟ فدعي، فقال: اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا، وأشرف به على موضع الجزارين اليوم، فضربت عنقه، وأتبع جسده رأسه.

قال أبو مخنف: حدثني القصعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة قال: نزل الأحمري بُكير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتلته؟ قال: نعم، قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر، فلما أدنيته لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا؛ فقلت له ادنُ مني، الحمد لله الذي أقادني منك، فضربته ضربة لم تغن شيئاً؛ فقال: أما ترى في خدش تخدشنيه وفاء من دمك أيها العبد! فقال ابن زياد: أو فخراً عند الموت! قال: ثم ضربته الثانية فقتلته.

موارد الاعتبار:

1 ـ أراد ابن زياد قبل أن يقضي على مسلم توجيه اتهامات لصبغ عمله صبغةً مقبولة قبلية كما أراد مسلم في نفس الوقت أن يبين حقيقة الموقف للحاضرين وللتاريخ وذلك من خلال المحادثة التالية:

أمر ابن زياد بإدخال مسلم بن عقيل عليه فدخل مسلم ولم يسلم على أحد.

الحرسي: ألا تسلم على الأمير.

مسلم: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه.

ابن زياد: لعمري لتقتلن أيه ابن عقيل أتيت الناس وهم جمع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على بعض.

مسلم: كلا ليست لذلك أتيت ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل المنكر ودفنتم المعروف.

ابن زياد: وما أنت وذلك يا فاسق ألم تكن تعلم بذلك منهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر.

مسلم: أنا أشرب الخمر أما والله وإن الله ليعلم أنك غير صادق وأنك قلت بغير علم وإني لست كما ذكرت وإن أحق بشرب الخمر مني، وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ويسفك النفس بغير النفس الحرام ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

ابن زياد: يا فاسق إن نفسك تُمنيك ما أحال الله دونه ولم يرك أهلاً.

مسلم: فمن أهله يا بن زياد.

ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد.

مسلم: الحمدلله على كل حال رضينا الله حكماً بيننا وبينكم.

ابن زياد: كأن لك الظن أن لك في الأمر شيئاً.

مسلم: والله ما هو الظن ولكنه اليقين.

ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحد في الإسلام.

مسلم: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام، ما لم يكن فيه، وإنك لا تدعُ سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة ولا أحد أولى بها منك من الناس.

ثم أقبل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين وعقيلاً ومسلم لا يكلمه.

ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثم أتبعوا جسده رأسه.

مسلم: أما والله لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتني.

ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسهُ بالسيف.

فدُعي بكر بن حمران: اصعد فلتكن أنت الذي تضرب عنقه.

فصعدوا به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله.

مسلم: اللهم احكم بيننا وبين قومٍ غرونا وكذبونا وأذلونا.

القاتل: فضربتهُ ضربة لم تغن شيئاً.

مسلم للقاتل: أما ترى في خدش تخدشنيه وفاءً من دمك أيها العبد.

ابن زياد: أو فخراً عند الموت!

العبد: ثم ضربته الثانية فقتلته.

2 ـ تكشف مواقف ابن زياد أن يثبت حكمه بالإعدام على مسلم بما يستحق ذلك لأسباب وتهم موجهة إليه.

أ. تشتيت الأمر.

ب. تفريق الكلمة.

ج. حمل بعضهم على بعض.

د. شرب الخمر.

وأضاف حين اتهامه بشتم علي والحسن والحسين وعقيل ليجعلها حرباً قبلية، وذلك يكشف عن فشل ابن زياد في التأثير على شخصية مسلم وصموده في المقاومة، بالرغم من وحدته وغربته حتى أعلن ابن زياد انه سيقتله قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام مستخفاً بكل القوانين الشرعية في القتل المرعية في الإسلام من الاتهام بشرب الخمر الذي لو ثبت لما اقتضى القتل، والاتهام بتفريق الكلمة التي فندها مسلم بأنها استجابة لدعوة الجماهير المسلمة، ويكشف عن وضوح الرؤيا عند مسلم وصلابته في المقاومة ما لم يتمالك ابن زياد من قولته الأخيرة (أو فخراً عند الموت) حيث إنه موقف غير عادي.

3 ـ مواقف مسلم تكشف على التأكيد بالتمسك بالثوابت الإسلامية.

أ. عدم السلام على الأمير أي رفض الإمارة له في أشد الظروف.

ب. كشف حقيقة الموقف من سفك دماء المسلمين وإظهار المنكر ودفن المعروف.

ج. الرؤيا الواضحة حيث قال: وما هو الظن، ولكنه اليقين.

د. نفى الاتهام بتفريق الكلمة بقوله: «**تآمرتم على الناس بغير رضاً منهم وعملتم فيها باعمال كسرى وقيصر**».

هـ. دفع اتهام شرب الخمر بقوله: «**إن أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً**».

وبذلك كشف حقيقة الموقف وزاد إشارةً إلى أن ابن زياد مطعون في نسبه بقوله: «**لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتني**»، وبذلك أثبت أن حركة مسلم كانت حركة إصلاحية مدعومة بعامة المسلمين من المدينة التي عارضتها القلة الحاكمة بغير رضاً منهم.

4 ـ فند مسلم الاتهامات التي وجهها ابن زياد بقوله:

أ. لكنكم أجهرتم المنكر.

ب. أهل المصر دعوا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم.

ج. عمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب».

فالتهم الموجهة كلها باطلة لأن تاريخ دعوة أهل الكوفة تؤكد على النقاط التي ذكرها مسلم المدعومة تاريخياً فبما أن المنكر قد ظهر وجب الأمر بالمعروف، وبما أن سفك الدماء قد تحقق وجب العدل، وبما أن أعمال كسرى

وقيصر قد تجددت وجبت الدعوى إلى كتاب الله، وهنا تكمن رسالة الحسين فهي رسالة جد الحسين ووعاها سفير الحسين مسلم بن عقيل وطبقها في كل مرحلةٍ من مراحل حياته حتى الشهادة.

5 ـ الوصية الأخيرة لمسلم تكشف عن تمسكه بأهداف الحركة الإسلامية وتطبيقها في هذه اللحظة الأخيرة من حياته، وهو أوصى لعنصر جديد هو عمر بن سعد وأمتنع عمر من قبولها في البداية حتى أمره ابن زياد بالقبول، وربما ليستكشف أمراً جديداً ولكن وصية مسلم كانت واضحة من نقاط ثلاث:

أ. «إن عليَّ بالكوفة ديناً سبعمائة درهم فبع سيفي ودرعي واقضِ عني.

ب. وإن قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها.

ج. وابعث إلى الحسين من يرده فإني قد كتبتُ إليه أعلمه أن الناس معه ولا اراه إلا مقبلاً».

ولا يذكر التاريخ موقف ابن سعد من هذه الوصية التي تكشف مدى حرص مسلم على تطبيق الإسلام في الحياة وبعد الممات من أداء أمانة الناس وتطبيق الحكم الشرعي في الدفن والولاء للقيادة والإمامة.

مقتل هانئ

رواية الطبري:

قال: وقام محمد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلمه في هانئ بن عروة، وقال: إنك قد عرفت منزلة هانئ بن عروة في المصر،

وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أني وصاحبي سُقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته لي، فإني أكره عداوة قومه، هم أعز أهل المصر، وعُدَدُ أهل اليمن! قال: فوعده أن يفعل؛ فما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان، بدا له فيه، وأبى أن يفي له بما قال.

قال: فأمر بهانئ بن عروة حين قُتل مسلم بن عقيل، فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه، قال فأخرج بهانئ حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يُباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يقول: وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم! وامذحجاه وأين مني مذحج! فلما رأى أن أحداً لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف، ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به رجل عن نفسه!.

قال: ووثبوا إليه فشدوا وثاقه، ثم قيل له: امدد عنقك، فقال: ما أنا بها مجدٍ سخي، وما أنا بمعينكم على نفسي.

قال: فضربه مولى لعبيد الله بن زياد ـ تركي يقال له رشيد بالسيف، فلم يصنع سيفه شيئاً، فقال هانئ: إلى الله المعاد! اللهم إلى رحمتك ورضوانك! ثم ضربه أخرى فقتله.

قال: فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بخازر، وهو مع عبيد الله بن زياد، فقال الناس: هذا قاتل هانئ بن عروة؛ فقال ابن الحصين: قتلني الله إن لم أقتله أو أقتل دونه! فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله.

موارد الاعتبار:

1 ـ كشف محمد بن الأشعث عن دوره في التجسس على عمه هانئ بن عروة حيث ذهب إلى ابن زياد وذكر له ثلاث نقاط:

أ. قد عرفت منزلة هانئ بن عروة في المصر ورتبتهُ في العشيرة.

ب. عَلِمَ قومه أني وصاحبي سقناه إليك.

ج. أُنشدك الله لما وهبتهُ لي فأني أكره عداوة قومه، ثم علل كراهة العداوة بأمرين بعزة القوم (أعزُ أهل المصر) وبكثرتهم (عدد أهل اليمن)، وقد غفل أن ابن زياد أراد أن يجعله مربوطاً بعجلة الحكم وذلك بتلطيخ سمعته وتفويت شعبيته فكيف يهبه ذلك.

2 ـ أن ابن زياد وعد ابن الأشعث أن يفعل أي يهب هانئ وهذا وعد كل حاكم لتحقيق المصلحة الوقتية فاغتر ابن الأشعث بهذا الوعد وظنه صادقاً ولكن ابن زياد بعدما انتهت مصلحته من دور ابن الأشعث حيث قبض على مسلم، ولم يكن بحاجةٍ إلى رهينةٍ مثل هانئ أعرض عن وعدهِ وضرب بذلك عرض الحائط.

3 ـ أن ابن زياد قتل مسلم بن عقيل في قصر الإمارة ورمى بجسده خارج القصر، وربما تحسباً من أن يفلت من أيديهم ولكنه لم يفعل كذلك في قتل هانئ بن عروة بل تجرأ وقال: «**فأخرجوه إلى مكان السوق وكان يباع فيه الغنم**»، فيكون في مرأى العامة من الناس تحقيراً لهاني وزيادة في الإرعاب.

4 ـ هاني أبدى شجاعة في المقاومة حيث إنه لما رأى أن الاستعانة بمذحج عشيرته القوية (وامذحجاه) لم يُلبّ إما خوفاً أو لعدم تواجدهم قال: «**من عصى أو سكين أو**

حجر» ولم يتيسر له شيئاً من ذلك وامتنع أن يمد عنقه بالرغم من الأوامر العسكرية فقال: **«ما أنا بها ممد وما أنا معينكم على نفسي»** مما يكشف عن مقاومة صلبة حتى آخر لحظة من حياته وآخر كلمة قالها: **«اللهم إلى رحمتك ورضوانك»**.

5 ـ الذي قتل هانئ كان (مولى تركي يقال له رشيد) ضربه ضربتين وذلك يكشف أن الحاكم لم يكن يثق بالعرب من العسكر فاستخدم موالي أجانب للقيام بهذه الأعمال لجهلهم بشخصية المتهمين وأهدافهم الإصلاحية وربما مموهاً عليهم بأنهم مجرمين يستحقون القتل.

تصفية المعارضة

رواية الطبري:

ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان، فأُتي به، فقال له: أخبرني بأمرك؛ فقال: أصلحك الله! خرجت لأنظر ما يصنع الناس، فأخذني كثير بن شهاب؛ فقال له: فعليك وعليك، من الأيمان المغلظة، إن كان أخرجك إلا ما زعمت! فأبى أن يحلف، فقال عبيد الله: انطلقوا بهذا إلى جبانة السبيع فاضربوا عنقه بها؛ قال: فانطلق به فضربت عنقه؛ قال: وأخرج عمارة بن صلخب الأزدي ـ وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره ـ فأتى به أيضاً عبيد الله فقال له: ممن أنت؟ قال: من الأزد، قال: انطلقوا به إلى قومه، فضربت عنقه فيهم، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قتله مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المرادي ـ ويقال: قاله الفرزدق:

إن كنت لا تدرينَ ما الموتُ فانظري
إلى هانئ في السُّوقِ وابن عقِيل
إلى بطَل قد هشَّمَ السيفُ وجْهَهُ
ولآخر يهْوِي من طَمار قَتِيلِ
أصابهما أمْرُ الأميرِ فأصبحا
أحاديثَ من يَسْرِي بكلِّ سبيل
تري جسداً قد غيَّر الموتُ لوْنَهُ
ونَضْحَ دم قد سال كلَّ مسيلِ
فتًى هو أحْيا من فَتاةٍ حَيِيّة
وأقطعُ من ذي شَفرتَين صقيل
أيركَبُ أسماءُ الهمالِيج آمِناً
وقد طلبته مَذْحِجٌ بِذُحول!
تُطيفُ حواليْه مُرادٌ وكلهُم
على رِقْبة من سائل ومَسُول
فإنْ أنتمُ لم تثأرُوا بأخيكُمُ
فكونوا بغايَا أُرْضيَتْ بقليل

موارد الاعتبار:

1 ـ قضى ابن زياد على زعيم المعارضة مسلم بن عقيل ومناصره الرئيسي هانئ بن عروة، وبعد ذلك توجه إلى تصفية المعارضة الذين يخشى منهم أي تحركٍ في المستقبل، وابتدأ بمن حبسهم رهينة من الذين تحركوا لنصرة مسلم بن عقيل وهما عبد الأعلى الكلبي وعمارة الأزدي.

2 ـ أمر ابن زياد أن يصلب الكلبي في جبانة السبع، وربما خوفاً من أتباعه حيث لم يظهر لهم أي مساندة علنية لمسلم

بن عقيل ولكنه أمر بقتل الأزدي في الأزد، مما يظهر أنه أراد إشاعة الرعب فيهم مما يكشف بوضوح أن سياسة الإرهاب كانت هي السياسة الحاكمة، وإن كلاً من الكلبي والأزدي لم يكن لهما رؤيا إسلامية واضحة لاتخاذ القرار الحاسم المطلوب في مثل هذه الظروف.

3 ـ أن الأبيات التي أنشدها عبد الله الأسدي أو الفرزدق تكشف عن أن الكثرة العددية وحدها لا تكفي في المواقف الحاسمة، فإن كلاً من مسلم الداعية الإسلامي كان له الكثرة في الأتباع، وأن هانئ كان له الكثرة في العشيرة، ولكن هذه الكثرة لم تتمتع بالرؤيا الواضحة لتحمل مسؤولياتها فإن النجاح للكثرة إنما يتحقق فيما إذا اتصفت بالوعي للماضي والحال والاستقبال لكلّ من العدو والصديق، لكل أهدافهما وخططهما، وهذا ما كان مفقوداً في الأتباع والعشيرة.

4 ـ أن المختار الثقفي و عبد الله بن الحارث (كانا خرجا مع مسلم) وللمختار راية خضراء ولعبد الله راية حمراء، ويظهرا أنهما كانا على حيطةٍ وحذر من فشل حركة مسلم، فلم يعلنا الولاء التام بعد الفشل، وكانت حجة المختار أنه أراد الدفاع عن عمر بن حريث فكأنها حجة قبلية توافق سياسة بن زياد المتبنية للروح القبلية، وربما لذلك اكتفى ابن زياد بحبسهما.

5 ـ يظهر من قول شبث بن ربعي: **«انظروا بهم الليل يفرّق»** أنه لم تكن للسلطة أي هدف سوى القضاء على رموز المعارضة فكان همهم فرق تسد بقتل الرموز أو حبسهم كي يتفرق الناس في الليل وقد نجحوا في ذلك.

خطة مدروسة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي، قال: ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهانئاً بعث برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه ـ وكان أول من أطال في الكتب ـ فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ اكتُب: أما بعد، فالحمدلله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه. أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال، وكدتُهُما حتى تخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأروح التميمي من أهل السمع والطاعة والنصيحة ـ فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر، فإن عندهما علماً وصدقاً، وفهماً وورعاً، والسلام.

فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك، ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما، وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت؛ فاستوص بهما خيراً، وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير: عن عون بن أبي جحيفة، قال: كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين ـ ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين في يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم ـ قال: وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل.

وذكر هارون بن مسلم، عن علي بن صالح، عن عيسى بن يزيد، أن المختار بن أبي عبيد و عبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء، وعليه ثياب حمر، وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث، وقال: إنما خرجتُ لأمنع عمراً، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً، وأن شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرقوا، فقال له القعقاع: إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم، فافرج لهم ينسربوا، وإن عبيد الله أمر أن يطلب المختار و عبد الله بن الحارث، وجعل فيهما جُعلا، فأتي بهما فحُبسا.

موارد الاعتبار:

1 ـ كتاب ابن زياد إلى يزيد يكشف عن خطة مدروسة من جانبه حيث يظهر الحقائق التالية:

أ. مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ.

ب. أن جعلت عليهما العيون.

ج. ودسست إليهما الرجال.

د. وكدتهما حتى استخرجتهما فضربتُ أعناقهما.

فالتركيز بالدرجة الأولى كان على هاتين الشخصيتين مسلم بن عقيل باعتباره سفير الحسين وهاني بن عروة باعتباره نصير الحسين والعيون لم نعرف منهما إلا معقل والدسيس، كذلك لم يظهر منهم إلا محمد بن الأشعث وطبيعة الموقف تقتضي أكثر من ذلك عدداً وأدوار الهمداني والتميمي غير معروفة، لكنها مشابهة حيث وصفهما ابن زياد بقوله: «**فإن عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً**». ومهما كانت هذه المرحلة فإنها تكشف عن خطط تحرزية استثنائية مشابهة للمستقبل.

2 ـ كتاب يزيد يكشف عن توافق تام ورضاً كامل بالمواقف والخطط وأهمها:

أ. إنك لم تعد إن كنت كما أحبُ عملت.

ب. عملت عمل الحازم.

ج. صدقت ظني.

د. دعوت رسوليك وسألتهما وناجيتهما... فاستوصِ بهما خيراً.

وهذه النقاط تكشف بوضوح عن تشجيع يزيد لابن زياد لما قام به والنقطة الأخيرة تكشف عن التوافق التام في الخطط المستقبلية وآثارها في المجتمع واستئصال المتعاطفين معها.

السياسة الموحدة بين يزيد وابن زياد بواسطة الرسولين الذين استوصى بهما خيراً تظهر من نقاط ذكرها يزيد في رسالته الجوابية وهي:

أ. قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق.

ب. فضع المناظر والمسالح.

ج. احترس على الظن.

د. خذ على التهمة.

هـ. غير أن لا تقتل إلا من قاتلك.

و. واكتب إليَّ في كل ما يحدث من الخبر والسلام.

وأهم هذه النقاط هي الثلاثة الأخيرة فإن الرابع (الأخذ على التهمة) لم يكن له سابقة في الكتاب والسنة مع أن الخامس من صميم الكتاب والسنة وهاتان النقطتان لا يجتمعان في آن واحد بل يناقض كل منهما الآخر فإن الأخذ على التهمة قد يستلزم القتال للدفاع عن النفس، فكيف التوفيق وهذا التناقض يكشف ان الرسالة كانت ضوءاً أخضر لمخطط مسبق حملهما الرسولان شفهاً كما أن النقطة السادسة والأخيرة تكشف عن تحمل يزيد المسؤولية في كل ما يتحدث إذ إنه أعطى الصلاحية التامة لابن زياد وإعلامه بكل ما يحدث.



مسيرة كربلاء
مكة ـ كربلاء (العراق)
8 ذو الحجة 60 هـ

نصائح المعارضة

رواية الطبري:

وفي هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة.

ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره في مسيره ذلك:

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، قال: لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين وتهيأ للسير إلى العراق، أتيتُه فدخلتُ عليه وهو بمكة، فحمدت الله وأثنيتُ عليه، ثم قلت: أما بعد، فإني أتيتك يابن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحني وإلا كففت عما أريد أن أقول؛ فقال: قل: فوالله ما أظنك بسيئ الرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل، قال: قلت له: إنه قد بلغني أنك تريد السير إلى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك؛ إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإن الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه، فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا بن عم؛ فقد والله علمتُ أنك مشيت بنُصح،

وتكلّمت بعقل، ومهما يُقض من أمر يكن، أخذتُ برأيك أو تركتُه، فأنت عندي أحمدُ مُشيرٍ، وأنصح ناصح.

قال: فانصرفتُ من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام، فسألني: هل لقيت حسيناً؟ فقلت له: نعم؛ قال: فما قال لك، وما قلت له؟ قال: فقلت له: قلت كذا وكذا، وقال كذا وكذا؛ فقال: نصحته ورب المروة الشهباء، أما ورب البنية إن الرأي لما رأيته، قبله أو تركه، ثم قال:

رُبّ مستنصَحٍ يَغُشُّ ويُرْدِي
وظَنينٍ بالغَيْبِ يُلْفى نَصيحَا

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب الوالبي، عن عقبة بن سمعان، أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا بن عم، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعتُ المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى؛ فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله! أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك؛ فقال له حسين: وإني أستخبر الله وأنظر ما يكون.

قال: فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدثه

ساعة، ثم قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاة هذا الأمر دونهم! خبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثتُ نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إلي شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله! فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلتُ بها، قال: ثم إنه خشي أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خُولف عليك إن شاء الله؛ ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وأن الناس لم يعدلوه بي، فود أني خرجت منها لتخلو له.

قال: فلما كان من العشي أو من الغد، أتى الحسينُ عبد الله بن العباس فقال: يا بن عم إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال؛ إن أهل العراق قوم غُدُرٍ، فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز؛ فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعوباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبث دعائك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية؛ فقال له الحسين: يا بن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكني قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير؛ فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تُقتل كما قُتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس

أطعتني لفعلتُ ذلك. قال: ثم خرج ابن عباس من عنده، فمر بعبد الله بن الزبير، فقال: قرّت عينك يا بن الزبيرّ ثم قال:

يــالــكِ مــن قُــبَّــرة بــمــعَــمْــرِ
خَـلا لَـكِ الـجـوُّ فـبـيـضـي واصْـفِـرِي
ونَـقّـرِي مـا شِـئـتِ أن تُـنَـقِّـري

هذا حسينٌ يخرج إلى العراق، وعليك بالحجاز.

موارد الاعتبار:

1 ـ اهتمام قادة المعارضة على اختلاف مبادئهم وغاياتهم بنصيحة الحسين ومنعه عن الخروج تكشف بالدرجة الأولى عن حقيقة مواقف أنفسهم أولاً وبالذات، وكان موقف الحسين الإنصات إلى هذه النصائح بدقةٍ وهدوء لمعرفة وجهات نظر المعارضين ثم تحليلها ورفضها حسب ما يفهمه المعارضون معلناً بموقفه الرافض لتلك النصائح عن إيمانٍ شخصي وحركةٍ مبدئية تفرضها العقيدة عليه.

2 ـ نصيحة عمر المخزومي تكشف عن وعي لحركة الحسين وأدب تجاه شخصية القائد وذكر الحسين العلل لسماع نصحه بقوله: «**فوالله ما أظنك سيّيء الرأي**» حيث لم يعهد منه هذا الجواب لغيره من الناصحين ولقد لخص نصيحته بقوله: «**إنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعد نصره**» ولم تكن هذه النصيحة خافية عن الحسين الذي عرف ماضي الناس وخاصة في الكوفة في عهد أبيه وأخيه ولخلوص هذه النصيحة الصادقة لم يرفضها الحسين رفضاً قاطعاً بل علق عليها بقوله:

«أخذت برأيك أو تركته فأنت عندي أحمدُ مُشير وأنصح ناصح» من دون أي إشعارٍ بقبولها أو رفضها بالنفي أو الإثبات.

3 ـ نصيحة عبد الله بن عباس تكشف عن نصيحة سياسي محنك تبتني على المصالح الشخصية السياسية بقوله: **«أتسير إلى قومٍ قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم»**، وفيه تجاهل عن شخصية الحسين الروحية التي تسير على خطى وأهداف مبدئية فأجابه الحسين بما يؤكد ذلك بقوله: **«إني أستخير الله وأنظر ما يكون»**، وفي نفس الوقت أعلن عن قراره بالمسير على نحو الإجمال بقوله: **«إني قد أجمعت المسير في أحد يومي»** من دون تحديد لليوم بالضبط تحسباً للمفاجآت التي قد تصده.

4 ـ نصيحة عبد الله بن الزبير تكشف عن شخصية منافسة بقوله: **«نحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم»** وقد أجابه الإمام بقوله: **«حدثت نفسي بإتيان الكوفة... وأستخير الله»** ويكون هذا الجواب عملياً مؤكداً على عدة نقاط:

أ. أنه لا يعضد التنافس من الموقع السياسي الطبقي الذي يدعو إليه ابن الزبير.

ب. أن من خياراته الذهاب إلى الكوفة لوجود الشيعة فيها الذين يعتبرون القاعدة وليس الخيار الوحيد له.

ج. أن الأمر أولاً وأخيراً يعود إلى الله بقوله: **«أستخير الله»** وإنه ليس للحسين أي قرار شخصي نهائي إلا بإرادة الله.

د. كلام ابن الزبير: «**أما لو كان لي بها [الكوفة] مثل شيعتك ما عدلت بها... أما أنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك**». وهذه النصيحة تكشف عن النقاط التالية:

1 ـ ترغيب الحسين بالخروج إلى الكوفة لأن له فيها قاعدة وأتباع.

2 ـ إذا قرر الحسين الإقامة في الحجاز فلا يعارضه ابن الزبير وذلك يعني أن ابن الزبير هو الحاكم على هذه المنطقة والمتكلم باسمها.

3 ـ أن ابن الزبير لم يطلب طلباً باتاً قاطعاً من الحسين في نزول مكة وتولي أمرها ولو كان صادقاً لفعل ولم يخفَ على الحسين مواقفه في الماضي، فكانت هذه النقاط كلها تلازم رفض الحكم للحسين في مكة إذ لو كان لسلم مفاتيح الحرم إليه مباشرةً من دون أي تعليق والحسين لمعرفته بتاريخ الرجل لم يعلق بكلمةٍ تؤيد هذه النصيحة، بل أعلن العكس حيث قال: «**أن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق**» وأيدها ابن عباس السياسي المحنك مخاطباً ابن الزبير: «**خلى لك الجو**».

هـ. الحسين القائد لم يغلق باب النصيحة في وجه من جاء بها عملاً بالمبدأ الإسلامي (الدين النصيحة) وسمع من قادة المعارضة وغيرهم على حدٍ سواء، وكان أكثرهم إصراراً بدافع عائلي هو عبد الله بن العباس، حيث اقترح خيارات ثلاث:

1 ـ اكتب إليهم [أهل الكوفة] فيكفوا عدوهم ثم أقدم عليهم.

2 ـ سر إلى اليمن ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة.

3 ـ فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك.

وهذه الخيارات لم تكن خافية عن الحسين وهي برمتها مرفوضة مبدئياً، أما الأول: لأن الحسين لم يرد تسلم الحكم للحكم، بل لتطبيق الإسلام، ومن المبادئ الإسلامية محاربة الظلم.

وأما الثاني: فإن الذهاب إلى اليمن من دون طلب أهلها فرض عليهم ما لم يطلبوه وهو نقض لأساس مبدئي في الحكم، والمفروض أنا الحسين لم يرد العزلة بل طورد وهو في بيته.

وأما الثالث: فالحسين لو ترك النساء والصبيان فعند من يتركهن، وتحت رحمة من وأي ضمان من الاعتداء عليهن من الأعداء، وهل يترك النساء والأطفال الحسين ليذهب وحده في هذا الظرف الحرج.

ويستخلص أن هذه النصائح يبرز من مواقف الناصحين ونواياهم أكثر من أن تكون نصائح التي لم يكن شيء منها خافياً عن الحسين الذي اتخذ قراره المبدئي للنصر أو الشهادة.

يوم التروية 8 ذي الحجة 60 هـ

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: قال أبو جناب يحيى بن أبي حية، عن عدي بن حرملة الأسدي، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: خرجنا حاجين من الكوفة حتى قدمنا مكة، فدخلنا يوم التروية، فإذا نحن بالحسين و عبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، قالا: فتقربنا منهما، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر، فآزرناك وساعدناك، ونصحنا لك وبايعناك، فقال له الحسين: إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش، فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى؛ فقال: وما أريد هذا أيضاً؛ قالا: ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس رائجين متوجهين إلى منى عند الظهر؛ قالا: فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة، وقص من شعره، وحل من عمرته، ثم توجه نحو الكوفة، وتوجهنا نحو الناس إلى منى.

قال أبو مخنف: عن أبي سعيد عقيصي، عن بعض أصحابه، قال: سمعت الحسين بن علي وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير، فقال له ابن الزبير: إلي يا بن فاطمة، فأصغى إليه، فساره، قال: ثم التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك! فقال: قال: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل داخلاً منها بشبر، وايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، ووالله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت.

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالبي، عن عقبة بن سمعان قال: لما خرج الحسين من مكة اعترضه رُسُل عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب! فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان، فاضطربوا بالسياط، ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين، ألا تتقي الله! تخرج من الجماعة، وتفرق بين هذه الأمة! فتأول حسين قول الله عز وجل: ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

موارد الاعتبار:

1 ـ اختار الحسين وقت الخروج يوم التروية 8 ذي الحجة وهو يوم تجمع المسلمين لأداء فريضة الحج عند ارتفاع الضحى، وذلك حسب التوقيت المحلي لمكة، يكون حوالي الساعة الحادية عشر صباحاً، حيث يكون الخروج من مشهد عام للجماهير ومن حيث المكان خرج من بين الحجر والباب في أقدس بقعة من بقاع الأرض في المسجد الحرام، حيث كان الوسيلة الوحيدة لإيصال صوته إلى الأمة الإسلامية أجمع.

2 ـ في محاولة أخيرةٍ لابن الزبير لاحتواء حركة الحسين وصبغهما بصبغة سياسية رفض الحسين ذلك بعدة مواقف:

أ. قال ابن الزبير: «**إن شئت أن تقيم فأقمت فوليت هذا الأمر**»، ولم يرد الحسين على هذا بل أكد على حرمة مكة، وتجنب القتال فيها كواجبٍ إسلامي مبدئي.

ب. قال ابن الزبير: «**إن شئت ولني أنا الأمر فتُطاع**»

فأجاب الحسين: «**ما أريد هذا**» لمعرفته بماضي الرجل وتاريخه ومواقفه في الماضي التي تكشف عن مواقف متشابهة في المستقبل.

ج. أن موقف ابن الزبير أظهرت نواياه في خطابه للحسين بقوله: «**يا بن فاطمة**» ولم يجبه الحسن عملاً بقوله تعالى: «**وأعرض عن الجاهلين**» حيث إن أسلوب الخطاب يكشف عن عقلية قبلية لا عن مبدأ بإحياء سنة رسول الله ﷺ.

د. أن ابن الزبير سارّ الحسين بشيء والحسين أصغى إليه، ولكن بعد ذلك أعلن بقوله: «**أتدرون ما يقول ابن الزبير**» لأن لا يُتخذ ذلك وسيلة لمصلحة سياسية وقتية.

هـ أن ابن الزبير اقترح في سره للحسين (الإقامة في هذا المسجد أجمع لك الناس) والحسين لم يلبِّ الدعوة فإن عدم التلبية تكشف عن عدم الرضوح لسياسة ابن الزبير إذ لو كان صادقاً لتبع الحسين عملياً.

3 ـ الحسين شرح للعامة دوافع الخروج معلناً إياها في نقاط:

أ. (لأن أُقتل خارجاً منها [مكة] بشبر أحبُّ إليّ) مؤكداً على قدسية الحرم الشريف كمبدأ إسلامي.

ب .«**وأيم الله لو كنتُ في جحر هامة من هذه الأهوام لاستخرجوني**» مؤكداً على أن يزيد باعتباره الرئيس الحاكم يجد في شخص الحسين ووجوده على قيد الحياة خطراً على حكمه يحاول الحكم القضاء عليه بأية وسيلة.

4 ـ حاول رُسل الحكم منع الحسين من الخروج واستخدمت الوسائل التالية:

أ. منع الحركة (اعترضه الرُسل).

ب. الأمر العسكري (انصرف).

ج. الاستجواب (أين تذهب).

د. المضاربة بالأسلحة (تدافع الفرق فأخرجوا بالسياط).

هـ. الدعاية المضادة بعد أن فشلت الوسائل المتقدمة (فنادوا يا حسين ألا تتقي الله تخرج عن الجماعة وتفرق بين هذه الأمة).

5 ـ الحسين أفشل كل تلك الوسائل بمواصلة مسيرته بعزم وثبات (فأبى عليهم ومضى) وهو يتلو الآية الكريمة: ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 41].

فإن هذه الآية الكريمة تكشف عن الثوابت الإسلامية في حركة الحسين التي تناقض الثوابت الملوكية في حكم يزيد فلم تؤثر في هذه الحركة الدعايات بل واصل الحسين مسيره.

التنعيم (1)

8 ذي الحجة 60 للهجرة

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... التنعيم بالفتح ثم السكون وكسر العين المهملة وياء ساكنة وميم موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة، وقيل على أربعة وسُمّي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال لهُ نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم والوادي نعمان وبالتنعيم مساجد حول

مسجد عائشة وسقيا على طريق المدينة منه يُحرم المكيون بالعمرة...»

(معجم البلدان 2:49)

رواية الطبري:

قال: ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم، فلقي بها عيراً قد أقبل بها من اليمن، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية ـ وكان عامله على اليمن ـ وعلى العير النورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد فأخذها الحسين، فانطلق بها؛ ثم قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض؛ قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه.

موارد الاعتبار:

1 ـ لقد بدأ الحسين في العمل في تطبيق العدالة الإسلامية بمقتضى الإمامة بالنسبة إلى العير من عامل اليمن لأنه مال المسلمين يجب تنفيذ حكم الله فيها بمنطلق إسلامي.

2 ـ إن أصحاب الإبل كانوا موظفين للدولة فلم يتعرض الإمام لهم بسوء لأنهم دخلوا الوظيفة لمصلحة شخصية لذلك خيرهم بأن يكون لهم الحرية الشخصية فقال الحسين لهم لا أكرهكم من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته جاعلاً لهم القرار، لأن حركة الحسين حركة عقائدية.

3 ـ إن الموظفين إنما قاموا بخدمتهم بحكم وظيفتهم فهم باعتبار

الوظيفة قاموا بعمل محترم شرعاً، فلا بد من التعويض لهم شرعاً، فقال الإمام لهم: من أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض.

4 ـ أثبت الإمام بهذه المبادرة عدة نقاط:

أولاً: العزيمة على المسير من دون مهادنة.

ثانياً: تطبيق العدالة في مال المسلمين.

ثالثاً: حركة الخيار بين الموظفين.

رابعاً: تعويض الأعمال بالعدل.

خامساً: الإكرام لمن استقام مع الحركة.

الصفاح(2)

11 ذي الحجة 60 هجرية

قال ياقوت الحموي (ت 626):

«... صفاح بالكسر وآخره حاء مهملة والصفح الجنب والجمع الصفاح، والصفاح السيوف العراض، والصفاح موضع بين حنين وإنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش وهناك لقي الفرزدق الحسين بن علي رضي الله عنه لما عزم على قصد العراق قال:

لقيت الحسين بأرض الصفاح
عليه اليلامق والدرق...»

(معجم البلدان: 3:412)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف؛ عن أبي جناب، عن عدي بن حرملة، عن عبد الله بن سليم والمذري قالا: أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح، فلقينا

الفرزدق بن غالب الشاعر، فواقف حسيناً فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب، فقال له الحسين: بين لنا نبأ الناس خلفك، فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء؛ فقال له الحسين: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته؛ ثم حرك الحسين راحلته فقال: السلام عليك، ثم افترقا.

قال هشام، عن عوانة بن الحكم، عن لبطة بن الفرزدق بن غالب، عن أبيه، قال: حججت بأمي، فأنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج، وذلك في سنة ستين، إذ لقيت الحسين بن علي خارجاً من مكة معه أسيافه وتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي، فأتيته فقلت: بأبي وأمي يا بن رسول الله! ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت؛ قال: ثم سألني: ممن أنت؟ فقلت له: امرؤ من العراق: قال: فوالله ما فتشني عن أكثر من ذلك، واكتفي بها مني، فقال: أخبرني عن الناس خلفك؟ قال: فقلت له: القلوب معك والسيوف مع بني أمية، والقضاء بيد الله؛ قال: فقال لي: صدقت! قال: فسألته عن أشياء فأخبرني بها من نذور ومناسك؛ قال: وإذا هو ثقيل اللسان من برسام أصابه بالعراق؛ قال: ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم وهيئته حسنة، فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص، فسألني، فأخبرته بلقاء الحسين بن علي، فقال لي: ويلك! فهلا اتبعته، فوالله ليملكن، ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه، قال: فهممت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدني ذلك عن اللحاق بهم،

فقدمت على أهلي بعسفان، قال: فوالله إني لعندهم إذ أقبلت عير قد امتارت من الكوفة، فلما سمعت بهم خرجت في آثارهم حتى إذا أسمعتهم الصوت وعجلتُ عن إتيانهم صرخت بهم: ألا ما فعل الحسين بن علي؟ قال: فردوا علي: ألا قد قُتل؛ قال: فانصرفت وأنا ألعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: وكان أهلُ ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر، وينتظرونه في كل يوم وليلة. قال: وكان عبد الله بن عمرو يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الأمر؛ قال: فقلت له: فما يمنعك أن تبيع الوهط؟ قال: فقال لي: لعنة الله على فلان - يعني معاوية - وعليك؛ قال: فقلت: لا، بل عليك لعنة الله؛ قال: فزادني من اللعن ولم يكن عنده من حشمه أحدٌ فألقى منهم شراً؛ قال: فخرجتُ وهو لا يعرفني - والوحظ حائط لعبد الله بن عمرو بالطائف؛ قال: وكان معاوية قد ساوم به عبد الله بن عمرو، وأعطاه به مالاً كثيراً، فأبى أن يبيعه بشيء.

موارد الاعتبار:

1 - إن لقاء الحسين والفرزدق لقاءُ جمعهم الطريق، حيث كان الفرزدق عازماً للحج مع أمه والفرزدق كأغلب الشعراء في عصره كانوا يمثلون دور الصحافة في عصرنا ومبادرته بالقول للحسين: «**أعطاك الله سُؤلك وأملك فيما تحب**» تكشف انه يرى حركة الحسين حركة خاسرة.

2 - الحسين لم يطلب من الفرزدق الالتحاق بالحركة مع أنه طلب من آخرين ذلك، وربما لمبادرته المذكورة أو لدوره بخدمة أمه، ولكن الإمام استغل اللقاء ليتطلع منه على الرأي العام فأجاب الفرزدق: قلوب الناس معكم وسيوفهم مع بني أمية.

3 ـ الحسين لم يكذب الفرزدق ولم يعقب على كلامه لأنه نابع من التفكير المادي الغالب على المجتمع، ولكن الحسين أكد على احدى ثوابت حركته وهي قوله المنبأ بالإيمان بالقضاء الإلهي.

4 ـ إن الحسين أجاب عن سؤال الفرزدق عن سبب استعجاله بالخروج بقوله: لو لم أعجل لأخذت، وهذه لأول مرة يعلنها الإمام للفرزدق دون غيره، ولم يعقب الفرزدق على ذلك بشيء مما يكشف عن علمهما معاً على خطط حكومة يزيد للقضاء على الإمام بأية طريقةٍ ممكنة ولو كان الإمام كشف هذا لغير الفرزدق ممن لم يكن له علم لكان يحاول إقناع الإمام.

5 ـ أن الفرزدق سأل الحسين عن مسائل دينية بحتة كالنذور لعلمه ان هذه آخر فرصة يمكنه الانتفاع من شخصية الإمام.

ذات عرق(3)

قال ياقوت الحموي (ت 626):

«... العرق بكسر أوله... وذات عرق مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة وقيل عرق جبلٌ بطريق مكة، ومنه ذات عرق وقال الأصمعي ما ارتفع من بطن الرمه، فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق وعرق هو الجبل المشرف على ذات عرق....»

(معجم البلدن 4:108)

رواية الطبري:

قال: وأقبل الحسين مغذاً لا يلوي على شيء حتى نزل ذات

عرق، قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن علي مع ابنيه: عون ومحمد: أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكُك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين: ورجاء المؤمنين؛ فلا تعجل بالسير فإني في أثر الكتاب؛ والسلام.

قال: وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه وقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع؛ فقال عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وأتني به حتى اختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له: اختمه، وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه، ويعلم أنه الجد منك، ففعل؛ وكان عمروبن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة؛ قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب، وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليَّ كان أو لي؛ فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي.

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي «بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك؛ بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف

عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إلي معهما، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحُسن الجوار لك، الله عليّ بذلك شهيدٌ وكفيلٌ، ومراعٍ ووكيلٌ؛ والسلام عليك».

قال: وكتب إليه الحسين: أما بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إني من المسلمين؛ وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمانُ الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا تُوجب لنا أمانة يوم القيامة فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة؛ والسلام[1].

موارد الاعتبار:

1 - تعتبر مبادرة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب آخر محاولة لصد الحسين وجاءت متأخرة جداً، وربما بطلب من عامل مكة، ولماذا لم تحصل هذه المبادرة حال كون الإمام في مكة لفترة طويلة مما تكشف أنها محاولة أموية بوجوهٍ علوية.

2 - يظهر فشل الوسائل التي تقدمت من التهديد والاعتراض حتى الدعايات المضادة فإنها فشلت في صد حركة الحسين فحاولت سعي الوسطاء من الأقرباء.

3 - حمل كتاب والي مكة تهديداً وتطميعاً شخصياً في نقاط:

أ. التهديد الشخصي (هلاكك).

ب. التهديد العائلي (استئصال أهل بيتك).

---

(1) رجع الطبري إلى حديث عمار الدهني راجع الملحق الثالث.

ج. التخوف على رمز الإسلام (إن هلكت اليوم طفأ نور الأرض).

وما التطميع:

أ. المصلحة الشخصية (الأمان).

ب. البر.

ج. الصلة.

د. حسن الجوار.

وكلها مصالح مادية، كما هي واضحة بعيدة عن ثوابت حركة الحسين فإن شيئاً من موارد التهديد والتطميع لم تكن غائبة عن فكر الإمام منذ حركته حتى وصول هذا الكتاب، فالكتاب يكشف عن فشل كل الوسائل التي استخدمتها الدولة.

4 ـ الإمام لم يقرأ الكتاب، بل أقرأه يحيى عامل مكة والإمام، بالرغم من ذلك واصل المسيرة ويكشف ذلك عن رؤيا واضحة بقوله: «**أُمرت فيها بامرٍ أنا ماضٍ**» وذلك ردُ على موارد التهديد والتطميع بأنه:

أ. لم يُشاقق الله ورسوله لاجتماع صفات ثلاثة فيه هي الدعوة إلى الله والعمل الصالح والإسلام.

ب. أمان والي مكة لا قيمة له لأنه لا يخاف الله.

ج. الصلة والبر لا يفتقران إلى وعدٍ أو كتابة فإنهما من الأعمال الصالحة من أراد الثواب والتقارب إلى الله أتى بهما من دون حاجةٍ إلى وعدٍ أو كتابه.

د. إذا كانت النية إلى الصلة والبر، فالله يجزي على ذلك في الدنيا والآخرة، وبذلك أحد الحسين على وضوح الرؤيا في مسيرته.

الحاجر(4)

قال ياقوت الحموي (ت 626):

«... الحاجر بالجيم والراء وفي لغة العرب ما يُمسك الماء من شفة الوادي، وكذلك الحاجور وهو فاعول وهو موضعُ قبل معدن النقرة...»

(معجم البلدان 2:204)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني يونس بن أبي اسحاق السبيعي، قال: ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة، بعث الحصين بن تميم صاحب شرطة حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القُطقُطانة وإلى لعلع، وقال الناس: هذا الحسين يريدُ العراق.

قال أبو مخنف: وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر [الحاجز][1] من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة.

---

(1) تاريخ الطبري: تحقيق وتعليق الأستاذ عبدالله علي مهنا مجلد 4/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1998م ـ المحقق.

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان مسلم بن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يُقتل لسبع وعشرين ليلة: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله. إن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي؛ والسلام عليك.

قال: فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يلوي على شيء، وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد إلى القصر فسُبّ الكذاب ابن الكذاب، فصعد ثم ثم قال: أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، بن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجز [الحاجز][1]، فأجيبوه؛ ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب. قال: فأمر به عبيد الله ابن زياد أن يُرمى به من فوق القصر، فرُمي به، فتقطع فمات. ثم أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن مطيع

---

(1) نفس المصدر السابق: طبعة 1998م ـ المحقق

العدوي، وهو نازل ها هنا، فلما رأى الحسين قام إليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله! ما أقدمك! واحتمله فأنزله، فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إلى أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم، فقال له عبد الله بن مطيع: أذكرك الله يا بن رسول الله وحرمة الإسلام تُنتهك! أنشدك الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم! أنشدك الله في حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحد، أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام تُنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية، قال: فأبى إلا أن يمضي.

موارد الاعتبار:

1 ـ إن كتاب مسلم: فأقبل حين تقرأ كتابي والسلام. يكشف عن قناعةٍ تامة من جانب مسلم.

2 ـ إن الحسين لم يستعجل ولم يُلَبِّ الطلب فوراً حين قرأ الكتاب بل أرسل رسالة جوابية مع قيس بن مسهر الصيداوي زيادة في التريث لاستطلاع الحال وأن لا يكون كتاب مسلم معبراً عن رأيه الشخصي فقط.

3 ـ وجهه الحسين الرسالة الجوابية إلى (أخواني من المؤمنين والمسلمين) ولم يوجهها إلى مسلم بن عقيل بالذات وقد شرح فيها ما تضمنه كتاب مسلم ومسيرته وتاريخ المسيرة وأكد عليهم بأمور ثلاثة:

أولاً: الأمر بالوحدة (اكتموا أمركم).

ثانياً: الجد في الدعوة (جدوا).

ثالثاً: الإخبار بالقدوم (فإني قادمٌ عليكم).

4 ـ إن حبسَ ابن زياد للصيداوي رسول الحسين وأمرهُ بالدعاية المضادة جعل الصيداوي استخدامها بذكاء فقد استجاب للطلب ولما اجتمع الناس أدى رسالته الحقيقية كما أراد الحسين عالماً بالنتيجة.

5 ـ إن العدوي الذي جمعه الماء مع الحسين أبدى تخوفهُ الشديد من حركة الحسين معللاً ذلك بدوافع حرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب وأبى الحسين أن يجيبه عن ذلك لأنها دوافع غير عقائدية ومن هو أعرف بحرمة الإسلام من الحسين [ابن بنت] رسول الإسلام.

زرود(5)

قال ياقوت الحموي (ت 626):

«... يجوز أن يكون من قولهم جملُ زرود أي بلوع والزد البلع ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب لأنها رمال بين التعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة...».

(معجم البلدان 4:139)

رواية الطبري:

قال: فأقبل الحسين حتى إذا كان بالماء فوق زرود.

قال أبو مخنف: فحدثني السدي، عن رجل من بني فزارة قال: لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين، التي أقطعت بعد زهير بن القين، من بني عمرو بن يشكر من بجيلة، وكان أهل الشأم لا يدخلونها، فكنا مختبئين فيها، قال: فقلت للفرازي: حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي، قال: كنا مع

زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزلنا يومئذٍ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغدى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم، ثم دخل فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتية؛ قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه! ثم انصرفت، فقال: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه؛ قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم، وحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنت طالق، الحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خير، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً، غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم! فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فإني أستودعكم الله؛ قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، عن عدي بن حرملة الأسدي، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: لما قضينا حجنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا تُرقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه

بزرود، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين؛ قالا: فوقف الحسين كأنه يريده، ثم تركه، ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه، فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك، قال: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم قلنا: فمن الرجل؟ قال: أسدي، فقلنا: فنحن أسديان فمن أنت؟ قال: أنا بكير بن المثعبة، فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك؛ قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق.

موارد الاعتبار:

1 ـ موقف زهير بن القين قبل اللقاء مع الحسين، يعبر عن الموقف العام، فيحاول محاولة من يريد السلامة.

2 ـ إن الحسين كان يدعو إلى حركته كل من يجد فيه الخير باعتبارهم جزءاً من الشعب المسلم المسؤول عن مصير نفسه، فأقبل رسول الحسين إلى زهير ولعظمة الموقف (طرح كل إنسان ما في يده).

3 ـ كان موقف امرأة زهير موقفاً حصيفاً فإن رسول شخصية كالحسين لا يمكن أن يرد بدون جواب قائله: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه.

4 ـ موقف زهير بعد اللقاء كان موقف من وجد في نفسه روح المسؤولية الإسلامية وأخذ قرارات حاسمة.

أولاً: طلق زوجته خشية أن تصطلي بالمصائب وهذا قرار عائلي شخصي.

ثانياً: خيَّر أصحابه من أن يتبعوه وهذا قرار إسلامي بإعطاء الحرية الكاملة.

ثالثاً: حدث بما حدثه سلمان الباهلي في آل محمد بقوله: فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم. ولعل حديثاً مشابهاً سمعه من الحسين ذكرهُ بحديث الباهلي، ومهما كان فأن حديث الباهلي يكشف عن سبق الأسباب لحركة الحسين.

5 ـ تطوع الأسديين بالالتحاق بحركة الحسين ومشاهدة عدول المسافرين من أهل الكوفة عن الطريق ورغبة الحسين في استعلام الحال يكشف عن التلاحم الشعبي لمساندة حركة الحسين بالتطوع لمتابعة الأخبار لصالحه.

الثعلبية(6)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«الثعلبية منسوبٌ بفتح أوله من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية وهي ثلثا الطريق وأسفل منها ماء يقال له الضويجع على ميل منها مشرف ثم تمضي فتقع في برك يقال لها برك حمد السبيل، ثم تقع في رمل متصل بالخزيمية وإنما سميت بثعلبية ابن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء لما تفرقت أزدُ مأرب لحق ثعلبة بهذا الموضع فأقام به فسمي به...».

(معجم البلدان 2:78)

رواية الطبري:

قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين، فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فجئناه حين نزل، فسلمنا عليه فرد علينا، فقلنا له: يرحمك الله؛ إن عندنا خبراً، فإن شئت حدثنا علانية، وإن شئت سراً؛ قال:

فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سر؛ فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟ قال: نعم، وقد أردتُ مسألته؛ فقلنا: قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ من أسد منا، ذو رأي صديق، وفضل وعقل، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، وحتى رآهما يجران في السوق بأرجلهما، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما، فردد ذلك مراراً، فقلنا: ننشدُك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن تكون عليك! قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب.

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن خالد، عن زيد بن علي بن حسين، وعن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أن بني عقيل قالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، أو نذوق ما ذاق أخونا.

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي، عن عدي بن حرملة، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين، قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء؛ قالا: فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير؛ قالا: فقلنا: خار الله لك! قالا: فقال: رحمكما الله! قالا: فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناسُ إليك أسرع؛ قال الأسديان: ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زُبالة.

موارد الاعتبار:

1 ـ كان موقف الحسين تجاه المتطوعين الجدد موقفاً حذراً حيث رفض الخلوة بهما فنظر إلى أصحابه ولم يكن في حاجةٍ إلى النظر إليهم وهو يعرفهم حق المعرفة ثم قال:

«ما دون هؤلاء سر»، تأكيداً على وضوح الرؤيا لدى الجميع.

2 ـ بالرغم من أن الأسديين أبديا استقصاء الأخبار لمصلحة الحسين لم يكذب الحسين الخبر بمقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة بل قال: إنا لله وإنا إليه راجعون مراراً وليس في ذلك تصديق أو تكذيب صريح.

3 ـ اقتراح الأسديين: **«نناشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت»** قد يكون من الولاء الشخصي من دون استيعاب لأهداف الحركة، وقد يكون من دورٍ غامض قاما به لمعرفة خطط الحسين، ولم يعلن الإمام عن عزمه صريحاً لهما.

4 ـ مقالة بني عقيل: **«لا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا»** مقالة نابعة من روح قبلية وهي بعيدة عن أهداف الحسين وأصحابه مما يظهر أنها مقالة للتشكيك في الخبر وإن الحسين أكد بقوله: **«لا خير في العيش بعد هؤلاء»** على وحدة المسير والمصير.

زُبالة(7)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... زُبالة بضم أوله منزلٌ معروف بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية وقال أبو عبيد السكوني زُبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق فيها حصنٌ وجامع لبني غاضرة من بني أسد...».

(معجم البلدان 3:129)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني أبو علي الأنصاري، عن بكر بن مصعب المزني، قال: كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة، مقتل عبد الله بن بقطر، وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب، فتلقاه خيل الحصين بن تميم بالقادسية، فسرح به إلى عبيد الله بن زياد، فقال: اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي! قال: فصعد، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس، إني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة ابن سمية الدعي. فأمر به عبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه، وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحه.

قال هشام: حدثنا أبو بكر بن عياش عمن أخبره، قال: والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه، ولكنه قام إليه رجل جعد طُوال يشبه عبد الملك بن عمير. قال: فأتى ذلك الخبرُ [حسيناً][1] وهو بزُبالة، فأخرج للناس كتاباً، فقرأ عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة و عبد الله بن بقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منك الانصراف فلينصرف، ليس عليه منا ذمام.

قال: فتفرق الناس عنه تفرقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن إنما

---

(1) تاريخ الطبري/ طبعة 1998م ـ المحقق.

أتبعه الأعراب، لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه.

موارد الاعتبار:

1 - أرسل الحسين أخاه من الرضاعة عبد الله بن بقطر حاملاً رسالة إلى مسلم بن عقيل في الكوفة وكان قد أرسل من قبل الصيداوي رسولاً وكثرة الرسل تدل على التأكد من واقع الحال.

2 - كان رسول الحسين واعياً لسياسة بن زياد لما أمره بأن يصعد المنبر ويلعن الكذاب ابن الكذاب فقبل العرض وصعد المنبر وعبر عن رسالة الحسين وحقيقة الموقف لعلمه بأنه في أسر الظالمين وهم يتبعون مصالحهم.

3 - أن ابن زياد استخدم منتهى القسوة متحدياً الأعراف القبلية فألقي من فوق القصر فكسرت عظامه ثم ذبحه اللخمي معذراً بقوله: «**أردت أن أريحه**».

4 - إن الحسين تأكد من مقتل مسلم وهاني و عبد الله، حينما وصله الكتاب بذلك فأعلن إعلاناً عاماً على أصحابه بقراءة الكتاب عليهم والإمام لم يذكر المرسل بالاسم لعله لعلمه بماضيه وماضي أبيه والحذر من دوره ودور الرسول الذي كان يلعب دور العين على مسيرة الإمام.

5 - يظهر أن رواية الطبري لم يورد نص كتاب الأشعث بل أوردت تعليق الإمام عليه بقوله: «**قد أتانا خبرٌ فظيع**» وطبيعي أن يستلزم هذا قراراً قيادياً حاسماً فأعلن الإمام

موقفه لأصحابه وأعدائه على حدٍ سواء وهو قرار المقاومة حتى النصر أو الشهادة.

6 ـ أعطى الإمام الحرية الكاملة لأصحابه بقوله: «**من أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام**» وطبيعيٌ أن يكون لكل من طرق المقاومة والمسالمة أصحاب، وبقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة وغيرهم من الذين اختاروا المقاومة، وهم على علمٍ بالحركة وأهدافها فكرهه أن يسروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون بأن يكون لهم رؤيا واضحة بالمسير والمصير.

بطن عقبة(8)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... البطن الغامض من الأرض وجمعه بطنان مثل عبد وعُبدان...)

(معجم البلدان 1:448 ط/1995)

«... والعقبة منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة وهو ماءُ لبني عكرمة بن بكر بن وائل...»

(معجم البلدان 4:134)

رواية الطبري:

قال: فلما كان من السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء وأكثروا، ثم سار حتى مرّ ببطن العقبة، فنزل بها.

قال أبو مخنف: فحدثني لوذان أحد بني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد؟ فحدثه، فقال له: إني أنشدك الله

لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكرها فإني لا أرى لك أن تفعل. قال: فقال له: يا عبد الله، إنه ليس يخفى علي، الرأيُ ما رأيت، ولكن الله لا يُغلب على أمره؛ ثم ارتحل منها.

ونزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكة، وولاها عمرو بن سعيد بن العاص، وذلك في شهر رمضان منها، فحج بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عُتبة عمرو بن سعيد، وعلى الكوفة والبصرة وأعمالها عبيد الله بن زياد وعلى قضاء الكوفة شُريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة.

موارد الاعتبار:

1 ـ قرر الإمام النزول في العقبة ربما لأمرين:

أولاً: أنه ماء يفتقر إليها في الطريق.

ثانياً: أنه ماء لبني عكرمة ليتمكن من نقل رسالته الإصلاحية إلى أصحابها وهم بنو عكرمة بن بكر بن وائل فنزل بطن عقبة أي وسطها.

2 ـ تكررت المحادثات والنصائح من بني عكرمة كما سبق لأصحاب المعارضة مما يكشف عن التعتيم الذي حصل على المجتمع حول مسيرة الحسين بالذات.

3 ـ كان الإمام يجيب على هذه النصائح بقدر ما تكشف عن شخصيته النصحاء ومدى بعدهم عن الواقع مؤكداً على مسؤوليته فقال الإمام «**يا عبد الله إنه ليس يخفى على الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يُغلب عليّ أمره**» مؤكداً على رؤيا واضحة لعظم المسؤولية.

4 ـ أن يزيد بن معاوية قام بتعديلات في إدارته مستخدماً من هم أشدُ ولاء له والمسؤولون الجدد هم عمرو بن سعيد بن العاص في مكة، عبيد الله بن زياد في الكوفة والبصرة وغيرهما ممن يقتضي دراسة حياتهم وأدوارهم دراسة مستقلة.

شراف(9)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... شراف بفتح أوله وآخره فاء وثانيه مخفف فعالُ من الشرف، وهو العلو قال نصر: ماء بنجد له ذكرٌ كثير فيه آثار الصحابة ابن مسعود وغيره...»

(معجم البلدان 3:331)

رواية الطبري:

ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه، قُتل فيها في المحرم لعشر خلون منه، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، قال: حدثني مُحدث،

عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكذلك قال الواقدي وهشام بن الكلبي؛ وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق وما كان منه في سنة ستين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستين وكيف كان مقتلُه.

حُدثت عن هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو جناب، عن عدي بن حرملة، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الأسديين قالا: أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شراف، فلما كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم ساروا منها، فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار. ثم إن رجلاً قال: الله أكبر! فقال الحسين: الله أكبر ما كبرت؟ قال: رأيتُ النخل، فقال له الأسديان: إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط؛ قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأى؟ قلنا: نراه رأى هوداي الخيل؛ فقال: وأنا والله أرى ذلك!

موارد الاعتبار:

1 ـ نزل الحسين شراف وبحكم التسمية يظهر أنه موضع عالٍ مرتفع يشرف على النواحي المحيطة به، ويمكن الاستطلاع للمسافرين، بات الحسين في شراف الليل وقرر السفر في وقت السحر مما يظهر استعداده لسفر بعيد وقد سافر عند السحر لأن لا تحدد مسيرته للمراقبين الذين يخلدون إلى النوم في مثل هذا الوقت.

2 ـ مبدأ السير في شراف كان أول يوم محرم 61 هـ بعد صلاة الصبح عادةً أي 72 دقيقة قبل شروق الشمس وهو حسب توقيت مكة في هذا التاريخ هو حوالي السابعة والربع صباحاً.

3 ـ وبحكم علو شراف وارتفاع الموضع، تمكن أصحاب الحسين أن يترصدوا حركات العدو في أولى مراحلها فعند منتصف النهار أي حوالي الواحدة واثنا عشر دقيقة شاهد أحد منهم ما ظنه النخيل فكبر فلا بد أن يكون هذا الرجل من أهل المدينة المنورة الذين لا معرفة لهم بخطط المنطقة.

4 ـ قام الحسين بأدب الإسلام من الشورى فسأل الأسديين لأنهما أعرفُ بالمنطقة وأولى بالرأي.

5 ـ ووافق الحسين أنه ليس النخيل بل (هوادي الخيل) أي مقدمها وقال الحسين: **«والله أرى ذلك»** مما يكشف عن علمٍ مسبق بالأمر مما لم يكشفه حتى تستبين الحال لغيره زيادَة في التثبت.

6 ـ استعد الحسين للمواجهة من جهةٍ واحدة واختار ملجأ بقوله: **«أما لنا ملجا نلجا إليه»**.

ذو حُسُم(10)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... حُسُم بالضم ثم الفتح مثل خُوذ وصُرَد كأنه معدُلُ عن حاسم وهو المانع ويروى حُسُم بضمتين وهو اسم موضع...»

(معجم البلدان 2:258)

رواية الطبري:

فقال الحسين: أما لنا ملجأ نلجأ إليه، نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى، هذا ذو حُسُم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد، قالا: فأخذ إليه ذات اليسار؛ قالا: وملنا معه فما كان بأسرع من أن

طلعت علينا هوادي الخيل، فتبيناها، وعدنا، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسنتهم اليعاسيب، وكأن راياتهم أجنحة الطير قال: فاستبقنا إلى ذي حُسُم فسبقناهم إليه، فنزل الحسين، فأمر بأبنيته فضُربت وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم، فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عب فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه، وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

قال هشام: حدثني لقيط، عن علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحُر بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية ـ والراوية عندي السقاء ـ ثم قال: يابن أخِ [أخي][1]، أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلما شربتُ سال الماء من السقاء، فقال الحسين: أخنث السقاء ـ أي اعطفه ـ قال: فجعلتُ لا أدري كيف أفعل! قال: فقام الحسين فخنثه، فشربتُ وسقيتُ فرسي.

موارد الاعتبار:

1 ـ كان اقتراح الأسديين ذو حسم اختياراً كملجأ والتسمية من حاسم، بمعنى المانع يكشف أن الموقع كان محصناً نسبياً وأخذ الإمام بالرأي.

---

(1) تاريخ الطبري: ط 1998 ـ المحقق..

2 ـ لاحق جيش العدو الحسين وأصحابه بسرعة ولما رأوا عدول الحسين عن الطريق عدلوا إليهم مما يكشف عن ترصد دقيق لتحركات الحسين وموقعه وجهة مسيره.

3 ـ إن عدد جيش العدو كان ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد اليربوعي التميمي والجيش كان مجهزاً بالأسلحة المستخدمة في ذلك العصر وأهمها الأسنة التي كانت كثيرة (كاليعاسيب) أي النحل من حيث الكثرة وكذلك الرايات المنشورة للسرعة (كأجنحة الطير) في وصولها إلى الأهداف بالسرعة.

4 ـ موقف الحسين تجاه جيش العدو كان موقفاً عملياً في تطبيق العدالة الإسلامية حتى بالنسبة إلى العدو حيث وصلوا في وقت الظهيرة فأمر الحسين بإسقاء القوم وإروائهم الماء ورشف الخيل كلها وشارك شخصياً في ذلك.

مواجهة الجيش

رواية الطبري:

قال: وكان مجيء الحر بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية، وذلك أن عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبالُ الحسين بعث الحصين بن تميم التميمي ـ وكان على شُرطَة ـ فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالح فينظم ما بين القُطقُطانة إلى خفان، وقدم الحر بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية، فيستقبل حسيناً. وقال: فلم يزل موافقاً [موافقاً][1] حسيناً حتى حضرت الصلاة صلاة الظهر، فأمر الحسين

(1) تاريخ الطبري: ط 1998 ـ المحقق..

الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذن، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم؛ إني لم آتكم حتى أتتني كتُبُكم، وقدمت عليّ رُسُلكم: أن أقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى؛ فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تُعطوني ما أطمئنُّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم. قال: فسكتوا عنه وقالوا للمؤذن: أقم، فأقام الصلاة، فقال الحسين عليه السلام للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك؛ قال: فصلى بهم الحسين، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحُر إلى مكانه الذي كان به، فدخل خيمة قد ضُربت له، فاجتمع إليه جماعةٌ من أصحابه، وعاد أصحابُه إلى صفهم الذي كانوا فيه، فأعادوه، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلها، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيئوا للرحيل. ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر، وأقام فاستقدم الحسين فصلى بالقوم ثم سلم، وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم، وقدمت به عليّ رُسُلكم، انصرفت عنكم، فقال له الحر بن يزيد: إنا والله ما ندري ما هذه الكتُبُ التي تذكر! فقال الحسين: يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي، فأخرج خرجين مملوءين صُحُفاً، فنشرها بين أيديهم؛ فقال الحُر: فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك

حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد، ؛ فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، ثم قال لأصحابه: قوموا فاركبوا، فركبوا وانتظروا حتى ركبتْ نساؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك! ما تريد؟ قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركتُ ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه؛ فقال له الحسين: فما تريد؟ قال الحر: أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد، قال له الحسين: إذن والله لا أتبعك؛ فقال له الحر: إذن والله لا أدعك؛ فترادا القول ثلاث مرات، ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر: إني لم أومر بقتالك، وإنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة، ولا تردك إلى المدينة، تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت، فلعل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك؛ قال: فخذ هاهنا فتياسر عن طريق العُذيب والقادسية، وبينه وبين العُذيب ثمانية وثلاثون ميلاً. ثم إن الحسين سار في أصحابه والحر يسايره.

موارد الاعتبار:

1 ـ كشفت المواجهة عن دور الحسين باعتباره القائد الإسلامي الذي يرى جيش العدو جيشاً مضللاً يفتقر إلى توعية إسلامية، وكذلك عن دور الحر باعتباره قائد جيش العدو المأمور بمهمة عسكرية يجب عليه تنفيذها فقام كلٌ منهما في هذه المواجهة الأولى بدوره بالقولِ والعمل.

2 ـ لما حان وقت صلاة الظهر أمر الحسين بالآذان استعداداً لأداء الواجب الديني ولما حضرت الإقامة خرج الحسين في حالةٍ عادية لكل مواطن (في إزار ورداء ونعلين) من دون أية مؤشر للحرب أو المواجهة على النقيض تماماً من موقف جيش العدو الذي لم يبادر إلى شيءٍ من ذلك.

3 ـ الحسين عل خلاف العادة في الصلوات اليومية خطب خطبةً أولى لتوعية الجيش شرح مسيرته التي انتهت إلى الموضع وجيش العدو على استعدادٍ كامل ينصتون لكل كلمة يقولها والحسين يفوت عليهم أي مبررٍ للهجوم وخطبة الحسين تضمنت المواد الصريحة الواضحة:

أ. أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم.

ب. إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت على رُسلكم.

ج. إن مضمون الرُسل (ليس لنا إمام لعل يجمعنا بك الله على الهدى).

د. فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم.

هـ. إن تعطوني ما اطمأن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدمُ مصركم.

و. أن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ.

وهذه المواد لم تكن خافية على أحد من قادة جيش العدو وإنما أعلنها الحسين لتوحية العامة من الجيش وقد زاد الحسين المادة الخامسة تأكيداً على أمرين:

الأول: عدم الرغبة الشخصية في الحكم بل العمل بالواجب.

الثاني: عدم الثقة بالجانب الآخر-إلا بضمانات جديدة.

4 ـ جيش العدو لم يملك أي جواب إلا السكوت وأراد من بيده الأمر أن يقطع كلام الحسين قالوا: «**للمؤذن أقم**» ويبقى السؤال لماذا استجاب هذا المؤذن للطلب ولم يستأذن الحسين حيث يكشف أن المقيم كان من الجيش.

5 ـ الحسين أبدى موقفه الرافض للجيش بقوله: «**أتُريد أن تصلي بأصحابك**» حيث إن الأمر بالإقامة جاء من قبل الجيش ولكن الحر أبى إلا أن يصلي بهم الحسين ولعله استمالةً للحسين تمهيداً لموقف المفاوضة.

6 ـ حينما صلى الحسين العصر خطب خطبة ثانية مؤكداً مواقفه في الخطبة الأولى فقال قائد الجيش الحر: «**والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر**» وبما أن الحسين كان متوقعاً لهذا النوع من التضليل الذي عمّ المجتمع الإسلامي آنذاك طلب من عقبة بن سمعان أحد أصحابه إخراج الخرجين اللذين فيهما كتبهم.

7 ـ والحر كقائد عسكري مأمور قال: «**إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن نلقاك أن لا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد**» فهو يؤدي دوره المأمور به.

8 ـ وكان من الطبيعي أن يرفض الحسين ذلك قائلاً: «**الموت أدنى إليك من ذلك**» ولما حال الجيش بينه وبين الانصراف أبدى الحر تفهماً للموقف الحرج الذي وقع فيه وبعد محادثةٍ ترددت ثلاث مرات انتهى إلى قرارٍ شخصي فقال

الحر: «**إني لم آمر بقتالك وأني أُمرت أن لا أُفارقك حتى أُقَدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد**» وكان هذا اقتراحاً منصفاً لقائد جيش مأمور في موقعه.

9 ـ وخطب الحسين خطبة ثالثة حيث وجهت لأصحاب الحسين خاصة فقد قام بعض أصحابه وأيد موقف الإمام تأييداً مطلقاً وشرح الموقف بقوله: «**قد نزل من الأمر ما قد ترون**»، وأعلن أنه شخصياً لا يرى الموت إلا شهادة مستعرضاً الأسباب التالية:

أ. أن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها.

ب. لم يبق منها إلا صبابة.

ج. إن الحق لا يعمل به.

د. إن الباطل لا يُتناهى عنه.

هـ. يرغب المؤمن في لقاء الله.

وبذلك حدد الحسين الخيارات لمن يشعر بالمسؤولية.

10 ـ رد الفعل من أصحاب الحسين كان متشابهاً وقد عرفها جيش العدو كما عرف أن الحسين ليس وحيداً في موقفه فقال زهير بن القين البجلي مخاطباً أصحاب الحسين: «**تتكلمون أم أتكلم. قال: لا بل تتكلم**» ولذلك كان متكلماً عن موقف أصحاب الحسين وكلمة زهير القصيرة كانت صريحة وواضحة نابعة عن ثبات في الرأي وأصالة في العقيدة وتلاحم مع الحسين حتى الشهادة واستشهد الحسين بأبيات الأنصاري الذي ذهب لنصرة رسول الله معيداً إلى

الأذهان أن حركة الحسين هي حركة جده رسول الله ﷺ وإن أصحابه كأنصار الرسول ﷺ. فهو عبرة من التاريخ الإسلامي ما توفرت الشروط وأهمها نية الحق ومفارقة الهالكين والمواساة والجهاد.

البيضة (11)
قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... بيضة بفتح أوله وبكسر ومنهم من يجعل المفتوح غير المكسور كما نحكيه عنهم... وقال أبو محمد الأعرابي الأسود البيضة بكسر الباء ماءٌ بين واقصة إلى العُذيب متصلة بالحزن لبني يربوع... وأيضاً موضعُ بين العُذيب وواقصة في أرض الحزن من ديار بني يربوع بن حنظلة...».

(معجم البلدان 1:532)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن عقبة بن أبي العيزار، إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مُدخله**». ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير، قد أتتني كتبكم، وقدمت على رُسُلكم ببيعتكم، أنكم لا

تُسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تُصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيُغنى الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقال عقبة بن أبي العيزار: قام حسين عليه السلام بذي حُسُم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت جداً، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعة الوبيل. ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحُقاً؛ فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً.

قال: فقام زهير بن القين البجيلي فقال لأصحابه: تكلمون أم أتكلم؟ قالوا: لا، بل تكلم؛ فحمد الله فأثنى عليه ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا بن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها.

قال: فدعا له الحسين ثم قال له خيراً، وأقبل الحُر يسايره وهو يقول له: يا حسين، إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتُقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى؛ فقال له الحسين: أفبالموت تخوفني! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوْس لابن عمه، ولقيه وهو يريد نُصرة

رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: أين تذهب؟ فإنك مقتول؛ فقال:

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتَى
إذا ما نَوَى حقّاً وجاهدَ مسلمَا
وآسى الرجالَ الصالِحينَ بنفسِه
وفارق مثبوراً يَغُشُ ويُرْغمَا

موارد الاعتبار:

1 ـ خطب الحسين خطبته الثالثة مخاطباً أصحابه وأصحاب الحر وتكشف هذه الخطبة عن مدى التضليل الذي ساد المجتمع الإسلامي آنذاك وركز الحسين في خطبته على توعية الجماهير المضللة أداء لمسؤوليته الإسلامية.

2 ـ تضمنت الخطبة بنوداً ومواد يظهر أنها كانت أجوبة للحر وإعلاناً عاماً لما دار بينهما فقد قال الطبري في روايته: **«لما كثر الكلام بينهما»**. ولم يشرح طبيعة الكلام فأراد الحسين إعلانها في نقاطٍ أهمها:

أ. المسؤولية تجاه السلطان الجائر.

ب. حقيقة الحكم القائم وإدانته بالجور لأسباب ذكر منها:

1 ـ لزموا طاعة الطغاة.

2 ـ تركوا طاعة الرحمن.

3 ـ أظهروا الفساد.

4 ـ عطلوا الحدود.

5 ـ استأثروا بالفيء.

6 ـ أحلوا حرام الله.

7 ـ حرموا حلاله.

3 ـ التعريف بشخصه وبيان نسبه قائلاً: **«أنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله»** مما يظهر التعتيم والدعاية المضللة عن شخصية الحسين باعتباره قائد حركة إصلاحية.

4 ـ أن حركته من المدينة لم تكن برغبةٍ شخصيةٍ منه أو بمبادرة شخصية منه بل كانت بدعوة أهل الكوفة (أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رُسُلكم).

5 ـ الحرية بالخيار على مواصلة البيعة والتنبؤ بالمستقبل مذكراً بحوادث التاريخ.

عُذيب الهجانات(12)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«العُذيب وهو تصغير العذب وهو الماء الطيب وهو ماءٌ بين القادسية والمغيثة بغية وبين القادسية أربعة أميال وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً وقيل هو وادٍ لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة وقيل هو حد السواد...»

(معجم البلدان 4:92)

رواية الطبري:

قال: فلما سمع ذلك منه الحر تنحى عنه، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عُذيب الهجانات، وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له

الكامل، ومعهم دليلهُم الطرِمّاح بن عديّ على فرسه، وهو يقول:

يـا نـاقـتـي لا تـذعَـري مـن زَجْـرِي
وشـمّـري قـبـلَ طـلـوعِ الـفَـجْـرِ
بـخـيـر رُكـبـانٍ انِ وخـيـر سَـفْـرِ
حتّى تَجلّي بكريم النّجْرِ [النَّحْرِ][1]
الـمـاجـدِ الـحـرِّ رَحـيـبِ الـصـدرِ
أتـى بـه اللهُ لـخـيـرِ أمْـرِ
ثُـمـّت أبـقـاه بـقـاءَ الـدَّهـرِ

قال: فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات، فقال: أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتلنا أم ظفرنا؛ قال: وأقبل إليهم الحر بن يزيد فقال: إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادّهم، فقال له الحسين: لأمنعهم مما أمنع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ألا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد، فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك؛ قال: هم أصحابي، وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تممت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك؛ قال: فكف عنهم الحر؛ قال: ثم قال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس وراءكم، فقال له مجمع بن عبد الله العائذي، وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه: أما أشراف الناس فقد أعظمت وشوتهم، ومُلئت غرائرهُم، يُستمال ودهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألبٌ واحدٌ عليك، وأما سائر الناس بعد، فإن أفئدتهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك؛ قال: أخبروني، فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مسهر الصيداوي، فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن

(1) تاريخ الطبري: ط 1998 ـ المحقق.

تميم فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نُصرْتك، وأخبرهم بقدومك، فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر؛ فترقرقت عينا حسين عليه السلام ولم يملك دمعة، ثم قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾. اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نُزُلاً، واجمع بيننا في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك.

قال أبو مخنف: حدثني جميل بن مرثد من بني معن، عن الطرماح بن عدي، أنه دنا من الحسين فقال له: والله إني لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم؛ وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم، فقيل: اجتمعوا ليعرضوا، ثم يسرحون إلى الحسين، فأنشدُك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت! فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسرْ حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يُدعى أجأ، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذل قطُّ؛ فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طيىء، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيىء، رجالاً وكباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله لا يُوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف؛ فقال له: جزاك الله وقومك خيراً! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه!.

قال أبو مخنف: فحدثني جميل بن مرثد، قال: حدثني الطرماح

بن عدي، قال: فودعته وقلتُ له: دفع الله عنك شر الجن والإنس، إني قد أمرت لأهلي من الكوفة ميرةً، ومعي نفقة لهم، فلآتيهم فأضع ذلك فيهم، ثم أقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك؛ قال: فإن كنت فاعلاً فعجل رحمك الله؛ قال: فعلمتُ أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل؛ قال: فلما بلغتُ أهلي وضعتُ عندهم ما يصلحهم، وأوصيت، فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مرتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم، فأخبرتُهم بما أريد، وأقبلت في طريق بني ثُعَل حتى إذا دنوتُ من عُذيب الهجانات، استقبلني سماعة بن بدر، فنعاه إلي، فرجعت.

موارد الاعتبار:

1 ـ لحوق أربعة من أهالي الكوفة بموكب الحسين بالرغم من الرقابة العامة يكشف عن مدى تحدي هؤلاء للسلطة القائمة.

2 ـ لما أنشد الأربعة القادمون رجز الطرماح الدليل علق الحسين بقوله: «**إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا**» وهذه إحدى الثوابت في السيرة النبوية (إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة) وكأن الحسين اعتبر القتل في سبيل الله خيراً تنبأ إلى المستقبل لما يترتب على ذلك من وعيٍ جماهيري.

3 ـ كان موقف الحر كقائد عسكري في السماح لهؤلاء الأربعة بلقاء الحسين موقف المراقب لتصرفاتهم ورد فعل الحسين ومن ناحيةٍ أخرى، أراد جس النبض بقوله: «**أنا حابسهم أو رادهم**» لجس نبض موقف الحسين.

4 ـ موقف الحسين كان موقف القائد المحامي لأنصاره بقوله:

«لأمنعهم مما أمنع منه نفسي» ولم يرضخ الحر لذلك إلا بعد ما هدده الحسين بالقتال.

5 ـ استعلم الحسين عن الحالة العامة في الكوفة والحالة الخاصة لأصحابه ولما عرف استشهاد أصحابه أثرت في شخصيته ولم يملك دمعه وأكد على وحدة المسير والمصير بقوله: **«ومنهم من قضى نحبه»**.

6 ـ في كلام مجمع بن عبد الله العائذي أحد الأربعة الذين جاؤوا للحسين ما يكشف عن خطط مسبقة لمواقف أهل الكوفة حيث قال ما مفاده أن أشراف الناس بالرشوة استمالهم ابن زياد وإن سائر الناس أفئدتهم تهوي إليك وسيوفهم مشهورة عليك ولا يخلو مجتمع من هاتين الطائفتين.

7 ـ لقد أثر الموقف في شخصية الدليل الطرماح الطائي فاقترح على الحسين ما رآه حلاً للمشكلة بالانصراف إلى طيّىء وأجابه الحسين مؤكداً على ثابتةٍ إسلاميةٍ من الالتزام بالوعد بقوله: **«قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولاً لسنا نقدر معه على الانصراف»**.

8 ـ إن موقف الجعفي مع الحسين يكشف عن موقف من لا يريد تحمل المسؤولية والحسين من جانبه كان يريد أن يبين المسؤولية العامة الملقاة على عاتق كل فردٍ منهم واكتفى بوعده ألا ينصر الظالمين.

قصر بني مقاتل (13)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«.. قصرٌ كان بين عين التمر والشام وقال السكوني: هو قرب القطقطانة وسلام ثم القُريات وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصبه بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم...».

(معجم البلدان ج 4:364)

وقال الحموي أيضاً: القطقطانة بالضم ثم السكون ثم قاف أخرى مضمومة وطاء أخرى وبعد الألف نون وهاء ورواه الأزهري بالفتح والقطقط أصفر المطر وتقطقطت الدلو في البئر إذا انحدرت موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف به كان سجن النعمان بن المنذر وقال أبو عبيد الله السكوني القطقطانة بالطف بينهما وبين الرُهيمة مغرباً نيف وعشرين ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام ومنه إلى قصر مقاتل ثم القُريات ثم السماوة ومن أراد خرج من القطقطانة إلى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الفيوم إلى هيت...».

(معجم البلدان ج 4:374)

وقال ياقوت أيضاً:... والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم...».

(معجم البلدن ج 4:36)

رواية الطبري:

قال: ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل، فنزل به، فإذا هو بفُسطاط مضروب.

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، أن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله ابن الحر الجعفي، قال: ادعوه لي، وبعث إليه، فلما أتاه الرسول، قال: هذا الحسين بن علي يدعوك، فقال عبيد الله بن الحر: إنا لله وإنا إليه راجعون! والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين نعليه، فانتعل، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه، فسلم وجلس، ثم دعاه إلى الخروج معه، فأعاد إليه ابن الحر تلك المقالة، فقال: فإلا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع داعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك، قال: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله. ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عقبة بن سمعان قال: لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل. ففعلنا؛ قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين؛ قال: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً؛ قال: فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمدلله رب العالمين، يا أبت، جعلت فداك! مم حمدت الله واسترجعت؟ قال: يا بني، إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمتُ أنها أنفسنا نُعيت إلينا، قال له: يا أبتِ، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على

الحق! قال: بلى والذي إليه مرجع العباد قال: يا أبت، إذاً لا نبالي؛ نموت محقين؛ فقال له: جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده؛ قال: فلما أصبح نزل فصلى الغداة، ثم عجل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم، فيأتيه الحر بن يزيد فيردهم فيرده، فجعل إذا ردهم إلى الكوفة رداً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا.

موارد الاعتبار:

1 ـ إن مسير الحسين من هذا الموضع يمتاز بوضوح أنه على غير مقصد خاص، وإن جيش العدو كان يراقب ذلك بدقة متناهية.

2 ـ الحسين استرجع أكثر من مرة ثم حمد الله ولم يجرؤ أحدٌ من أصحابه للسؤال عن ذلك حتى سأله ابنه الذي كان بعيداً عنه حيث (أقبل ابنه علي بن الحسين على فرس له) وسأل عن السبب قائلاً: «**يا أبتي جعلت فداك مما حمدت الله واسترجعت**».

3 ـ كان جواب الحسين صريحاً قائلاً: «**عنَّ لي فارسٌ على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم**»، فقال علي: «**ألسنا على حق**» فقال الحسين: «**بلى والذي إليه مرجع العباد**» فقال الابن: «**يا أبتي إذن لا نبالي نموتُ محقين**» مما يكشف عن استعدادٍ تام للمواجهة».

نينوى(14)

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن

طيطوى وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه...».

(معجم البلدان 5:339)

رواية الطبري:

فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى؛ المكان الذي نزل به الحسين؛ قال: فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متنكب قوساً مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم سلم على الحر بن يزيد وأصحابه، ولم يسلم على الحسين عليه السلام وأصحابه، فدفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه: أما بعد، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدمُ عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

قال: فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر: هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وهذا رسوله، وقد أمره ألا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره، فنظر إلى رسول عبيد الله يزيد بن زياد بن المهاصر أبو الشعثاء الكندي، ثم البهدلي فعن له، فقال: أمالك بن النمير البدى؟ قال: نعم ـ وكان أحد كندة ـ فقال له يزيد بن زياد: ثكلتك أمك! ماذا جئت فيه؟ قال: وما جئت فيه! أطعتُ إمامي، ووفيت ببيعتي، فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، كسبت العار والنار، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾، فهو إمامك. قال: وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقالوا: دعنا ننزل في هذه

القرية، يعنون نينوى ـ أو هذه القرية ـ يعنون الغاضرية ـ أو هذه الأخرى ـ يعنون شُفية. فقال: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بُعث إلى عينا، فقال له زهير بن القين: يا بن رسول الله، إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدُ من ترى مالا قبل لنا به، فقال له الحسين: ما كنت لأبدأهم بالقتال؛ فقال له زهير بن القين: سر بنا إلى هذه القرية حتى تنزلها فإنها حصينة، وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهونُ علينا من قتال من يجيء من بعدهم، فقال له الحسين: وأية قرية هي؟ قال: هي العقر، فقال الحسين: اللهم إني أعوذ بك من العقر، ثم نزل.

موارد الاعتبار:

1 ـ استمرت المسيرة من دون مقصد واضح سوى الابتعاد عن الكوفة حيث إن الحر كان يحاول أن يردهم إلى الكوفة رداً شديداً (امتنعوا عليه) حيث ظهر بكل وضوح أن الهدف هو إلقاء القبض عليهم.

2 ـ كتاب ابن زياد إلى قائد الجيش الحر كان واضحاً وحاسماً ويتضمن البنود التالية:

أ. جعجع بالحسين.

ب. لا تنزله إلا بالعراء.

ج. في غير حصن.

د. وعلى غير ماء.

وكان أحد البنود كافياً في اتخاذ القرار ولكن تربيعها من القيادة العليا تكشف عن علمها بصمود الحسين واستعدادها

الكامل للقضاء عليه في ساحةٍ مطوقة من دون إمدادٍ خارجي.

3 ـ لقد كشف أحد أصحاب الحسين من عشيرة كندة عن شخصية رسول ابن زياد وهو مالك الكندي والمحادثة بينهما تكشف عن اتهام مالك بدور الخيانة.

4 ـ ونتيجةً لوضوح الأهداف وقرار المواجهة كان باقتراح أحد أصحاب الحسين لوضوح المصير فقد قال زهير مبرراً المبادرة بالقتال بقوله: «**إن قتال هؤلاء أهون من قتال من ياتي بعدهم**» ولكن الحسين رفض رفضاً قاطعاً ذلك استناداً على الثابتة الإسلامية بقوله: «**ما كنتُ لأبدؤهم بالقتال**».

العقر

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... العقر بفتح أوله وسكون ثانيه والعقر عدة مواضع منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة، وقد روي أن الحسين رضي الله عنه لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: «**ما اسمُ تلك القرية**»؟ وأشار إلى العقر فقيل له اسمها العقر، فقال: «**نعوذ بالله من العقر فما اسمُ هذه الأرض التي نحن فيها**»؟ قالوا: كربلاء، قال: «**أرضُ كربٍ وبلاء**» وأراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان...».

(معجم البلدان 4:136)

الغاضرية

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... الغاضرية بعد الألف ضاد معجمة، منسوبة إلى غاضرة من بني أسد وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء...».

(معجم البلدان 4:183)

وقال الحموي أيضاً: شفيه بفتح أوله وكسر ثانية منسوبة إلى الشفى وهي ركية معروفة على بجيرة الأحساء وماء البحيرة زُعاف قال الأزهري وسمعت العرب تقول كنا في حمراء القيظ على ماءِ شفيه وهي ركية عذبة معروفة».

(معجم البلدان ج 4:353)

كربلاء

2 محرم 61 هـ

قال ياقوت الحموي (ت 626)

«... كربلاء بالمد وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه في طرف البرية عند الكوفة، فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين يقال جاء يمشي مكربلاً فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك...».

(معجم البلدان 4:445)

رواية الطبري:

وذلك يوم الخميس، وهو اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى وستين. فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف. قال: وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين

عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير لهم إلى دستبي، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الري، وأمره بالخروج.

فخرج معسكراً بالناس بحمام أعين، فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد، فقال: سر إلى الحسين، فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك؛ فقال له عمر بن سعد: إن رأيت رحمك الله أن تُعفيني فافعل؛ فقال له عبيد الله: نعم، على أن ترد لنا عهدنا؛ قال: فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتى أنظر، قال: فانصرف عمر يستشير نصحاءه، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه؛ قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة ـ وهو ابن أخته ـ فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين، فتأثم بربك، وتقطع رحمك! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين! فقال له عمر بن سعد: فإني أفعل إن شاء الله.

الجهني، عن أبيه، قال: دخلتُ على عمر بن سعد، وقد أمر بالمسير إلى الحسين، فقال لي: إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين، فأبيتُ ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك، أرشدك الله، أجل فلا تفعل ولا تسر إليه. قال: فخرجتُ من عنده، فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين؛ قال: فأتيتُه فإذا هو جالس، فلما رآني أعرض بوجهه فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه، فخرجتُ من عنده، قال: فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال: أصلحك الله! إنك وليتني هذا العمل، وكتبت إلى العهد، وسمع به الناسُ، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه، فسمى له

أناساً، فقال له ابن زياد: لا تُعلمني بأشراف أهل الكوفة، ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث. إن سرت بجندنا، وإلا فابعث إلينا بعهدنا، فلما رآه قد لج قال: فإني سائر.

موارد الاعتبار:

1 ـ مجموع عدد الجيش المعادي للحسين في الثاني من محرم 61 هـ بلغ خمسة آلاف أربعة آلاف بقيادة عمر بن سعد بالإضافة إلى عدد الألف بقيادة الحر مما يكشف أن الخوف في جانب الحكم كان شديداً فإن عدد أصحاب الحسين لم يتجاوز المئة فتكون النسبة خمسين إلى واحد وهي نسبة غير متعادلة بينما الجيش المعادي في ازديادٍ باستمرار وأصحاب الحسين على العكس، وهذا التفوق العددي يكشف عن الضعف النفسي في جانب سلطة ابن زياد.

2 ـ إن خروج الحسين تزامن مع ثورة الديلم في دستبي حيث خرجت الديلم وغلبت عليها وهذا التزامن سهل الدعايات للسلطة للتعتيم على حركة الحسين وتحريف أهدافها.

3 ـ إن ابن زياد استمال عمر بن سعد المكلف بحرب الديلم، وكتب له سلطة الري وجعل هذا العهد وسيلة الضغط ليحارب الحسين.

4 ـ كان موقف عمر بن سعد بين خيارين سلطة الري التي يرغب فيها وقتال الحسين الذي يتحاشاه وقد وجد نفسه بحكم خبرته العسكرية في موقفٍ خرج ظن أنه يتمكن من تحوير المواجهة لصالح الطرفين.

5 ـ كان ابن زياد على علمٍ كامل بنقطة الضعف في شخصية

عمر بن سعد ومحاولاته لتجنب المواجهة حينما اقترح: **«ابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة»** أجابه ابن زياد: «**لا تعلمني بأشراف أهل الكوفة ولست أستأمرك فيمن أرى أن أبعث، إن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا**» مما يكشف ان الجند كانوا من المرتزقة وليس فيهم من أشراف الكوفة أحد.

رسالة ابن سعد

رواية الطبري:

قال: فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى.

قال: فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزرة بن قيس الأحمسي، فقال: أئته فسله ما الذي جاء به؟ وماذا يريد؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه. قال: فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلهم أبى وكرهه. قال: وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي - وكان فارساً شجاعاً ليس يرد وجهه شيء - فقال: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لأفتكن به، فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن يُفتك به، ولكن ائته فسله ما الذي جاء به؟ قال: فأقبل إليه، فلما رآه ابن ثمامة الصائدي، قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله! قد جاءك شر أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه، فقام إليه، فقال: ضع سيفك! قال: لا والله ولا كرامة، إنما أنا رسول، فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلتُ به إليكم، وإن أبيتم انصرفتُ عنكم؛ فقال له: فإني آخذ بقائم سيفك، ثم تكلم بحاجتك،

قال: لا والله، لا تمسه فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك، ولا أدعكُ تدنو منه، فإنك فاجر، قال: فاستبأ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر؛ قال: فدعا عمر قرة بن قيس الحنظلي فقال له: ويحك يا قرة! الق حسيناً فسله ما جاء به؟ وماذا يريد؟ قال: فأتاه قرة بن قيس، فلما رآه الحسين مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميمي، وهو ابن أختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد؛ قال: فجاء حتى سلم على الحسين، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له؛ فقال الحسين: كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم؛ قال: ثم قال له حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرة ابن قيس! أنى ترجع إلى القوم الظالمين! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك؛ فقال له قرة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته، وأرى رأيي؛ قال: فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره، فقال له عمر بن سعد: إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

موارد الاعتبار:

1 ـ وصل جيش ابن سعد كربلاء في 2 محرم 61 هـ (حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين بنينوى) وقد وصل الحسين بنينوى في الأول من محرم ونينوى هي من كربلاء.

2 ـ حاول عمر بن سعد باعتباره قائد الجيش إرسال رُسل لاستطلاع موقف الحسين وقد رفض الرؤساء الذين كاتبوا الحسين قبول هذه الرسالة ويكشف هذا عن أمور:

أ. أن عمر بن سعد نفسه لم يكن ممن كاتب.

ب. أن الرؤساء المختارين للرسالة كانوا على علمٍ بالجواب.

ج. أن هؤلاء الرؤساء الذين كانوا قد كتبوا للحسين كانوا مندسين في البداية لدعوة الحسين.

3 ـ الرسول الأول كُثير الشعبي تطوع لحمل الرسالة وزاد قائلاً لعمر بن سعد: «**لأن شئت لأفتكن به**» ونهاه عمر عن ذلك مما يكشف عن طبيعة الرجلين واختلاف سياسة القواد في الجيش.

4 ـ كان أصحاب الحسين على معرفة بماضي هذا الرسول ومنعوه من الوصول إلى الحسين إلا بشروط:

أ. وضع السلاح (ضع سيفك).

ب. مسك مقبض السيف لكي لا يتمكن من التعدي.

ج. إبلاغ الرسالة من دون مواجهة الحسين وقد رفضها الشعبي كلها بحجة أنه رسول ولم يسمح أصحاب الحسين له بالزيارة خشية تطوعه بالاغتيال.

5 ـ الرسول الثاني قرة بن قيس الحنظلي وهذا لم يتطوع للرسالة ولكن عمر بن سعد حمله ذلك واستفسر الحسين أصحابه عن الرجل فعرفه حبيب بن مظاهر لقرابةٍ بينهما وقال: «**هو ابن أختنا لقد كنت أعرفه بحسن الرأي وما كنت أراه يشهد هذا المشهد**» مما يكشف عن انخداع الجيش بالدعايات المضلة وقد حمل الرجل الرسالة بأمانة، وكان حوار الحسين معه واضحاً وصريحاً.

كتاب ابن زياد

رواية الطبري:

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني النضر بن صالح بن حبيب بن زهير العبسي، عن حسان بن قائد بن بكير العبسي، قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإني حيث نزلتُ بالحسين بعثتُ إليه رسولي، فسألتُه عما أقدّمه، وماذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إلى أهل هذه البلاد وأتتني به رُسُلهم فسألوني القدوم ففعلت: فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسُلهم فأنا منصرف عنهم، فلما قُرئ الكتاب على ابن زياد قال:

الآنَ إذ عَلِقَتْ مَخالِبُنا به
يرجو النجاةَ ولاتَ حِينَ مناصِ!

قال: وكتب إلى عمر بن سعد:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد، فقد بلغني كتابُك، وفهمتُ ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام.

قال: فلما أتى عمر بن سعد الكتابُ، قال: قد حسبتُ ألا يقبل ابن زياد العافية.

موارد الاعتبار:

1 ـ رفع عمر بن سعد إلى ابن زياد تقريراً أميناً لما قام به طالباً للأوامر الجديدة من القيادة العليا، كما هو المطلوب من أي مسؤول عسكري.

2 ـ أعلن ابن زياد منشداً شعراً ليعلن على أصحابه بأسلوبٍ دعائي إعلان الحرب على الحسين (علقت مخالبنا به) و (لاتِ حين مناص) مُنبئاً أن قرار المواجهة أمرُ حتمي من جانبه.

3 ـ صرح ابن زياد في كتابه سياسته الواضحة والصريحة وهي البيعة ليزيد من دون قيدٍ أو شرط من دون أي التزام بقوله: «**فإذا فعل ذلك رأينا رأينا**» فهي سياسة لا تدع أي ضمان أو خيار للجانب الآخر.

4 ـ أن عمر بن سعد من جانبه تيقن من سياسة ابن زياد ولكن لم يكشف عنها علناً بل وصفها في دائرة الاحتمال بقوله: «**قد حسبت أن لا يقبل ابن زياد العافية**» مما يكشف أن عمر بن سعد كان يتوقع الصلح في هذا الموقف وهذا شيء غريب مريب من شخصية عسكرية يعرف ماضي ابن زياد وما فعله برسل الحسين وشيعته في الكوفة.

5 ـ إن حبيب بن مظاهر من أصحاب الحسين قام بدور الدعوة الإسلامية في مثل هذا الظرف للقرابة بينه وبين الرسول (ابن أختنا) مما يكشف عن موقف عقائدي ثابت وكان جواب الرسول: «**أرجعُ إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي**» وهذا يكشف عن عدم الوضوح للرؤيا كما يكشف قول عمر بن سعد وهو قائد الجيش: «**إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله**» إنه باعتباره قائد جيش لا يتمتع برؤيا واضحة ولا يؤمن بشرعة الحرب على الحسين.

حصار الماء

7 محرم 61 هـ

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد! عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد، فحُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث.

قال: ونازله عبد الله بن أبي حصين الأزدي ـ وعداده في بجيلة ـ فقال: يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال حسين: اللهم اقتُله عطشاً، ولا تغفر له أبداً.

قال حميد بن مسلم: والله لعُدتُه بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتُه يشرب حتى يغر، ثم يقيء، ثم يعود فيشرب حتى يغر فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ عصبه. يعني نفسه ـ قال: ولما اشتد على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة، فجاؤوا حتى دنوا من الماء ليلاً وتقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ فجيء فقال: ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه؛ قال: فاشرب هنيئاً، قال: لا والله، لا أشرب منه

قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه، فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: املؤوا قربكم، فشد الرجالة فملؤوا قربهم، وسار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفوهم، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فقالوا: امضوا، ووقفوا دونهم، فعطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه واطردوا قليلاً. ثم إن رجلاً من صداء كُعن من أصحاب عمرو بن الحجاج طعن نافع بن هلال، فظن أنها ليست بشيء، ثم إنها انتفضت بعد ذلك، فمات منها، وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها عليه.

موارد الاعتبار:

1 ـ كتاب ابن زياد يكشف عن نقاط ثلاث أساسية في سياسته:

أ. الضغط حيث لم يجعل أي خيارٍ سوى الاستسلام المطلق.

ب. فرق تسد بإذكاء روح الطائفية بدعوى قتل الخليفة عثمان مع أن الحسين كان ممن حمل الماء إلى عثمان.

ج. الانتقام بتحميل الحسين وأصحابه مسؤولية قتل عثمان مع أن في أصحاب الحسين من هو عثماني.

وهذه النقاط الأساسية استخدمت في سياسة سبقت من معاوية تجاه علياً وأصحابه فأراد ابن زياد إحياءها من جديد، مما يكشف أن الجيش كان غير موالٍ.

2 ـ إن الحصار حصل في 7 محرم 61 هـ (ذلك قبل قتل الحسين بثلاث) فكان الحسين وأهل بيته وأصحابه في

الحصر مدة ثلاثة أيام بلياليها.

3 ـ إن جيش ابن سعد بقيادة عمرو بن الحجاج المكون من خمسمائة فارس نزلوا على الشريعة من ماء الفرات وحالوا بين الحسين واصحابه وبين الماء والنسبة خمسة بالمئة حيث أصحاب الحسين لا يتجاوزون المئة مما يظهر شدة الحصار.

4 ـ لقد أظهر الأزدي من جيش بن سعد روح الإنتقام في سياسته بقوله: «**يا حسين ألا تنظر إلى الماء كانه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً**» مع أن حصار الخمسمائة جندي كان كافياً في بيان الحال لكن أراد إذكاء روح الانتقام، ولم يجبه الحسين قط بل دعا عليه بقوله: «**اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً**» وكان كما دعا.

5 ـ العباس قام بدوره بجلب الماء (في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قربه، وتمكنت هذه النسبة القليلة من الوصول إلى الماء مع اللواء بيد العباس متحدين الحصار، مما يكشف عن العزم العقائدي الراسخ.

6 ـ المحادثة بين الزبيدي من جيش عمر بن سعد والعباس حامل لواء الحسين يكشف عن سياسة فرق تسد حيث قال الزبيدي: «**فاشرب هنيئاً**» فأجابه العباس: «**لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان**» وقال لرجاله: «**املؤوا قربكم... وجاء أصحاب الحسين بالقرب وأدخلوها عليه**» متحدين بذلك منع السلطة الظالمة.

مفاوضات

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب، عن هانئ بن ثبيت الحضرمي ـ وكان قد شهد قتل الحسين، قال: بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري: أن القني الليل بين عسكري وعسكرك. قال: فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً، وأقبل حسين في مثل ذلك، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك؛ قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا تسمع أصواتهما ولا كلامهما؛ فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه، وتحدث الناس فيما بينهما؛ ظناً يظنونه أنه حسيناً قال لعمر بن سعد، اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين؛ قال عمر: إذن تُهدم داري؛ قال: أنا أبنيها لك، قال: إذن تؤخذ ضياعي؛ قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فتكره ذلك عمر؛ قال: فتحدث الناس بذلك، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه.

قال أبو مخنف: وأما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين، فهو ما عليه جماعة المحدثين، قالوا: إنه قال: اختاروا مني خصالاً ثلاثاً: إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي ما لهم وعليّ ما عليهم.

قال أبو مخنف: فأما عبدالرحمن بن جندب فحدثني عن عقبة بن

سمعان قال: صحبتُ حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتُها. ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون؛ من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس.

موارد الاعتبار:

1 ـ كان اللقاء يطلب من الحسين (أن القني الليل بين عسكري وعسكرك) واستجاب عمر بن سعد (فخرج في نحو من عشرين فارساً وأقبل حسين في مثل ذلك) فكانت الحراسة من الجانبين على حدٍ سواء.

2 ـ المفاوضات كانت سرية بين الطرفين (فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك) فكانت المبادرة بأن تكون المفاوضات خاصة لأن لا يفسدها الجانب المتشدد في عسكر العدو.

3 ـ المفاوضات طالت (فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع) والهزيع هو الثلث الأخير من الليل، فإذا كان المغرب حسب توقيت مكة في هذا التاريخ السابعة وخمس دقائق فيكون حوالي الثانية بعد منتصف الليل.

4 ـ لم يكشف عن بنود التفاوض شيء فإن أصحاب الجانبين لم يعرفوا عنها شيئاً (فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما) وشأن كل المفاوضات السرية كثرة

الاحتمالات والتحليلات والظنون.

5 ـ من الشائعات التي انتشرت حول هذه المفاوضات ما يأتي:

الحسين قال لعمر: «**اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين**».

عمر بن سعد: «**إذن يُهدم داري**».

الحسين: «**أنا أبنيها لك**».

عمر: «**أذن يؤخذ ضياعي**».

الحسين: «**إذن أعطيك خيراً منها من مال الحجاز**».

6 ـ ومما رواه الطبري عن جماعة من المحدثين أن الحسين قال: «**اختاروا مني خصالاً ثلاث:**

أ. إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه.

ب. إما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبين رأيه.

ج. وإما أن تسيروني إلى أي ثغرٍ من ثغور المسلمين شئتُم.

ويظهر أن هذه الشائعة لم تكن تفتقر إلى محادثات طويلة تنجر إلى الثلث الأخير من الليل، مع أن هذه المقترحات لا توافق مواقف الحسين في المدينة، وفي مسيره في طريق كربلاء، فإنه ما خرج من المدينة إلا لرفضه بيعة يزيد.

7 ـ وعلى العكس من هذه الشائعات ما رواه عقبة بن سمعان من أصحاب الحسين من رفض الحسين ذلك كله فإنه أقرب إلى سيرته ومواقفه السابقة، فإن هذه المحادثات الطويلة لا

بد وأن تكون من جانب الحسين لبيان مواقفه الرافضة للاستسلام ومحاولة عمر بن سعد لإقناع الحسين بالاستسلام تخويفاً وترغيباً وضماناً وأماناً، شأن كل المأمورين، ومن الطبيعي أن يكون الحسين رافضاً هذا العرض مذكراً عمر بن سعد بماضي القوم في نقض العهد والأمان في تاريخ أبيه على بن بي طالب وأخيه الحسن وابن عمه مسلم بن عقيل ومن أجل ذلك طالت المفاوضات إلى هزيعٍ من الليل.

قال الجلالي: ولا يزال اليوم 1379 هـ يوجد مقامان منسوبان إلى موضع لقاء المفاوضات أحدهما في محلة المخيم والآخر عند حمام الكُبيس، ولا أعرف محلاً ثالثاً للقاء فيظهر تكرر اللقاء في أحد المقامين.

فشل المفاوضات

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير، أنهما كان التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً؛ حسين وعمر بن سعد؛ قال: فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضا، وللأمة صلاح. قال: فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق على قومه، نعم

قد قبلتُ. قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك! والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكون أولى بالقوة والعز، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تُعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك، والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل، فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت! الرأي رأيك.

موارد الاعتبار:

1 ـ اللقاء بين الحسين وعمر كان أكثر من مرة (التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً) مما يكشف عن أن في كل لقاء كانت مقترحات جديدة من الجانبين تفتقر إلى مشاورة ومداولة بين كل جانباً وأصحابه وعلى الأقل من جانب عمر بن سعد وربما اختلق عمر بعض هذه الشائعات لكسب الوقت في المراسلة مع القيادة العليا وربما انكشف له أو لأعضاء قيادة الجيش أن قرار ابن زياد بالحرب قرار غير صائب على المدى البعيد.

2 ـ الخيارات الثلاث التي ذكرها عمر بن سعد عن قبول الحسين هي:

أ. الرجوع إلى المكان الذي أتى منه.

ب. الذهاب إلى ثغر من ثغور المسلمين. ويكون رجلاً من المسلين له ما لهم وعليه ما عليهم.

ج. يأتي يزيد أمير المؤمنين فيرى فيما بينه وبين رأيه.

وربما هذه المقترحات من عمر بن سعد نفسه فهمها عمر باجتهاده الخاص.

3 ـ موقف عمر بن سعد في المفاوضات كما في مواقف سبقت منه تجعله في الجانب المتسامح في سلطة ابن زياد فقد التحق بالسلطة على أمل أن يغير سياسة ابن زياد من الداخل، وكان قد اقترح مشاركة أشراف الكوفة في الجيش لهذا الغرض على الأغلب وقد أفشله ابن زياد من قبل فحاول عمر مشاركة يزيد نفسه في القرار (وهذا لكم رضاً وللأمةِ صلاح) ظاناً أن المقترحات هذه سوف تؤخذ بعين الاعتبار ويؤدي إلى الإصلاح غافلاً أن المصالح السياسية العليا لا تهتم إلا بمصلحتها.

4 ـ شمر بن ذي الجوشن كان يمثل الجانب المتشدد في السلطة فاقترح على ابن زياد:

أ. لأن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك.

ب. لتكون أولى بالضعف والعجز.

ج. لينزل على حكمك هو وأصحابه.

د. فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة وإن عفوت كان ذاك لك.

ه. اتهام عمر بن سعد بالتواطؤ مع الحسين (يجلسان بين العسكرين يتحدثان عامة الليل).

5 ـ أن ابن زياد باعتباره القيادة العليا حاول ترضية الجانبين المتسامح والمتشدد في سلطته فقد أعلن أولاً على موافقته لمقترحات عمر بن سعد بقوله: «**هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفقاً على قومه نعم قد قبلت**» ثم عدل عن رأيه ووافق على مقترحات شمر بن ذي الجوشن بقوله: «**نعم ما رأيت الرأي رأيك**» ولم يكن هذا منه إلا مناورة سياسية فقد

سبق منه الخطة المدروسة بقوله: «**جعجع بالحسين**» قبل وصوله إلى كربلاء مما يكشف عن أن إعلان الموافقة مع مقترحات ابن سعد لم يكن صادقاً بل كان للإيقاع بالجانب المتسهل ومساندة الجانب المتشدد الذي يتزعمه هو بالذات.

إعلان الحرب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له: اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حُكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلما، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي، قال: ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً، انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق مشاق، قاطع ظلوم وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً، ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا به. إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا؛ والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، قال: لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام هو و عبد الله بن أبي المحل ـ وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له العباس وعبد الله وجعفراً وعثمان ـ فقال عبد الله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إن بني أختنا مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت، قال: نعم ونعمة عين. فأمر كاتبه، فكتب لهم أماناً، فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له: كُزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمان بعث به خالكم؛ فقال له الفتية: أقرئ خالنا السلام، وقل له: أن لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية. قال: فاقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه قال له عمر: مالك ويلك! لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به علي! والله إني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفساً أبية لبين جنبيه، فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه، وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر، قال: لا ولا كرامة لك، وأنا أتولى ذلك؛ قال: فدونك، وكن أنت على الرجال.

موارد الاعتبار:

1 ـ كتاب ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن تعبر عن سياسته المستمرة بتطبيق المواد التالية:

أ. النزول على حكمه.

ب. إن فعلوا فابعث بهم إليَّ سلماً.

ج. وإن هم أبو فلتقاتلهم.

ثم خاطب شمر بن ذي الجوشن:

د. إن فعل (عمر بن سعد) فاسمع له وأطع.

ه. إن أبى (عمر بن سعد) فقاتلهم أنت.

و. وثب عليه (عمر بن سعد) فضرب عنقه.

ز. وابعث إليَّ برأسه.

2 ـ كتاب ابن زياد لعمر بن سعد يتهمه بعدم أداء واجبه العسكري ويتضمن المواد التالية:

أ. لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه.

ب. ولا لتطاوله.

ج. ولا تمنيه السلامة والبقاء.

د. ولا لتقعد له عندي شافعاً.

هـ. انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلي سلماً.

و. وإن أبَوْا فازحف إليهم حتى تقتلهم.

ز. وتمثل بهم فإنه لذلك مستحقون.

ح. فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره.

ط. إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع.

ي. وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر.

3 ـ أرفق ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن بكتاب أمانٍ لإخوان الحسين الأربعة من ولد أم البنين بنت حزام زوجة علي بن أبي طالب وكانت عمة الشمر بن ذي الجوشن مما يكشف عن اتباع سياسة فرق تسد في داخل أسرة الحسين.

4 ـ كانت مواقف هؤلاء الأربعة مواقف الصمود والوعي الكامل لسياسة ابن زياد ورفضوا الأمان بشدة حيث لم يغب عن أذهانهم ما سبق من الأمان لمسلم بن عقيل وغيره وأرفقوا الرفض بكلام يعرض بتاريخ ابن زياد (لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سمية).

5 ـ ظهرت بوضوح لعمر بن سعد أن كفة الجانب المتشدد راجحة في سياسة ابن زياد مما جعله يفقد كل الأمل في الإصلاح ولكنه أصر على متابعة السلطة في سياستها الغاشمة على الرغم من اعترافها بخطئها.

تاسوعاء

9 محرم 61 هـ

رواية الطبري:

قال: فنهض إليه عشية الخميس لتسعٍ مضَين من المحرم؛ قال: وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين، فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي، فقالوا له: مالك وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون؛ قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك؟ لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له! قال: ثم إن

عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبي وابشري. فركب في الناس، ثم زحف، نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصيحة فدنت من أخيها، فقالت: يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت! قال: فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا؛ قال: فلطمت أختُه وجهها وقالت: يا ولتا [يا ويلتنا](1) فقال: ليس لك الويل يا أخيّة، اسكتي رحمكِ الرّحمن! وقال العباس بن علي: يا أخي، أتاك القوم، قال: فنهض؛ ثم قال: يا عباس، اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟ فأتاهم العباس؛ فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم؛ قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم؛ قال: فوقفوا ثم قالوا: القه فأعلمه ذلك، ثم القنا بما يقول؛ قال: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يُخبره بالخبر، ووقف أصحابُه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت، وإن شئت كلمتُهم، فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلمهم، فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قومٌ يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيّه عليه السلام وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم وعباد الله أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً؛ فقال له عزرة بن قيس: إنك لتُزكّي نفسك ما استطعت فقال له زهير: يا عزرة، إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله

(1) تاريخ الطبري: ط بيروت 1998 ـ ص 616 ـ المحقق..

يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشُدُك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية! قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً؛ قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم! أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قط، ولا أرسلتُ إليه رسولاً قط، ولا وعدتُه نُصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرتُ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه، حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام. قال: وأقبل العباس بن علي يركض حتى انتهى إليهم، فقال: يا هؤلاء، إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر، فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطقٌ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإما رضيناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه، أو كرهنا فرددناه، وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره، ويوصي أهله، فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: ما ترى أنت، أنت الأمير والرأي رأيك قال: قد أردت ألاّ أكون؛ ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله! والله لو كانوا من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها؛ وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألوك، فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة؛ فقال: والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتُهم العشية؛ قال: وكان العباس بن علي حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار!

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، عن علي بن الحسين قال: أتانا رسول من قبل عمر بن سعد فقام مثل حيث يُسمَع الصوت فقال: إنا قد أجلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا تاركيكم.

موارد الاعتبار:

1 ـ أعلن الشمر شخصياً وبنفسه الأمان في عشية التاسع من محرم (وقف على أصحاب الحسين وقال: أين بنو أختنا) ظاناً أن روح القبلية قد تؤثر فيهم فخرج قائلاً: «**أنتم يا بني أختي آمنون**».

2 ـ خرج إليه كلٌ من العباس وجعفر وعثمان وقالوا في جوابه: «**لعنك الله ولعن أمانك وإن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له**» مما يكشف عن الوعي الكامل لسياسة فرق تسد المستخدمة من السلطة والرفض الكامل لها.

3 ـ أراد عمر بن سعد المباغتة للحسين وأصحابه حيث نادى: «**يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري**» زاحفاً نحو الحسين والحسين في حالةٍ طبيعية (جالس أمام بيته محتبياً بسيفه) إذ خفق برأسه لذلك لم يسمع بقدومهم حتى ذكرته أخته زينب بقولها: «**يا أخي أما تسمع الأصوات**»؟.

4 ـ رأى الحسين في نعاسه ما كانت له دلالة واضحة (أنك تروح إلينا) مما أزعج الحسين وزينب فنادت بالويل بحكم قساوة الموقف وقد سلاها الحسين بقوله: «**ليس لك الويل يا أختي اسكُتي رحمكِ الرحمن**» وقد أبدت زينب بالرغم

من قساوة الموقف انضباطاً تاماً وأطاعت.

5 ـ ذهب العباس في جماعة إلى جيش عمر بن سعد حاملاً رسالة الحسين (ما بدى لكم وما تريدون؟) وكان جوابهم: **«جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم»**.

6 ـ اغتنم أصحاب الحسين فرصة ذهاب العباس لإبلاغ الحسين جواب الجيش وقام كل منهم بدوره من الوعظ والإرشاد منهم حبيب بن مظاهر ثم زهير بن القين فاتهموا حبيب بأنه يزكي نفسه واتهموا زهير بأنه كان عثمانياً.

7 ـ أتى العباس برسالة الحسين: **«إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر فأن هذا أمرٌ لم يجر بينكم وبينه فيه منطق فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله»** وتكشف هذه الرسالة الرغبة في كسب الوقت الأمور ذكرهما الحسين كالآتي:

أ. لعلنا نصلي لربنا الليلة.

ب. وندعوه.

ج. ونستغفره.

د. وزاد الراوي (يوصي أهله).

ليلة العاشر

10 محرم 61 هـ

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الله بن عاصم الفائشي، عن

الضحاك بن عبد الله المشرقي، ـ بَطْن من هَمْدان ـ أن الحسين بن عليّ عليه السلام جمع أصحابه.

قال أبو مخنف: وحدثني أيضاً الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، عن علي بن الحسين، قالا: جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء، قال علي بن الحسين: فدنوتُ منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء؛ وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين؛ أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً؛ ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً.

موارد الاعتبار:

1 ـ خطبة الحسين في أصحابه ليلة العاشر من محرم إنما هي خطبة وداع للقائد الواعي للمواقف والظروف وتتضمن الإشارة إلى ثلاثة نقاط مترابطة بعضها ببعض في الماضي والحال والمستقبل وهي:

أولاً: مسؤولية الثوابت الإسلامية في رسالة النبوة والقرآن والدين وأن هذه المسؤولية تنبع من البصيرة والعقل الداعيان إلى رفض الشرك بمختلف أنواعه.

ثانياً: موقف الأصحاب وأهل بيته الذين تحملوا هذه

المسؤولية في سلسلة من الظروف المعاكسة بكل صبرٍ وعزمٍ وحزمٍ فهم خيرُ الأصحاب وأبرُ أهل بيت.

ثالثاً: الحقيقة الثابتة وهي أن المستهدف الوحيد في هذه الحرب هي شخص الحسين باعتباره رمز المعارضة وان وجوده على قيد الحياة باعتباره وريث جده الرسول يعتبر خطراً على السلطة ولذلك أحل الحسين جميع أصحابه من البيعة (انطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم من ذمام).

2 ـ إن هذه الخصلة الوحيدة في هذه المرحلة الحرجة عمل بالمسؤولية الإسلامية وإعطائهم الحرية التامة في المواقف والصراحة التامة في القيادة والوضوح الكامل للهدف هي مقومات كل حركةٍ شعبية وقائد مخلص وهكذا كانت سيرة جده رسول الله في غزواته من دون أي التواء أو مراوغة.

موقف الأصحاب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثنا عبد الله بن عاصم الفائسي ـ بطن من همدان ـ عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين، فسلمنا عليه، ثم جلسنا إليه، فرد علينا، ورحب بنا، وسألنا عما جئنا له، فقلنا: جئنا لنسلم عليك، وندعو الله لك بالعافية، ونحدث بك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وأنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حربك فر رأيك: فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل! قال: فتذممنا وسلمنا عليه، ودعونا الله له، قال: فما يمنعكما من نُصرتي؟ فقال مالك بن النضر: علي دين، ولي عيال،

فقلت له: إن علي ديناً، وإن لي لعيالاً، ولكنك إن جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً، وعنك دافعاً! قال: قال: فأنت في حل؛ فأقمت معه، فلما كان الليل قال: هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي. تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري؛ فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً؛ بدأهم بهذا القول العباس بن علي. ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه، فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنتُ لكم، قالوا: فما يقول الناس! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا! لا والله لا نفعل، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك!

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم، عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك! أما والله حتى أكسر في صدورهم رُمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك؛ ولو لم يكن معي سلاح أقاتلُهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.قال: وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حياً ثم أذر؛ يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك! وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

قال: وقال زهير بن القين: والله لوددت أني قُتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك. قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد. فقالوا: والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قُتلنا كنا وفينا، وقضينا ما علينا.

موارد الاعتبار:

1 ـ زيارة كلٍ من المشرقي والأرحبي المشبوهة لم تقابل بالرفض بل تكشف عن مواقف أصحاب الحسين وحقيقة المواقف العقائدية لهم وقد قالا متذرعين في سبب الزيارة: «**جئنا لنسلم عليك وندعو لك بالعافية ونجدد لك عهدا ونخبرك خبر الناس وأن نحدثك أنه قد أجمعوا على حربك**» فإن هذه الزيارة إلى التهديد أقرب منها إلى تجديد العهد والحسين لم يكن غافلاً عن دورهما في التجسس واستطلاع الموقف وصلابة الحسين في مبادئه وربما لأجل ذلك سألهما عما يكشف عن حقيقة نواياهما فقال: «**ما يمنعك من نصرتي**»؟ فاعتذرا بأن عليهما دين ولديهما عيال فكشف عن حقيقتهم وجعلهما في حلٍ كما طلبا.

2 ـ حاول الحسين أن يقنع أهل بيته وأصحابه بالانصراف عنه بقوله: «**ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم**» وكان الرفض المطلق من جانبهم بكلمات تكشف عن وعي وصمود ومعرفة كاملة بالمسير والمصير مما قاله أهل بيته: «**لم نفعل لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً**» ومما قال بنو عقيل: «**لا والله لا نفعل ولكن**

نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا قبح الله العيش بعدك».
ومما قال مسلم بن عوسجة: **«أنحن نُخلي عنك وما يعذرنا الله في أداء حقك»** ومما قال الحنفي: **«والله لا عليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا عنه رسول الله ﷺ»**
وتكلم جمع آخر من أصحابه بمثل ذلك من كلمات معربة عن الوعي والصمود.

موقف الأسرة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك، عن علي بن الحسين بن علي قال: إني جالس في تلك العشية التي قُتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حوي مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا هرُ أفٍّ لك من خليلِ
كم لك بالإشراق والأصيل
مِن صاحبٍ أو طالبٍ قَتيل
والدَّهرُ لا يقنعُ بالبدِيل
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ
وكلُّ حيٍّ سَالكُ السَّبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفتُ ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددتُ دمعي ولزمت السكون، عرفتُ أن البلاء قد نزل؛ فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت، وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها، وإنها لحاسرة حتى

انتهت إليه؛ فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي؛ قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أُخية، لا يُذهبن حلمك الشيطان؛ قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله! استقتلت نفسي فداك، فرد غُصته، وترقرقت عيناه، وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام؛ قالت: يا ويلتي، أفتغصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح لقلبي، وأشد على نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقته، وخرت مغشياً عليها، فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء، وقال لها: يا أُخية، اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خيرٌ مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني. ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة؛ قال: فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أُخية، إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيباً، ولا تخمشي علي وجهاً، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذ أنا هلكتُ؛ قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

قال أبو مخنف: عن عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون، ويدعون ويتضرعون؛ قال: فتمر بنا خيل لهم تحرسنا، وإن حسيناً ليقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾. فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا، فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون. مُيزنا

منكم. قال: فعرفتُه فقلتُ لبرير بن حُضير: تدري من هذا؟ قال: لا؛ قلت: هذا أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر ـ وكان مضحاكاً بطالاً، وكان شريفاً شُجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية ـ فقال له برير بن حضير: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيبين! فقال له: من أنت؟ قال: أنا برير بن حضير؛ قال: إنا لله! عز علي! هلكت والله، هلكت والله يا برير! قال: يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام، فوالله إنا لنحن الطيبون، ولكنكم لأنتم الخبيثون؛ قال: وأنا على ذلك من الشاهدين، قلت: ويحك! فلا ينفعك معرفتك! قال: جعلت فداك! فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل! قال: ها هو ذا معي؛ قال: قبح الله رأيك على كل حال! أنت سفيه. قال: ثم انصرف عنا، وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وكان على الخيل.

موارد الاعتبار:

1 ـ أنشد الحسين الأبيات الصريحة في التنبّؤ بالمستقبل، كما هي طبيعة الدهر الخوان ففي كل يوم صباحاً ومساء هناك صاحب وهناك قتيل وهي سنة الحياة التي أرادها الله سبحانه للخلق وأعادها مرتين أو ثلاث لينفس عما في ضميره وقد تلقتها العائلة كلٌّ حسب شعوره الشخصي وكان موقف علي بن الحسين كما قال: «**فخنقتني عبرتي ولزمت السكون وعلمت أن البلاء قد نزل**» وأما السيدة زينب فكان موقفها حسب طبيعتها (فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وأنها حاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي يا خليفة الماضي وثمال الباقي...».

2 ـ جرت المحادثة التالية بين الحسين وأخته زينب مما تكشف عن دور قيادي قامت به زينب لمواساة أخيها بالاعتبار بتواريخ أهل البيت وصمودهم ومن المحادثة ما يأتي:

الحسين: (ناظراً إلى زينب) «يا أُخية لا يذهبنَّ حلمك الشيطان».

زينب: «**بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله استقتلت نفسي فداك.**

الحسين: (ترقرقت عيناه) «لو ترك القطا ليلاً لنام».

زينب: «**يا ويلتي أفتغصب نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشدُ على نفسي**» (ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشياً عليها).

الحسين: (قام إليها فصب على وجهها الماء) «**يا أُخية اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله... أبي خيرٌ مني وأمي خيرٌ مني وأخي خيرٌ مني ولي ولهم ولكل مسلمٍ برسول الله أسوة...**».

3 ـ وقد أوصى الحسين أخته زينب بوصايا تكشف عن السهر بالالتزام بالثوابت الإسلامية وهي الوصايا الأخيرة لها بقوله: «**يا أُخية أن أُقسم عليك ما أبري قسمي:**

أ. لا تشقي علي جيبا.

ب. ولا تخمشي عليّ وجها.

ج. ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت».

وقد أكد الحسين بهذه الوصايا التي وردت في السنة المطهرة ليؤكد على أهمية الأهداف في الحركة.

4 ـ لم تؤثر مواقف الأسرة التي تعبر عن عواطف عائلية صادقة في أن يستعد الحسين وأصحابه بالالتزام بواجباتهم الأخلاقية والاستعداد لمواجهة العدو (خرج إلى أصحابه) فأمرهم بأمور:

أ. أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض.

ب. أن يدخلوا الأطناب (الحبال) بعضها من بعض.

ج. أن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

وبذلك حصن البيوت وأهل البيت فيها ووحد الجبهة من جانبه حيث لا يتمكن العدو من تفريقها وذلك بجعل المواجهة من جهةٍ واحدة.

5 ـ موقف الحسين وأصحابه موقف المشتاق إلى لقاء الله (قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون) حيث لاحت لهم ملامح الشهادة وهي مرحلة أخيرة للاختبار والصمود ومن أجل ذلك كرر الحسين قراءة الآية الكريمة: **«حتى يميز الخبيث من الطيب»**.

6 ـ كان جيش العدو يراقب ردود الفعل من جانب الحسين وصحبه بمنتهى الدقة وكان الحرس ينصت ولما قرأ الحسين القرآن حاول محاولةً يائسة لتثبيت العزائم فعلق الحرسي على ذلك: «**نحن الطيبون**» وطبيعي أن لا يرد عليه الحسين.

7 ـ لقد استنكر برير بن خضير من أصحاب الحسين من هذا التعليق الساخر وفي نفس الوقت استغل الفرصة للوعد والإرشاد لمعرفته بماضي الرجل (كان مضحاكاً بطالاً شريفاً شجاعاً فاتكاً) ودعاه إلى التكفير عن ماضيه بقوله: «**هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك فوالله إنا نحن الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون**» فلم يجد الحرسي طريقاً سوى الاعتراف بقوله: «**وأنا على ذلك من الشاهدين**».



عاشوراء
مصرع الحسين في كربلاء
10 محرم 61 هـ

عاشوراء
10 محرم 61 هـ

رواية الطبري:

قال: فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت ـ وقد بلغنا أيضاً أنه كان يوم الجمعة، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء ـ خرج فيمن معه من الناس.

قال وعبأ الحسين أصحابه، وصلى بهم الصلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم. قال: وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية، فحفروه في ساعة من الليل، فجعلوه كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وقالوا: إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كَيلا نؤتى من ورائنا، وقاتلنا القوم من وجه واحد. ففعلوا، وكان لهم نافعاً.

قال أبو مخنف: حدثني فُضيل بن خديج الكندي، عن محمد بن

بشر، عن عمرو الحضرمي، قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على رُبع أهل المدينة يومئذٍ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سيرة الجعفي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي؛ فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين، وقتل معه. وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن بن شرحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية ـ وهو الضباب بن كلاب ـ وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجال شبث بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية ذويداً ولاه.

قال أبو مخنف: حدثني عمرو بن مرة الجملي، عن أبي صالح الحنفي، عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري؛ قال: كنت مع مولاي. فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين أمر الحسين بفسطاط فضرب. ثم أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة أو صحفة؛ قال: ثم دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة. قال: ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربه وبُرير بن حضير الهمداني على باب الفسطاط تحتك مناكبهما، فازدحما أيهما يطلى على أثره، فجعل برير يهازل عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: دعنا، فوالله ما هذه بساعة باطل، فقال له برير: والله لقد علم قومي أني ما أحببتُ الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم. قال: فلما فرغ الحسين دخلنا فاطلينا؛ قال: ثم إن الحسين ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه؛ قال: فاقتتل أصحابه بين يديه قتالاً شديداً، فلما رأيتُ القوم قد صرعوا أفلت وتركتهم.

قال أبو مخنف: عن بعض أصحابه، عن أبي خالد الكاهلي، قال: لما صبحت الخيل الحسين رفع الحسين يديه، فقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة.

موارد الاعتبار:

1 ـ عسكر الحسين يتكون من 72 شخص محارب، 32 فارس، 40 راجل، وهذا العدد بالقياس إلى عسكر العدو البالغ خمسة آلاف محارب على أقل الفروض بينما عسكر الحسين البالغ على أكثر الفروض لو أدخل في الحساب النساء والأطفال لم يتعدوا مائة شخص ولا يمكن لأي إنسان أن يخوض معركةً كهذه إلا على أساس مبدئي وعقائدي عالماً بأن المصير هو الشهادة والفداء.

2 ـ خطط الحسين لجيشه العقائدي الفدائي الصغير بما يعرقل أهداف العدو مهما أمكن حتى لا يكون الجيش الصغير لقمةً سائغةً للعدو.

3 ـ الجيش الصغير مخطط على ما يستخدمه الجيش آنذاك من الأساليب الحربية ويتكون من:

أ. الميمنة وقائدها زهير بن القين.

ب. الميسرة وقائدها حبيب بن مظاهر.

ج. الراية يحملها العباس أخو الحسين.

د. المؤخرة حصنها بالبيوت وحفر ساقية كالخندق (ألقوا في ذلك الحطب والقصب) لإشعال النار فيها (إذا عدوا علينا فقاتلونا القينا فيه النار كي لا نؤتى من ورائنا).

4 ـ اهتم الحسين بالنظافة استعداداً للشهادة وأمر بفسطاط لهذا الغرض ثم أمر بمسك فميث في جفنة ليتعطر هو وأصحابه بالعطر ثم تطلى بالنورة وطبيعي أن يكون بالماء الغير صالح للشرب ثم تبعه أصحابه يتسابقون إلى الاقتداء به.

5 ـ كان في أصحاب الحسين من يمزح مع الآخرين في مثل هذا الظرف مما أثار سخط البعض الآخر الذي لم يقف على نية الهازل فقال معلقاً: **«دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل»** فأجابه برير بقوله: **«والله لقد علم قومي أني ما أحببتُ الباطل شاباً ولا كهلاً ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون...»** مما يكشف عن مدى رسوخ الدافع العقائدي في هذه المعركة.

6 ـ دعا الحسين بالمصحف (فوضعه أمامه) وربما للمحاجة مع جيش العدو التذكير به والدعوة إليه.

7 ـ دعاء الحسين بكثرة يعبر عن الحالة النفسية التي عاشها في هذه اللحظة وثقته المطلقة بالإيمان بالله والعصمة به من الانزلاق إلى الحالات التي تدعو إليها وساوس النفس ويستفاد منها:

أ. ضعف الفؤاد حيث انحصر الخيار بين الاستسلام والدفاع عن النفس.

ب. قلة الحيلة حيث فشلت المفاوضات.

ج. خذلان الصديق حيث أصبح وحيداً بين الأعداء.

د. تحشد العدو حيث فاق عدوه في أرض الغربة.

واختتم دُعاءه بالسير على الثوابت الإسلامية بقوله: «**أنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة**» مؤكداً على هوية الحركة وأهدافها.

استفزاز

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الله بن عاصم، قال: حدثني الضحاك المشرقين قال: لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا من خلفنا، إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة، فلم يكلمنا حتى مر على أبياتنا، فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلا حطباً تلتهب النار فيه، فرجع راجعاً، فنادى بأعلى صوته: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة! فقال الحسين: من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن! فقالوا: نعم، أصلحك الله! هو هو، فقال: يا بن راعية المعزى، أنت أولى بها صليا؛ فقال له مسلم بن عوسجة: يا بن رسول الله، جُعلت فداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكنني، وليس يسقط [مني] سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين؛ فقال له الحسين: لا ترمه، فإني أكره أن أبدأهم.

موارد الاعتبار:

1 ـ قول الحسين: «**لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم**» موقف

إسلامي ثابت فإنه لا يجوز الاعتداء بالرغم من الاستفزازات التي يقوم بها جيش العدو لاستدراجهم إلى الاعتداء حتى يؤخذ عليهم ذلك.

2 ـ يظهر أن خطة العدو كان الهجوم على مخيم الحسين من كل جانب فلما وجد شمر التحصن من المؤخرة بالخندق الملتهب بالنار فشلت خطة العدو واضطروا إلى المواجهة من الأمام.

3 ـ استخدم شمر الحرب النفسية بقوله: «**استعجلت النار**» لإثباط عزيمة الحسين وأصحابه من جانب ودفعهم إلى البدء بالحرب ليؤخذ عليهم ذلك وقد فوت الحسين هذه الفرصة عليهم.

4 ـ انضباط أصحاب الحسين انضباطاً عسكرياً رائعاً فلم يؤخذوا بالعواطف فإن مسلم بن عوسجة بالرغم من استفزاز العدو استأذن الحسين بالرمي وأظهر وجهة نظره الشخصية بقوله:

أ. الأ أرميه بسهم؟ مستأذناً.

ب. فإنه قد أمكنني، معبراً عن علمه بنجاح العملية.

ج. وليس يسقط سهم مؤكداً على إصابة الهدف.

د. فالفاسق من أعظم الجبارين، مبيناً استحقاقه الرمي.

وحيث إن الحسين لم يأذن له رضخ لأوامره لعلمه بقيادة الحسين الحكيمة.

خطبة الحسين

رواية الطبري:

وكان مع الحسين فرس له يدعى لاحقاً حمل عليه ابنه علي بن الحسين؛ قال: فلما دنا منه القوم عاد براحلته فركبها، ثم نادى بأعلى صوته دُعاء يُسمع جُل الناس: أيها الناس؛ اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تُعطوا النصف من أنفسكم؟فأَجْمِعوا أمرَكُمْ وشرَكاءَكم ثمّ لا يَكُنْ أَمرُكُمْ عليكمْ غُمةً ثمّ اقضُوا إليَّ ولا تُنظِرُون؟؟ إنّ وليِّيَ اللهُ الذَّي نزل الكتابَ وهو يتولَّى الصالحين؟. قال: فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين، وبكى بناته فارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس ابن علي وعلياً ابنه، وقال لهما: أسكتاهن، فلعمري ليكثرن بكاءهن؛ قال: فلما ذهبا ليُسكتاهن قال: لا يبعد ابن عباس؛ قال: فظننا أنه إنما قالها حيث سُمع بكاؤهن، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهن، فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره. قال: فوالله ما سمعتُ متكلماً قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال: أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وسلم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه! أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي! أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي! أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله صلى

الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولأخي: «**هذان سيدا شباب أهل الجنة**»! فإن صدقتموني بما أقول ـ وهو الحق ـ فوالله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضربه من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم؛ سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولأخي. أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي!. فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرفٍ إن كان يدري ما يقول! فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول؛ قد طبع الله على قلبك؛ ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثراً ما أني ابن بنت نبيكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم لا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة. أخبروني، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه؛ قال: فنادى: يا شبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند، فأقبل! قالوا له: لم نفعل؛ فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم؛ ثم قال: أيها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض؛ قال: فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك، فإنهم لم يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؛ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر قرار العبيد. عباد الله، إني عُذتُ بربي وربكم أن ترجمون أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا

يؤمن بيوم الحساب؛ قال: ثم إنه أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه.

موارد الاعتبار:

1 ـ قابل الحسين وأصحابه استفزازات العدو بسلسلة من الخطب لعلمهم بالتضليل السائد على جيش العدو والواجب الإسلامي يحتم التوجيه وإتمام الحجة حتى يكونوا على بصيرةٍ من الواقع.

2 ـ أسلوب خطبة الحسين أن نادى بأعلى صوته حتى يسمع كل الناس فإذا علمنا أن جيش العدو مكون من خمسة آلاف محارب والحسين بوحدهِ لا يمكن أن يصل صوته إليهم جميعاً فجُل الناس هم الذين أحاطوا بمخيم الحسين.

3 ـ قدم الحسين الخطبة بعدة طلبات تكشف عن خطط العدو:

أ. (اسمعوا قولي) فإنه بعد أن يسمعوا قول الحسين تبين تضليل العدو.

ب. (لا تعجلوني) فإن العدو يريد إنهاء المعركة عاجلاً.

ج. (حتى أعظكم مما لحقٍ لكم علي) فيكون الوعظ لعلمه بالمواقف والأهداف.

د. (حتى أعتذر إليكم من مقدمي) بيان لواقع الحال من وجهة نظره.

هـ. (إن قبلتم عذري... كنتم بذلك أسعد) فإن المصلحة لهم لا للحسين.

و. (وإن لم تقبلوا مني العذر.. فاجمعوا أمركم ثم لا يكون

عليكم غمة ثم اقضوا) فإن هذا على النقيض مما يريدهُ جيش العدو وهو التوقيع على ورقة بيضاء من دون أي سماع للدعوى أو دفاع عن النفس أو عن الحق وهذا لم يسبق لهُ نظير في الحكم الإسلامي من السيرة النبوية.

4 ـ تضمنت الخطبة نقاط تكشف عن دعايات العدو:

أ. (الحمد والصلاة) وهي ثوابت إسلامية ولم تذكر رواية الطبري نصوصها سوى القول: **«فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره»**.

ب. (أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا) وبذلك عرّف نفسه ونسبته بكل من سبق من أسرته من أُمه وأبيه وعمه وأخيه.

ج. (إن كذبتموني فاسألوا من يعلم) وهذه ثابتة إسلامية (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)، وعد الحسين أسماء جمع منهم مما يكشف عن علمه بوجوه المشاركين في جيش العدو.

د. (أخبروني أتطلبوني بقتلٍ منكم قتلته) فإن الأسباب الموجبة للقتل معروفة في الإسلام.

هـ. (أمالٌ لكم استهلكته) فلم يكن بين الحسين وجيش العدو شيئاً خاصاً.

و. (أو قصاصٍ في جراحه) فإن الحسين لم يبدأ الحرب حتى يوجب القصاص.

ثم ختم خطبته بقوله: **«لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقر إقرار العبيد»**.

5 ـ كان جيش العدو يقاطع خطبة الحسين حتى لا يتمكن من أداء رسالته منها قول شمر: «**هو يعبد الله على حرف**» وكان الحسين لا يعتني بهذه المقاطعات بل كان يستمر في خطبته.

6 ـ وحيث لم يجد الحسين جواباً ولم يتمكن جيش العدو من مقاطعته (فأخذوا لا يكلمونه) فخاطب الحسين جمعاً خاصاً بالإسلام من الذين دعوه إلى الكوفة وقال: «**ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جُندٍ لك مجندة فاقبل**» قالوا له: «**لم نفعل**» وعلق الحسين: «**سبحان الله بلى والله لقد فعلتم**».

7 ـ كشف الحسين في خطبته ومحادثته عن طبيعة هؤلاء الذين أجابوه بالنفي واقترحوا عليه بقولهم: «**ألا تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يروك إلا ما تُحب ولن يصل إليك منهم مكروه**» وقد قدم هذا الاقتراح قيس بن الأشعث وهو أحد الذين كتبوا للحسين فأجابه الحسين بما يكون به الاعتبار بكشف مواقفهم الكاذبة في الحاضر النابعة من ماضيهم والملوحة لكذب مواعيدهم في المستقبل بأمور:

أ. إن محمد بن الأشعث كان قد أمن مسلم بن عقيل ثم سلمه إلى ابن زياد وَقُتل.

ب. أنه أعطى الأمان لمسلم ثم خذله.

ج. أن المستقبل يكشف عن هذه المواعيد الكاذبة لهذا الرجل بالذات الذي كذّب الحسين في دعوته إلى الكوفة وهو الآن يعطي المواعيد الكاذبة في المستقبل.

8 ـ كان الحسين استخدم الناقة للخطبة ولم يسنخدم الفرس وتبعه ابنه علي على الفرس (يُدعى لاحقاً) ولم يذهب بمفرده ويظهر أن السبب في ذلك أن يكون في موقع أعلى حتى يراه الجيش ويسمع كلامه واستصحب ابنه ليكون رسولاً لما قد تفتقر إليه في محاجة القوم.

خطبة زُهير

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني علي بن حنظلة بن أسعد الشامي، عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين حين قُتل يقال له كثير بن عبد الله الشعبي، قال: لما زحفنا قبل الحسين خرج إلينا زهير بن قين على فرس له ذنوب، شاكٍ في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذاراً! إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقُراءكم، أمثال حُجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه؛ قال: فسبوه، وأثنوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً، فقال لهم: عباد الله، إن ولد فاطمة رضوان الله

عليها أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين؛ قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت اسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال له زهير: يا بن البوال على عقبيه، ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنكم تُحكم من كتاب الله ايتين، فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم؛ فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة؛ قال: أفبالموت تخوفني! والله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم، قال: ثم أقبل على الناس رافعاً صوته، فقال: عباد الله، لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم، قال: فناداه رجل فقال له: إن أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ!

موارد الاعتبار:

1 ـ خطب زهير وهو مسلح كاملاً (شاك في السلاح) استعداداً لأية مفاجئة وابتدأ بالنصيحة بقوله: «**إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم**» مؤكداً على نقاط تقتضي الوحدة بين الجانبين:

أ. (نحن حتى الآن أُخوة)

ب. (على دين واحد).

ج. (وملة واحدة).

ثم أعقبها بنصيته (ما لم يقع بيننا وبينكم السيف... وإذا وقع السيف.... انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة).

2 ـ حذر زهير من مستقبل حكم ابن زياد ويزيد الذي ليس إلا سوء السلطان وذكر النقاط التالية:

أ. يسملان أعينكم.

ب. يقطعان أيديكم وأرجلكم.

ج. يمثلان بكم.

د. يرفعانكم على جذوع النخل.

هـ. يقتلان أماثلكم وقرنائكم.

ثم استشهد على هذا التنبؤ بالتاريخ الذي مضى بالنسبة إلى حجر بن عدي وأصحابه.

3 ـ أن دعوة حسين بقوله: «**إن لم تنصروهم فاعيذكم بالله أن تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية**» يكشف أن جيش العدو كان مقسماً على نفسه ولما وجد الجانب المتشدد في الجيش تأثير خطبة زهير رماه شمر بسهم وقال: «**أبرمتنا بكثرة كلامك**» وأراد شمر بذلك منع الانشقاق في الجيش.

4 ـ الحسين رأى أن قيادة جيش العدو مصممة على قتله وأصحابه فلم يكن هناك مجال للنصيحة فأرسل رسولاً لزهير قائلاً: «**أقبل... لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والبلاغ**».

5 ـ ولم يعتبر الحسين السهم الذي رماه شمر بدأ للحرب باعتبار

أنه لم يصدر من أمر قيادي من عمر بن سعد إذ كان بالإمكان الاعتذار بأنه تصرف شخصي من شمر.

توبة الحر وخطبته

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي: عن عدي بن حرملة؛ قال: ثم إن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له: أصلحك الله! مقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي؛ قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟ قال عمر بن سعد: أما والله لو كان الأمر إليّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك؛ قال: فأقبل حتى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يقال له قرة بن قيس، فقال: يا قرة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا؛ قال: أما تريد أن تسقيه؟ قال: فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك، فيخاف أن أرفعه عليه؛ فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فساقيه؛ قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه؛ قال: فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين؛ قال: فأخذ يدنو من حسين قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر ابن أوس: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء، فقال له يا بن يزيد: والله إن أمرك لمريب، والله ما رأيتُ منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك! قال: إني والله أخيّر نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعتُ وحرقت؛ ثم ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا

بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتُك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة. فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أني خرجتُ من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك؛ وإني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحُر بن يزيد؛ قال: أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة؛ انزل؛ قال: أنا لك فارساً خير مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري. قال الحسين: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك. فاستقدم أمام أصحابه ثم قال: أيها القوم، ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله؟ قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه، فكلمه بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلم به أصحابه؛ قال عمر: قد حرصتُ، لو وجدتُ إلى ذلك سبيلاً فعلت، فقال: يا أهل الكوفة، لأمكم الهبل والعبر إذ دعوتموه حتى إذ أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمة، وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع ضراً، وحلأتموه ونساءه وأصيبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمداً في ذريته! لا سقاكم الله يوم الظمأ إن لم

تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل؛ فأقبل حتى وقف أمام الحسين.

موارد الاعتبار:

1 ـ لم يتصور الحر ـ وربما لم يكن وحيداً ـ أن السياسة الحقيقية هي قتل الحسين باعتباره رمز المعارضة، فأراد الحر التأكد من ذلك، حيث سأل قائد جيش العدو: «**أصلحك الله أمقاتل أنت هذا الرجل؟**» وتعجب من جواب القائد بالإثبات فسأل مرة أخرى: «**أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضاً؟**» فأجابه القائد: «**أما والله لو كان الأمر لي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك**» فانكشفت له السياسة الحقيقية.

2 ـ قرار الحر الالتحاق بالحسين بصورةٍ سرية خشية القضاء عليه من قبل جيش العدو بتهمة الخيانة واستخدم حجة ضرورة السقي لفرسه وقد كان هذا الإيهام أثر في لحوقه بالحسين بسلامة.

3 ـ لقاء الحر بالحسين لقاءٌ عاطفي تكشف عن تجربة شخصية ساهمت في صد الحسين منذ الثاني من محرم وراقبت تصرفاته الشخصية في نفسه وأصحابه وقارن ذلك بتصرفات أصحاب الجيش فوجد نفسه المسؤول مخاطباً للحسين: «**أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع... وإني قد جئتك تائباً... فترى ذلك لي توبة**».

4 ـ تلقاه الحسين في هذه اللحظة الحاسمة بقوله: «**نعم يتوب الله عليك ويغفر لك**» ودعاه بالنزول ولكن الحر بحكم

خبرته العسكرية رأى أن الوقت ليس وقت المجاملات، بل أداء الدور المسؤول فقام بدور النصيحة بخطبةٍ موجهة إلى جيش العدو الذي كان هو قبل دقائق واحداً منهم.

5 ـ خطبة الحر تضمنت النقاط التي سبقت من غيره، وكشفت عن المتناقضات في أفعال قادة الجيش من جانب التي تبنت سياسة مدروسة وبين عامة الجيش المضلل ووجه خطابه للجيش دون القيادة بقوله: «**يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر**» ـ ثم سرد النقاط التالية:

أ. إذ دعوتموه ثم إذا أتاكم أسلمتموه.

ب. زعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه.

ج. أمسكتم بنفسه.

د. أخذتم بكظمه.

هـ. وأحطتم به من كل جانب منعتموه التوجه إلى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته.

و. أصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضراً.

ز. حلأتموه ونساءه وصبيتهُ وأصحابه عن ماء الفرات الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني وتمرع فيه خنازير السواد وكلابه.

ح. وها هم قد صرعهم العطش.

فبئسما ما خلفتم محمداً في ذريته لا أسقاكم يوم الظمأ إن لم تتوبوا...».

فلم يكن جواب جيش العدو لخطبة الحر سوى (حملت عليه الرجالة ترميه بالنبل).

6 ـ تعتبر خطبة الحر هي الخطبة الثالثة في يوم عاشوراء بعد خطبة الحسين وخطبة زهير وبعد هذا التثليث في النصح ظهر بوضوح أنه لا فائدة من تكرار النصيحة كما في قصة موسى والخضر فإن السياسة الواضحة في جيش العدو هي القضاء على الحسين وأصحابه.

بدء الحرب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف، عن الصقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: وزحف عمر بن سعد نحوهم، ثم نادى: يا ذويد، أدنِ رايتك؛ قال: فأدناها ثم وضع سهمه في كبد قوسه، ثم رمى فقال: اشهدوا أني أول من رمى.

موارد الاعتبار:

1 ـ قرر ابن سعد باعتباره قائد جيش العدو بدأ الحرب حيث قال: «**اشهدوا أني أول من رمى**» وذلك بعد خطبة الحر مباشرةً ويظهر أنه خشي من تأثير خطبة الحر الذي التحق بالحسين قريباً في أن يلتحق من سائر أفراد الجيش وأراد أن يضع حداً يمنع من ذلك.

2 ـ أعلن ابن سعد هذا القرار إعلاناً عاماً حيث قال: «**ونادى يا ذويد أدنِ رايتك**» وكان بإمكانه أن يفعل ذلك من دون نداء وربما خشية اتهام شمر إياه بالتواني وتولي رئاسة الجيش.

3 ـ الحسين كان متوقعاً لموقفٍ كهذا فلم تكن مفاجأة قط، ولم يبقَ له من خيار سوى الاستسلام أو المبارزة، وأخذت المبارزة دورين: دور المبارزة لأصحاب الحسين ودور الحملة الجماعية.

مبارزة الكلبي

رواية الطبري

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب، قال: كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير، من بني عليم، كان قد نزل الكوفة، واتخذ عند بئر الجعد من همدان داراً، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد، فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين، قال: فسأل عنهم، فقيل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين؛ فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع، وأعلمها بما يريد، فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك. افعل وأخرجني معك؛ قال: فخرج بها ليلاً حتى أتى حسيناً، فأقام معه، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس، فلما ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فقالا: من يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم، قال: فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن حضير، فقال لهما حسين: اجلسا؛ فقام عبد الله بن عمير الكلبي، فقال: أبا عبد الله، رحمك الله! ائذن لي فلأخرج إليها؛ فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين، فقال حسين: إني لأحسبه

للأقران قتالاً، اخرج إن شئت، قال: فخرج إليهما، فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك! ليخرج إلينا زهير بن القيس أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حضير، ويسار مستنتل أمام سالم، فقال له الكلبي: يا بن الزانية، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو خير منك، ثم شد عليه فضربه بسيفه حتى برد، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم، فصاح به: قد رهقك العبد؛ قال: فلم يأبه له حتى غشيه فبدره الضربة، فاتقاه الكلبي بيده اليسرى، فأطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله، وأقبل الكلبي مرتجزاً وهو يقول، وقد قتلهما جميعاً:

إنْ تُنكِروني فأنا ابن كلبِ
حَسْبيَ بَيْتي في عُمَيمٍ حَسْبي
إني امرؤٌ ذو مِرّة وَعضبِ
ولستُ بالخَوّارِ عندَ النّكْبِ
إنّي زعيمٌ لكِ أم وهب
بالطعنِ فيهم مُقدِماً والضربِ
ضَرْبِ غُلام مؤمنٍ بِالرّبِّ

فأخذت أم وهب امرأته عموداً، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فأقبل إليها يردها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه، ثم قالت: إني لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها حسين، فقال: جُزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال؛ فانصرفت إليهن. قال: وحمل عمرو بن الحجاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة، فلما أن دنا من حسين جثوا له على الركب، وأشرعوا

الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنبل، فصرعوا منهم رجالاً، وجرحوا منهم آخرين.

موارد الاعتبار:

1 ـ كان أول المبارزين من أصحاب الحسين عبد الله الكلبي، وكان قد خرج هو وزوجته أم وهب ليلاً إلى الحسين بالرغم من الرقابة الشديدة التي كانت من قبل جيش العدو تجاه حركات الناس لنصرة الحسين.

2 ـ أرسل عمر بن سعد رجلين من موالي أبي سفيان هما يسار مولى زياد وسالم مولى ابن زياد فقالا مخاطبين معكسر الحسين: «**من يبارز ليخرج إلينا بعضكم**» وفي اختيار عمر بن سعد هذين للمبارزة دلالتين أنه هو بالذات يطلب المبارزة باعتباره قائد جيش العدو وأن هذين لهما حروب في عهد عليٍ وابنه الحسن ويساهمان على نفس الخط في عهد الحسين.

3 ـ أن عمر كان يتوقع أن يخرج أحد الشخصيات الكبار من أصحاب الحسين فيكون الرجحان في جانبه لمحاربة اثنين ضد واحد.

4 ـ كان الكلبي كفؤاً لمحاربة الرجلين (كان رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين) فجعل الحسين له الخيار بقوله: «**إني لأحسبه للأقران قتالاً اخرج إن شئت**».

5 ـ لم يتوقع عمر ولا يسار ولا سالم من خروج الكلبي وظهرت الروح الطبقية في هذين بالذات حيث سألاه من

أنت؟ فانتسب لهما فقالا: لا نعرفك وطالبا بخروج أشخاص معروفين عندهم من أصحاب الحسين وقابل الكلبي هذه الروح القبلية بالاستحقار مؤكداً على تساوي الناس لوحدة الأهداف وخاصةٍ في ساحة الحرب هذه بقوله: «**وبك رغبة في مبارزة أحد من الناس**».

6 ـ قضى الكلبي بمفرده على الاثنين في المبارزة وقد قتلهما جميعاً مؤكداً على هدفه بنصرة العقيدة والمبدأ بقوله: «**ضرب غلامٍ مؤمنٍ بالرب**» مستهيناً بالروح القبلية.

7 ـ منع الحسين زوجة الكلبي أم وهب من المشاركة في الحرب لمساعدة زوجها مؤكداً على الثابتة الإسلامية (ليس على النساء قتال).

دعوى مستجابة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني حسين أبو جعفر، قال: ثم إن رجلاً من بني تميم ـ يقال له عبدلله بن حوزة ـ جاء حتى وقف أمام الحسين، فقال: يا حسين، يا حسين! فقال حسين: ما تشاء؟ قال: أبشر بالنار، قال: كلا، إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة؛ قال: رب خذه إلى النار؛ قال: فاضطرب به فرسه في جدول فوقع فيه. وتعلقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض. ونقر الفرس، فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجرٍ وكل شجرة حتى مات.

قال أبو مخنف: وأما سويد بن حية؛ فزعم لي أن عبد الله بن

حوزة حين وقع فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب، وارتفعت اليمنى فطارت، وعدا به فرسخ يضرب رأسه كل حجر وأصل شجرة حتى مات.

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب، عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي، عن أخيه مسروق بن وائل؛ قال: كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلةً عند عبيد الله بن زياد؛ قال: فلما انتهينا إلى حسين تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزى، فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكت حسين؛ فقالها ثانية، فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال: قولوا له: نعم، هذا حسين، فما حاجتك؟ قال: يا حسين، أبشر بالنار؛ قال: كذبت، بل أقدم على رب غفور وشفيع مطاع؛ فمن أنت؟ قال: ابن حوزة؛ قال: فرفع الحسين يده حتى رأينا بياض بطيه من فوق الثياب ثم قال: اللهم حزه إلى النار؛ قال: فغضب ابن حوزة، فذهب ليُقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر؛ قال: فعلقت قدمه بالركاب، وجالت به الفرس فسقط عنها؛ قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب. قال: فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه؛ قال: فسألته، فقال: لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً قال: ونشب القتال.

موارد الاعتبار:

1 ـ كلام ابن حوزة مخاطباً الحسين بقوله: «**أبشر بالنار**» استهدف إلى تثبيط عزيمة الحسين لرفضه الاستسلام والحسين من جانبه أكد على رؤيته الواضحة في هذه المسيرة بقوله: «**ربٌ مطاع**» حيث إن الطاعة ليست إلا لله.

2 ـ حيث إن ابن حوزى لم يبادر للاعتداء باليد بل اعتدى على

الحسين باللسان عامله الحسين بالمثل فدعا عليه بما يشتق من اسمه قائلاً: «**ربي حزه إلى النار**» وقد استجاب الله دعوة الحسين (فأضرب فرسه وتعلقت رجله بالركاب... فأخذ يمر به فيضرب رأسه كل حجر وكل شجر حتى مات).

3 ـ مقالة مسروق بن وائل تكشف عن روحية مادية صرفة في جيش العدو (لعلي أصيب راس الحسين فأصيبُ به منزلة عند عبيد الله بن زياد) فهو جيش مادي مسترزق وليس على أية عقيدةٍ ثابتة والحسين لم يستجب لندائه قط، بل في المرة الثالثة قال: «**قولوا له فما حاجتك؟**».

مبارزة برير

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: وحدثني يوسف بن يزيد، عن عفيف بن زهير بن أبي الأخنس ـ وكان قد شهد مقتل الحسين ـ قال: وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس، فقال: يا برير بن حضير، كيف ترى الله صنع بك! قال: صنع الله والله لي خيراً، وصنع الله بك شراً؛ قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً، هل تذكر وأنا أماشيك في بني لوذان وأنت تقول: إن عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإن معاوية بن أبي سفيان ضال مُضل، وإن أمام الهدى والحق علي بن أبي طالب؟ فقال له برير: أشهد أن هذا رأيي وقولي؛ فقال له يزيد بن معقل: فإني أشهد أنك من الضالين؛ فقال له برير بن حضير: هل لك بأهلك، ولندع الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثم اخرج فلأبارزك؛ قال: فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحق المبطل؛ ثم برز كل

واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يريد بن معقل برير بن حضير ضربة خفيفة لم تضره شيئاً، وضربه برير بن حضير ضربة قدت المغفر، وبلغت الدماغ، فخر كأنما هوى من حالق، وإن سيف ابن حضير لثابت في رأسه، فكأني أنظر إليه ينضنضه من رأسه، وحمل عليه رضى بن منقذ العبدي فاعتنق بريراً، فاعتركا ساعةً. ثم إن بريراً قعد على صدره فقال رضى: أين أهل المصاع والدفاع؟ قال: فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه، فقلت: إن هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد، فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره، فلما وجد مسَّ الرمح برك عليه فعض بوجهه، وقطع طرف أنفه، فطعنه كعب بن جابر حتى ألقاه عنه، وقد غيب السنان في ظهره، ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله؛ قال عفيف: كأني أنظر إلى العبدي الصريع قام ينفض التراب عن قبائه، ويقول: أنعمت علي يا أخا الأزد نعمة لن أنساها أبداً؛ قال: فقلت: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم، رأى عيني وسمع أذني.

فلما رجع كعب بن جابر قالت له امرأته، أو أخته النوار بنت جابر: أعنت علي ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء؛ لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً.

وقال كعب بن جابر:

سَلي تُخبري عنّي وأنتِ ذميمة
غَداةَ حُسينٍ والرِّماحُ شوارعُ
ألم آتِ أقصى ما كرهت ولَم يُخِلْ
عليَّ غداةَ الرَّوْع ما أنا صانعُ
معِي يَزَنيٌّ لم تَخُنْه كعوبُهُ
وأبْيضُ مخشوبُ الغِرَارين قاطع

فـجـردتُـه فـي عـصـبـةٍ لـيـس ديـنُـهـمْ
بـديـنـي وإنِّـي بـابـنِ حـربٍ لـقـانـعُ
ولـم تَـر عـيـنِـي مِـثـلـهـم فـي زمـانِـهـمْ
ولا قـبـلَـهـم فـي الـنـاس إذ أنـا يـافـعُ
أشـدّ قِـراعـاً بـالـسـيـوف لـدى الـوَغَـى
ألا كـلُّ مـنْ يـحـمِـي الـذِّمـارَ مُـقـارِعُ
وقـد صـبرُوا لـلـطـعـنِ والـضـرب حُـسَّـراً
وقـد نـازلـوا لـو أنَّ ذلـك نـافـعُ
فـأبـلـغْ عـبـيـد الـلـه إمـّا لـقِـيـتَـه
بـأنـي مُـطـيـعٌ لـلـخـلـيـفـةِ سـامـعُ
قَـتـلـتُ بُـريـراً ثـم حَـمَّـلـتُ نِـعـمـةً
أبـا مُـنـقـذ لـمَّـا دعـا: مَـن يُـمـاصـعُ؟

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، قال: سمعته في إمارة مصعب بن الزبير؛ وهو يقول: يا رب إنا قد وفينا، فلا تجعلنا يا رب كمن قد غدر؛ فقال له أبي: صدق، ولقد وفى وكرم، وكسبت لنفسك شراً؟ قال: كلا، إني لم أكسب لنفسي شراً، ولكن كسبت لها خيراً.

قال: وزعموا أن رضى بن منقذ العبدي رد بعد على كعب بن جابر جناب قوله، فقال:

لـو شـاء ربـي مـا شـهـدت قِـتَـالَـهُـمْ
ولا جـعَـل الـنَّـعْـمـاءَ عـنـد ابْـن جـابـر
لـقـد كـانَ ذاكَ الـيـومُ عـاراً وسُـبَّـةً
يُـعـيْـرُهُ الأبـنـاءُ بـعـد الـمـعـاشـرِ

فيا ليتَ أني كنتُ مِن قبلِ قتلِهِ
ويوم حُسينٍ كنت في رَمْس قابرِ

موراد الاعتبار:

1 ـ أسئلة يزيد بن معقل لبَرير كيف ترى الله صنع لك تكشف أن جيش العدو استخدم الحزازات القديمة لإذكاء نار الحرب ضد الحسين وقد تأثر بها يزيد بن معقل وهو صاحبٌ لبُرير من قبل استشهد بمواقفه تجاه سياسة عثمان وسياسة معاوية.

2 ـ اقترح بُرير المباهلة لحسم هذا الموضوع الذي لا يمكن أن ينتهي بالنقاش وهو اقتراحٌ لحل سريع عادل وخاصة في ظل الحرب فتوافقا على ذلك، وكانت النتيجة النصر لبرير.

3 ـ شخصيةُ بُرير كانت معروفة بالثقافة الإسلامية (كان يقرئنا القرآن في المسجد) لذلك كان بُرير يُحارب عن عقيدةٍ راسخة وامتنع عفيف بن زهير عن المشاركة في قتل برير لهذا السبب.

4 ـ لم يتمكن المبارز ضد بُرير من النجاة إلا بعد الاستنجاد (أين أهل المصاع والدفاع) فأتته النجدة الخارجية مما تكشف أن المبارزة خرجت من مبارزة شخص لشخص إلى مبارزة شخص واحد لجماعة وطبيعي أن تكون غير متكافئة.

5 ـ أن موقف النوار بنت جابر يفصح عن استنكارٍ شعبي للحرب ضد الحسين بقولها: «**أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء**» تعني بُرير خاصة واتخذت قرارها (والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً).

6 ـ يظهر من موقف كعب بن جابر بقوله إني مطيعٌ للخليفة سامع وهو تبرير لكل ظالم مع علمه بالظلم والطغيان فهل كان يقول ذلك لو أمره بقتل وُلده.

7 ـ يظهر من زوجة العبدي أنه كان جبري العقيدة وربما أشاعت السلطة هذه العقيدة لتثبيت حكمها في الشام (راجع المادة في المعجم فإن قوله لو شاء ربي ما شهدت قتالكم يناقض الاختيار الذي أعطاه إما شاكراً وإما كفوراً).

مبارزة الأنصاري

رواية الطبري:

قال: وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري يقاتل دون حسين وهو يقول:

قـد عـلـمَـتْ كـتِـيـبَـةُ الأنـصـار
أنِّـي سَـأحْـمِـي حـوْزَةَ الـذِّمـارِ
ضَـرْبَ غُـلامٍ غـيـرِ نِـكْـسٍ شـارِي
دون حـسـيـنٍ مُـهـجـتـي ودارِي

قال أبو مخنف: عن ثابت بن هبيرة، فقتل عمرو بن قرظة [قريظة][1] بن كعب، وكان مع الحسين، وكان علي أخوه مع عمر بن سعد، فنادى علي بن قريطة: يا حسين، يا كذاب ابن الكذاب، أضللت أخي وغررته حتى قتلته، قال: إن الله لم يضل أخاك، ولكنه هدى أخاك وأضلك؛ قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك؛

(1) تاريخ الطبري: ط بيروت عام 1998ر ـ المحقق.

فحمل عليه، فاعترضه نافع بن هلال المرادي، فطعنه فصرعه، فحمله أصحابُه فاستنقذوه، فدُووي بعدُ فبرأ.

موارد الاعتبار:

أ. كلام الأنصاري (حسين مهجتي وداري) يُعبر عن ذوبانه في شخصيته ذوباناً يفوق النفس والمال، فالحسين هو أغلى من المهجة ومن الدار لأنه القدوة والرمز الذي يستصغر عندهُ الماديات.

ب. موقف الأخوين أحدهما في جيش الحسين والآخر في جيش العدو، مما يكشف عن مدى الانشقاق في المجتمع الإسلامي حتى في الأسرة الواحدة في المواقف والأهداف.

ج. اتهام أخو الأنصاري للحسين بقتل أخيه يكشف عن مدى الجهل عن مسيرة الحسين وأهدافها حيث لم ير هذا أخاه أهلاً لأن يتخذ قراراً لنفسه بنفسه في حياته الشخصية ووجه الاتهامات التالية:

* «يا حسين يا كذاب ابن الكذاب أضللت أخي وغررته حتى قتلته». ولم يرد الحسين على الاتهام الأول لأنه يكشف عن جهل بالأهداف (وأعرض عن الجاهلين).

مبارزة الحر

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح أبو زهير العبسي أن الحر بن يزيد لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شقرة وهم بنو

الحارث بن تميم، يقال له يزيد بن سفيان: أما والله لو أني رأيت الحر بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان؛ قال: فبينا الناس يتجاولون ويقتتلون والحر بن يزيد يحمل على القوم مقدماً ويتمثل قول عنترة:

مَا زِلْتُ أرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ
وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

قال: وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه، وإن دماءه لتسيل، فقال الحصين بن تميم ـ وكان على شُرطة عبيد الله، فبعثه إلى الحسين، وكان مع عمر بن سعد، فولاه عمر مع الشرطة المجففة ـ ليزيد بن سفيان: هذا الحر بن يزيد الذي كنت تتمنى؛ قال: نعم. فخرج إليه فقال له: هل لك يا حر بن يزيد في المبارزة؟ قال: نعم قد شئتُ، فبرز له؛ قال: فأنا سمعت الحصين بن تميم يقول: والله لأبرز له؛ فكأنما كانت نفسه في يده، فما لبثه الحر حين خرج إليه أن قتله.

موارد الاعتبار:

1 ـ مقالة يزيد بن سفيان: «**لو أني رأيت الحر بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان**» يكشف عن عمق التحاق الحر بالحسين وتأثيره الشديد على جيش العدو فإن شخصيته القيادية والتحاقه بالحسين زعزع الروح المعنوية لجيش العدو.

2 ـ سيلان الدماء على الفرس (المضروب على أذنيه وحاجبيه) يكشف عن تلاحم شديد بين الحر وجيش العدو وإن هذا التلاحم كان من قرب في مواجهة جماعات متعددة.

3 ـ من الغريب أن يزيد بن سفيان الذي أصبح ذا رئاستين هما الشرطة والمجففة تطوع للمبارزة ضد الحر مما يكشف أن السلطة كانت توزع العناوين الخيالية لطلابها كي تضمهم إلى جانبها.

4 ـ قبول الحر للمبارزة وهو على تلك الحال من الفرس المدمى يكشف عن الاستماتة في القتال وعن وعي بضعف المقاتلين واغترارٍ بتلك العناوين الخيالية.

مبارز نافع

رواية الطبري:

قال هشام بن محمد، عن أبي مخنف. قال: حدثني يحيى بن هانئ بن عروة، أن نافع بن هلال كان يقاتل يومئذٍ وهو يقول: «**أنا الجملي أنا على دين علي**».

قال: فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حُريث، فقال: أنا على دين عثمان، فقال له: أنت على دين شيطان، ثم حمل عليه فقتله.

موارد الاعتبار:

1 ـ شعار نافع بن هلال يكشف عن وعي كامل للأسباب التاريخية للحرب على الحسين فهو يتضمن مادتين:

الأولى: أنه شارك في حرب الجمل بقوله: «**أنا الجملي**» فهو إشارة إلى معرفة كاملة بأصول هذه الحركة منذ معركة الجمل عام ٣٧.

الثانية: أنه سائرٌ على خطى علي بن أبي طالب ومن

المعروف تاريخياً أنه قام بحروبٍ تصحيحية في الجمل وصفين والنهروان فتكون الحرب على الحسين ممتدة من تلك الخطوط التاريخية.

الحملة الجماعية

رواية الطبري:

فصاح عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقى، أتدرون من تقاتلون! فرسان المصر؛ قوماً مستميتين؛ لا يبرزن لهم منكم أحد، فإنهم قليل وقلما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم؛ فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم.

قال أبو مخنف: حدثني الحسين بن عقبة المرادي، قال: الزبيدي: إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام، فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجاج، أعلي تحرض الناس؟ أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم، ومتم على أعمالكم، أينا مرق من الدين، ومن هو أولى بصلى النار! قال: ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة؛ فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة، فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق، فقال: رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزّ عليّ مصرعُك يا مسلم، أبشر بالجنة،

فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشَّرك الله بخير! فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين؛ قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله ـ وأهوى بيده إلى الحسين ـ أن تموت دونه، قال: أفعل ورب الكعبة؛ قال: فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم؛ وصاحت جارية له فقالت: يا بن عوسجتاه! يا سيداه! فنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي؛ فقال شبث لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذللون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم! لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون!.

قال: وكان الذي قتل مسلم بن عوسجة مسلم عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي، قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن في الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له، فطاعنوه وأصحابه، وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب، فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين، وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي وبكير ابن حي التيمي، من تيم الله بن ثعلبة، فقتلاه، وكان القتيل الثاني من أصحاب الحسين، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً، وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته، فلما رأى ذلك عزرة بن قيس ـ وهو على خيل أهل الكوفة ـ أن خيله تنكشف من كل جانب، بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن، فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث إليهم الرجال والرماة، فقال لشبث بن ربعي: ألا تقدم إليهم فقال:

سبحان الله! أتعمد إلى شيخ مضر وأهل المصر عامة تبعثه في الرماة! لم تجد من تندب لهذا ويجزئ عنك غيري! قال: وما زالوا يرون من شبث الكراهة لقتاله، قال: وقال أبو زهير العبسي: فأنا سمعته في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسددهم لرشد، ألا يعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية! ضلال يا لك من ضلال!.

موارد الاعتبار:

1 ـ أعلن عمرو بن الحجاج من جيش العدو فشل التكتيك العسكري التقليدي بالمبارزة ضد الحسين وأصحابه مما يكشف عن خسارة فادحة في جيش العدو بالرغم من قلة أصحاب الحسين وعلل هذا الفشل بأمور:

أ. (يا حمقى) وهذا التعبير يكشف عن موافقته للقرار من البداية.

ب. (تقاتلون فرسان المصر) وهذا يكشف عن معرفته الكاملة بشخصياتهم.

ج. (قوماً مستميتين) فإن هذه هي الخصلة الفارقة بين أصحاب الحسين وجيش عدوه فهؤلاء مستميتون وجيش عدوه طلاب سلامة وغنيمة ورئاسة وفي حالة كهذه طبيعي أن تكون الخسارة البشرية أكثر في جيش العدو.

2 ـ يظهر أن عمر بن سعد كلف الحجاج بأوامر جديدة حيث قال: «**صدقت الرأي ما رأيت**» ولذلك قام الحجاج بالنداء لأهل الكوفة قائلاً: «**أن لا يبارز رجل منكم رجلاً منهم**»

حيث أثبتت المبارزة الثنائية الفشل.

3 ـ تضمنت خطبة الحجاج اتهام الحسين بالمروق من الدين، وهذا الاتهام يكشف عن ضعف الجيش وشكه في شرعية قتال الحسين.

4 ـ وحيث سمع الحسين هذا الاتهام الظالم الذي صدر لأول مرة أعلن الحسين موقفه بالاستفهام الإنكاري: «**أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه**» ولن يفتقر رد هذا الاتهام سوى معرفة الأعمال التي تكشف بنفسها عن نتائجها.

5 ـ كانت الحملة الجماعية من ميمنة جيش العدو وقد تصدى أصحاب الحسين لهم بالرغم من قلتهم فلم يتمكنوا من التقدم.

6 ـ وقع مسلم بن عوسجة الأسدي من أصحاب الحسين صريعاً في هذه الحملة الجماعية، وكان الوحيد ولم يعرف جيش العدو شخصه (حتى ارتفعت الغبرة) مما يكشف عن شدة التلاحم.

7 ـ كان الحسين أول من مشى إلى مسلم بن عوسجة ثم أوصى مسلم لحبيب ابن مظاهر «**أنا أوصيك بهذا رحمك الله**» مما يكشف عن شدة ذوبانه في شخصية الحسين.

8 ـ فرح جيش العدو من مقتل ابن عوسجة وقد أوجد هذا الفرح سخطاً في نفوس البعض حيث قال: «**ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بايديكم أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة**» مما يكشف عن انقسام في القيادات العليا في اتجاه سياسة الحرب.

9 ـ قاد شمر حملة الميسرة من جيش العدو، وهي كما تظهر

كانت متزامنة مع حملة الميمنة مستهدفةً القضاء على الحسين وأصحابه في معركة فاصلة.

10 ـ لم يكن العدد متكافئاً في الجانبين إطلاقاً فقد كان عدد أصحاب الحسين في ميسرة الحسين 32 فارساً والتعادل يقتضي أن يكون العدد في الميمنة 32 كذلك، والمجموع 64 والباقي ثمانية على الأغلب كانوا رجالة، ويكون المجموع 72 وجيش العدو يتكون مما سبق من خمسة آلاف، فالنسبة غير متكافئة إطلاقاً.

11 ـ رفض شبث بن ربعي من قيادة الرماة يكشف عن أمرين: أولاً: التنافس بالعناوين العسكرية فقيادة الرماة دون قيادة الخيالة. وثانياً: التذمر من الحرب أو عدم الإيمان بنجاحها.

عقر خيل الحسين

رواية الطبري:

قال: ودعا عمر بن سعد الحصين بن تميم فبعث معه المجففة وخمسمائة من المرامية، فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رجالة كلهم.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة أن أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه، حشأته سهماً، فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا، فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيف في يده، وهو يقول:

إن تَـعْـقِـرُوا بـي فـأنـا ابـنُ الـحُـرّ
أشْـجَـعُ مـن ذي لِـبَـد هَـزَبْـر

قال: فما رأيت أحداً قط يفري فريه؛ قال: فقال له أشياخٌ من الحي: أنت قتلته؟ قال: لا والله ما أنا قتلته، ولكن قتله غيري، وما أحب أني قتلته، فقال له أبو الوداك: ولِمَ؟ قال: إنه كان زعموا من الصالحين، فوالله لئن كان ذلك إثماً لأن ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحب إلي من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم، فقال له الوداك: ما أراك إلا ستلقى الله بإثم قتلهم أجمعين؛ أرأيت لو أنك رميت ذا فعقرت ذا، ورميت آخر، ووقفت موقفاً، وكررت عليهم، وحرضت أصحابك، وكثَّرت أصحابك، وحُمل عليك فكرهت أن تفر، وفعل آخر من أصحابك كفعلك، وآخر وآخر، كان هذا وأصحابه يقتلون! أنتم شركاء كلكم في دمائهم فقال له: يا أبا الوداك، إنك لتقنطنا من رحمة الله، إن كنت ولي حسابنا يوم القيامة فلا غفر الله إن غفرت لنا! قال: هو ما أقول لك.

موارد الاعتبار:

1 ـ عقر الخيل يكشف عن العجز عن الحرب على الخيول، فكانت الخطة القضاء على ما يستخدمه أصحاب الحسين من وسائل الحرب.

2 ـ نجحت الخطة بفضل خمسمائة من الرماة فتكون النسبة 6% أي محاربة مائة رامي مقابل ستة أشخاص، بالإضافة إلى المجففة التي لم نعرف بالضبط دورهم ولا عددهم فإن كان دورهم عقر الخيل فقد تمت العملية بنجاح.

3 ـ أصبح أصحاب الحسين كلهم رجاله فلا خيل لهم يستخدمونها كوسيلة في الحرب، ولكن ذلك لم يمنعهم من

الاستمرار في الحرب على أرجلهم من مواجهة ثلاث فرق من جيش العدو هي الخيالة والرامية والمجففة.

4 ـ كان الحر بن يزيد واعياً لمضاعفات الخطة فبعد أن أصاب السهم فرسه تنحى (كأنه ليث والسيف بيده) وشعره يكشف عن روح معنوية عالية كما تكشف مواقفه (فما رأيتُ أحداً قط يفري فريه).

5 ـ محادثة ابن الوداك وأيوب الخيواني يكشف عن عمق الندم في قلوب من شارك في الحرب ضد الحسين ولما اتهمه بقوله: «**أنتم شركاء كلكم في دمائهم**» قال: «**يا أبا الوداك إنك لتقنطنا من رحمة الله**» مما يكشف عن استيلاء فكرة الأرجاء على عامة الجيش ومنهم الخيواني.

حرق خيام الحسين

رواية الطبري:

قال: وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشد قتال خلقه الله، وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلا من وجهٍ واحد لإجماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض.

قال: فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوضونها عن إيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم؛ قال: فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخللون البيوت فيشدون على الرجل وهو يقوض وينتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال: أحرقوها بالنار، ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوضوه، فجاؤوا بالنار، فأخذوا يحرقون، فقال حسين: دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها، وكان ذلك

كذلك، وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد. قال: وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة! فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود؛ فضرب رأسها فشدخه، فماتت مكانها؛ قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه، ونادى: علي بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله؛ قال: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، قال: وصاح به الحسين: يا بن ذي الجوشن، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي، حرقك الله بالنار!.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: قلت لشمر بن ذي الجوشن: سبحان الله! إن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين. تعذب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء! والله إن في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك؛ قال: فقال: من أنت؟ قال: قلت: لا أخبرك من أنا، قال: وخشيت والله أن لو عرفني أن يضرني عند السلطان؛ قال: فجاءه رجل كان أطوع له مني، شبث بن ربعي. فقال: ما رأيت مقالاً أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبح من موقفك، أمُرعباً للنساء صرت! قال: فأشهد أنه استحيا، فذهب لينصرف. وحمل عليه زهير ابن القين في رجال من أصحابه عشرة، فشد على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه، فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها، فصرعوا أبا عزة الضبابي فقتلوه، فكان من أصحاب شمر، وتعطف الناس عليهم فكثروهم، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم.

موارد الاعتبار:

1 ـ طبيعة الحرب العقائدية أن تكون شديدة وقد استمرت من الصباح حتى (انتصف النهار) أي حوالي خمس ساعات على الأقل فمن الطبيعي أن يكون (أشدُّ قتال خلقه الله) من أُناس مستميتين من أجل قضيتهم ولم يحصل جيش العدو على ماله من العدة والعدد من كسب النصر باستسلامهم.

2 ـ استخدم جيش العدو خطة جديدة (تقويض خيام الحسين) لتكون المواجهة من كل الجهات على أصحاب الحسين وقد أبدى أصحاب الحسين استعداداً كاملاً في المقاومة بفضل التحصن الذي أمر الحسين به بحفر الخندق وتلاحم البيوت (فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخللون البيوت فيشددون على العدو وهو يقوض وينهب فيقتلونه ويرمونه من قريب) تتلخص خطة أصحاب الحسين بما يلي:

أ. التعاون في المقاومة (الثلاثة أو الأربعة).

ب. التستر (يتخللون البيوت).

ج. المفاجئة (فيشددون على الرجل وهو يقوض).

د. العقاب (فيقتلونه).

هـ. الإعلان عن العقاب (يرمونه من قريب).

و. إرعاب الجيش (أو يعرقونه).

وبهذا الأسلوب تمكن أصحاب الحسين من إحباط خطوة العدو.

3 ـ قام جيش العدو بخطة جديدة بعد فشل تقويض الخيام ونهبها وهي خطة حرق خيام الحسين فأمر عمر بن سعد

وقال: «**أحرقوها بالنار**» وهذا يكشف عن تخبط ابن سعد في قراراته العسكرية في هذه اللحظة الحاسمة، فإنه قصد بإحراق الخيام إزالتها عن الطريق للهجوم على الحسين وأصحابه من كل جانب وقد وحد حرق الخيام جهة المواجهة حيث أنه حبس الخيالة من جيش العدو لأن الخيل تتحاشى النار.

4 ـ استخدم جيش العدو التعدي على النساء خلافاً للعادات العربية المتبعة فلما خرجت امرأة الكلبي إلى رأس زوجها المقتول أمر شمر (اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها) وحمل شمر (حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى علي بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله فصاح النساء وخرجن من الفسطاط) وصاح به الحسين ودعا عليه ولم يمنع ذلك شمراً حتى منعه حميد بن مسلم.

5 ـ استنكر من جيش العدو البعض خطة الحرق بالنار وقتل النساء والتعدي على البيوت التي قام بها شمر فقال: «**إن هذا لا يصلح لك أتريد أن تجمع نفسك خصلتين تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء**».

وقال شبث بن ربعي: «**ما رأيت مقالاً أسوأ من قولك ولا موقفاً أقبح من موقفك**» وحينئذ استحى وذهب لينصرف.

6 ـ لم يمتنع شمر من خطته بسبب استنكار من استنكر حتى (حمل عليه زهير بن القين في رجالٍ من أصحابه عشرة فشد على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا).

استدعاء لأداء الصلاة

رواية الطبري:

قال: فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله؛ نفسي لك الفداء؛ إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها.

قال: فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين! نعم، هذا أول وقتها؛ ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي؛ فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل زعمت! الصلاة من آل رسول الله ﷺ لا تُقبل وتُقبل منك يا حمار!.

موارد الاعتبار:

1 ـ تنبّه أبو ثمامه الصائدي إلى وقت صلاة الظهر ولم يخف عنه ولا عن أصحاب الحسين اللحظة الحرجة التي يواجهونها واستخدم الصائدي أسلوبه الخاص للتذكير بالوقت حيث لم تكن هناك حاجة إلى التأكيد على ولائه، فأراد تذكير الحسين بوقت الصلاة بأسلوب أدبي بقوله: «**أُحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها**».

2 ـ تأكد الحسين من وقت الصلاة (فرفع الحسين رأسه وربما لاستخدام العلامات في تعين منتصف النهار من إمالة الشمس عن الحاجب الأيمن ثم قال: «**نعم هذا أول**

وقتها» ومن ذلك يستكشف استمرار الحرب حتى منتصف النهار.

3 ـ أمر الحسين أصحابه بأن يسألوا جيش العدو بالهدنة المؤقتة من أجل الصلاة (سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي) وذلك تأكيد على أهداف الحرب هذه فإن الغاية لا تبرر الواسطة لأن الصلاة عمود الدين وللحرب صلاتها الخاصة يجب أدائها في هذه الحالة الاستثنائية بشروطها الخاصة.

4 ـ كان رفض الجيش للصلاة يكشف عن مواقف الحسين وأعدائه ولذلك رجح الجيش قبول الطلب وعلق قائد الجيش (أنها لا تقبل) وعارضه حبيب بن مظاهر بالاستنكار بقوله: «**زعمت الصلاة من آل رسول الله لا تقبل وتقبل منك يا حمار**» مما يظهر أن جيش العدو وافق على هذا الطلب خشية أن يتفاقم الاستنكار في صفوف الجيش.

أصحاب الحسين(1)

حبيب بن مظاهر الأسدي

رواية الطبري:

قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشب ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أقسِمُ لو كُنَّا لكم أعْدادَا
أو شَطْرَكمْ ولَيْتمُ أكتَادَا
يا شَرَّ قوم حسَباً وَآدا

قال: وجعل يقول يومئذٍ:

أنـــا حـــبـــيـــب وأبـــي مَـــظـــاهِـــرُ
فـــارِسُ هـــيـــجـــاءَ وحـــرب تُـــســـعَـــرُ
أنـــتـــمْ أعَـــدّ عُـــدَّة وأكـــثـــرُ
ونـــحـــن أوفـــى مـــنـــكُـــمُ وأصْـــبَـــرُ
ونـــحـــن أعْـــلـــى حُـــجَّـــة وأظـــهـــرُ
حـــقًّـــت وأتـــقَـــى مـــنـــكـــمُ وأعْـــذَرُ

وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه رجلٌ من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله ـ وكان يقال له: بديل بن صُريم من بني عقفان ـ وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه فوقع، فذهب ليقوم، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف، فوقع، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه، فقال له الحصين: إني لشريكك في قتله، فقال الآخر: والله ما قتله غيري؛ فقال الحصين: أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شركتُ في قتله؛ ثم خذه أنت بعد فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه. قال: فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في المعسكر قد علقه في عنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر فبَصُر به ابنه القاسم بن حبيب، وهو يومئذ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه، فارتاب به، فقال: مالك يا بني تتبعني! قال: لا شيء، قال: بلى، يا بني أخبرني، قال له: إن هذا الرأس الذي معك رأس

أبي، أفتعطينيه حتى أدفنه؟ قال: يا بني، لا يرضى الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً، قال له الغلام: لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب؛ أما والله لقد قتلت خيراً منك، وبكى. فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلما كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميرا دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد.

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن قيس، قال: لما قتل حبيب بن مظاهر هد ذلك حسيناً وقال عند ذلك: أحتسب نفسي وحماة أصحابي.

موارد الاعتبار:

1 ـ ما أنشده حبيب بن مظاهر من الشعر حين المبارزة يؤكد على النقاط التالية:

أ. عدم التعادل في الجانبين المتحاربين.

ب. تعريف نفسه بالنسب والخبرة الحربية.

ج. الاعتراف بغلبة العدو في العدة والعدد.

د. الإعلان عن موقفه وموقف أصحاب الحسين بصفات هي: الوفاء والصبر وعلو الحجة وظهور الحجة والتقوى والعذر في الحرب وهي صفات تكشف عن وضوح الرؤيا للواقع والمسير والمصير.

2 ـ تناقش الرجلين من معسكر العدو على دعوى قتل حبيب

يكشف عن اعترافهما بعلو شخصية الداعي إلى التنافس حتى اكتفى أحدهما بتعليق رأسه (أعطنيه أعلقه في عنق فرسي).

3 ـ الابن القاسم بن حبيب وهو يومئذ مراهق كان يحاول إنقاذ رأس أبيه من جيش العدو ولما جلبت تصرفاته الانتباه (فقال مالك يا بني تتبعني) أجاب الابن (لا شيء) ثم طالب بكل صراحة أن يعطيه رأس أبيه مُعللاً ذلك بقوله: «**حتى أدفنه**» مما يكشف عن روح عاليه في هذا المراهق بواجبه الإسلامي لدفن الرأس إن لم يتمكن من دفن الجسد.

4 ـ كان الابن هذا منذ سن المراهقة متابعاً لقاتل أبيه لم يكن له همة إلا اتباع أثر القاتل (حتى دخل عليه وهو قائل) نائم نصف النهار فضربه بسيفه في غزوة مصعب أي حوالي عام 70 للهجرة وربما بلغ الولد حوالي 25 سنة.

5 ـ لقد أثر مقتل حبيب على الحسين كثيراً (هد ذلك حسيناً) لما لهذه الشخصية من تاريخ مشرق في الإسلام.

الحر الرياحي (2)

رواية الطبري:

قال: فأخذ الحر؛ يرتجز ويقول:

آلـيـتُ لا أُقـتـلُ حـتَّـى أقـتُـلاَ

ولـنْ أُصـابَ الـيـومَ إلاَّ مُـقـبـلاَ

أضْـرِبُـهُـمْ بـالـسـيـف ضَـرْبـاً مِـفْـصـلا
لا نــاكِــلاً عَــنْــهــمْ وَلا مــهــلّــلا

وأخذ يقول أيضاً:

أضـرِبُ فـي أعـراضِـهـم بـالـسـيـفْ
عـن خـيـرِ مَـنْ حَـلّ مِـنّـى والـخَـيْـفْ

فقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، فكان إذ شدّ أحدُهما؛ فإن استُلحم شد الآخر حتى يخلصه، ففعلا ذلك ساعة، ثم إن رجالة شدت على الحر بن يزيد فقتل، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدواً له، ثم صلوا الظهر، صلى بهم الحسين صلاة الخوف.

موارد الاعتبار:

1 ـ امتاز الحر بالخبرة التجريبية للجانبين المتحاربين فهو ذاد حملة من جانب جيش العدو وكان أول من راقب الحسين وسد طريقه فهو على تجربة شخصية للجانبين وبناء على هذه التجربة التحق بركب الحسين وقد ذكر للحسين أسباباً يكفي منها التدليل على موقفه الجديد.

2 ـ قاتل كلٌّ من الحر زهير (قتالاً شديداً) مما يكشف أن شدة التلاحم بين شخص واحد هو الحر وجيش العدو الذي انفصل عنه قريباً كان يفتقر إلى من يساعده (شد الآخر حتى يخلصه) حتى كان مقتل الحر على أثر (رجاله شدت عليه).

3 ـ صلى الحسين صلاة الخوف وهي الصلاة التي يقصر المكلف فيها إلى ركعتين كالمسافر وهي مشروحة في الفقه وقد قتل من أصحاب الحسين اثنان هما حبيب بن مظاهر والحر الرياحي فتكون عدة أصحاب الحسين سبعون شخصاً

صلى بهم صلاة الظهر صلاة الخوف.

4 ـ بعد صلاة الخوف هذه نجد مقالات أصحاب الحسين متشابهة ومواقفهم متحدة تؤكد على المضي بعزم على الاستشهاد في سبيل الله ونكتفي بسردها كما رواها الطبري من دون تعليق.

الحنفي(3)

رواية الطبري:

ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم، ووصل إلى الحسين، فاستقدم الحنفي أمامه، فاستهدف وهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه، فما زال يُرمى حتى سقط.

زهير بن القين(4)

رواية الطبري:

وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً، وأخذ يقول:

أنــا زُهــيــرٌ وأنــا ابْــنُ الــقَــيْــنِ
أَذُودُهــمْ بــالــسـيـفِ عــن حــســيــن

قال: وأخذ يضرب على منكب حسين ويقول:

أقــدِمْ هُــدِيــتَ هــادِيــاً مَــهــدِيّــاً
فــي الــيــومِ تَــلــقَــى جَــدَّكَ الــنَّــبِــيَّــا
وحَــســنــاً والــمــرتــضّــى عــلــيّــا
وذَا الــجــنَــاحَــيْــنِ الــفَــتَــى الــكَــمــيّــا
وأســدَ الله الــشــهــيــدَ الــحــيَّــا

قال: فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه.

موارد الاعتبار:

1 ـ وزهير بن القين الوحيد من أصحاب الحسين الذي أخذ يضرب على منكب الحسين وينشد رجزه المفضل ولم يعهد ذلك من غيره فهل هذا مواساة معه في وقت الشدة أو تباشر بالشهادة التي يراها كلٌ منهما واقعة قريبة لا محالة؟

2 ـ الرجز يحتوي على نقاط أو مواد:

أ. التعريف بنفسه كي لا يكون هناك شك في معرفة شخصه.

ب. الإشارة إلى الواجب الذي يشعر به وهو الذود عن الحسين بالسيف.

ج. المبرر لهذا الموقف وهو الهداية بنصرةِ الحسين.

د. الهدف وهو لقاء جد الحسين باعتباره قائد المسيرة التي سار على سنته أهل بيته وخاصة علي المرتضى وأخيه الحسن وعمه جعفر ذو الجناحين، وقد سبق شرحُ مواقفه في خطبته فليراجع.

نافع الجملي(5)

رواية الطبري:

قال: وكان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسومة وهو يقول: «**أنا الجملي، أنا علي دين علي**».

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح؛

قال: فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيراً، قال: فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أتى به عمر بن سعد، فقال عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قال: إن ربي يعلم ما أردت؛ قال: والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني؛ فقال له شمر: اقتله أصلحك الله! قال: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله، قال: فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله إن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه؛ فقتله.

قال: ثم أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول:

خلُّوا عُداةَ اللهِ خلُّوا عن شَمِرْ
يَضرِبُهُمْ بسيفه وَلاَ يَفَرّ
وهو لكم صابٌ وسَمٌّ ومَقِرّ

موارد الاعتبار:

1 ـ وقع نافع أسيراً في معركة كربلاء بعد أن قتل (اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيراً).

2 ـ والمحادثة بينه وبين قائد جيش العدو تكشف عن شخصيتهما وأهدافهما.

عمر: (ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت بنفسك؟) أراد القائد بذلك تحويل أهداف الحركة إلى مصالح شخصية.

نافع: (إن الله يعلم ما أردت) مؤكداً على أن أهداف الحركة لم تكن شخصية بل هي ما أراد الله ذلك معرضاً بقائد جيش العدو الذي له أهداف ومصالح شخصية.

3 ـ تحاشي قائد الجيش من قتل نافع يكشف عن شخصية نافع الاجتماعية حيث يتجنب القائد الثأر في قتله.

4 ـ لأول مرة يظهر شمر مرتجزاً بعد أن قتل نافع ويكشف رجزه عن خطابٍ بروحٍ قبلية فيقتل كما قتل.

5 ـ بعد مقتل نافع تصاعدت روح الاستشهاد أكثر من قبل وكأنه استولى اليأس على المحاربين (تنافسوا بأن يقتلوا بين يديه) كما يظهر بوضوح من رواية الطبري في الغفاريين والجابريين الآتيتين.

الغفاريين(6 ـ 7)

رواية الطبري:

قال: فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاريان، فقالا: يا أبا عبد الله، عليك السلام، حازنا العدو إليك، فأحببنا أن نُقتل بين يديك، نمنعك وندفع عنك، قال: مرحباً بكما! ادنوا مني، فدنوا منه، فجعلا يقاتلان قريباً منه، وأحدهما يقول:

قد علِمتْ حقًّا بنو غِفَارِ
وَخِنْدِفٌ بعد بني نزارِ

لَـنَـضْـرِبَـنَّ مـعْـشـرَ الـفُـجَّـارِ
بـكـلِّ عَـضْـبٍ صـارمٍ بَـتَّـارِ
يـا قـوم ذُودُوا عـن بـنـي الأحـرارِ
بـالـمْـشـرِفـيِّ وَالـقَـنَـا الـخـطَّـارِ

الجابريان(8 - 9)

رواية الطبري:

قال: وجاء الفتيان الجابريان: سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد الله بن سريع، وهما ابنا عم، وأخوان لأم، فأتيا حسيناً فدنوا منه وهما يبكيان، فقال: أي ابني أخي، ما يُبكيكما؟ فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين، قالا: جعلنا الله فداك! لا والله ما على أنفسنا نبكي، ولكنا نبكي عليك، نراك قد أحيط بك، ولا نقدر على أن نمنعك؛ فقال: جزاكما الله يا ابني أخي بوحدكما [بوجد كما][1] من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين.

الشبامي (10)

رواية الطبري:

قال: وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي فقام بين يدي حسين، فأخذ ينادي: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ يوم تولون مدبرين ما لكم من الله

(1) تاريخ الطبري: طبعة بيروت 1998.

عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد يا قوم [لا][1] تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ فقال له حسين: يا ابن أسعد، رحمك الله، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟ قال: صدقت، جعلت فداك! أنت أفقه مني وأحق بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟ فقال: رُح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى، فقال: السلام عليك أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك في جنته، فقال: آمين آمين؛ فاستقدم فقاتل حتى قُتل.

قال: ثم استقل الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسين ويقولان: السلام عليك يا بن رسول الله، فقال: عليكما السلام ورحمة الله؛ فقاتلا حتى قُتلا.

قال: ثم استقدم الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسين ويقولان: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال: وعليكما السلام ورحمة الله، فقاتلا حتى قُتلا[2].

موارد الاعتبار:

1 - يظهر من الشبامي أنه لم يستولِ عليه اليأس وظن بعض الأمل في هداية جيش العدو حيث أخذ ينادي مذكراً جيش العدو بالاعتبار بالتاريخ بالماضي والقريب من يوم الأحزاب وقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم مخوفاً العذاب

(1) تاريخ الطبري: طبعة بيروت 1998.

(2) يظهر من سياق ما تقدم الاستئذان بالمبارزة وأن هذا النص الذي ذكره الطبري هنا هو حين المبارزة.

على قتل الحسين.

2 ـ ولم يتلقَّ أي جوابٍ من الجيش وقال له الحسين: «**إنهم قد استوجبوا العذاب حين عادوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق... فكيف الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين**».

3 ـ تعليق الشبامي على كلام الحسين: «**جعلت فداك أنت أفقه مني**» يكشف أن الشبامي لم يكن يعرف خطط العدو، كما كان يعلمها الحسين حتى هذه اللحظة.

الشاكري وشوذب (11 ـ 12)

رواية الطبري:

قال: وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر، فقال: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟ قال: أصنع؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقتل؛ قال: ذلك الظن بك، أما لا فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى به مني بل لسرني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب؛ قال: فتقدم فسلّم على الحسين، ثم مضى فقاتل حتى قُتل. ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزُّ علي ولا أحب إلي منك، ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته؛ السلام عليك

يا أبا عبد الله، أشهد الله أني على هديك وهدي أبيك؛ ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوهم وبه ضربة على جبينه.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة، عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم، قال: لما رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس، هذا الأسد الأسود، هذا بن أبي شبيب؛ لا يخرجن إليه أحد منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل! فقال عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة؛ قال: فرُمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفرة، ثم شد على الناس، فوالله لرأيته يكرد أكثر من مائتين من الناس؛ ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب، فقتل؛ قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدة؛ هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد، ففرق بينهم بهذا القول.

موارد الاعتبار:

1 ـ استفسر الشاكري مولاه شوذب عن قراره فقال شوذب: «**ما أصنع أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أُقتل**» ووافقه على هذا القرار ولم يجبره.

2 ـ أكد الشاكري عن موقفه مخاطباً الحسين: «**لو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيءٍ أعز علي من نفسي ودمي لفعلته**».

3 ـ تخوف جيش العدو من الشاكري لأنه (كان أشجع الناس) وقال الهمداني من جيش العدو: «**أيها الناس هذا أسد الأسود... لا يخرجن إليه أحد منكم**» ويظهر أن هذا

التخوف كان مستولياً على قائد الجيش أيضاً حيث قال: **«ارضخوه بالحجارة»**.

4 ـ أبدى الشاكري شجاعة فريدة لما رأى أنه يُحارب بالحجارة (ألقى درعه ومغفرة ثم شد على الناس والله لرأيته يكرد أكثر من مئتين من الناس).

5 ـ ويكشف عن شجاعته أن بعد قتله ادعت رجال عدة مقتله (هذا يقول أنا قتلته وهذا يقول أنا قتلته) وقد فصل قائد الجيش بين هؤلاء بقوله: **«لا تختصموا هذا لم يقتله سنان واحد»** ففرق بينهم بهذا القول مما يكشف عن شجاعته وبسالته.

الضحاك

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم، عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أصيبوا، وقد خلص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، ويشير ابن عمرو الحضرمي، قلت له: يا ابن رسول الله، قد علمت ما كان بيني وبينك؛ قلت لك: أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حلٍّ من الانصراف؛ فقلت لي: نعم؛ فقال: صدقت، وكيف لك بالنجاء؟! إن قدرت على ذلك فأنت في حل؛ قال: فأقبلت إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تُعقر، أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً، فقتلت يومئذٍ بين يدي الحسين رجلين، وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين يومئذٍ مراراً: لا تشلل، لا يقطع الله يدك،

جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك صلى الله عليه وسلم! فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط، ثم استويت على متنها، ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنابك رميت بها عرض القوم، فأفرجوا لي، واتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيت إلى شفية؛ قرية قريبة من شاطئ الفرات، فلما لحقوني عطفت عليهم، فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مشرح الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي، فقالوا: هذا الضحاك بن عبد الله المشرقي، هذا ابن عمنا. ننشدكم الله لما كففتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم: بلى والله لنجيبن إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم؛ قال: فلما تابع التميميون أصحابي كف الآخرون؛ قال: فنجاني الله.

موارد الاعتبار:

1 ـ رواية الضحاك هذه في هذه اللحظة الحرجة غريبة الدعوى وغريبة المحتوى وغريبة النتيجة لعدة نقاط:

أ. الشرط (أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلاً) شرط غير معقول فإن القتال في سبيل الله لا يشترط فيه على وجود مقاتل آخر بل على العكس عند انتفاء المقاتل تكون الحاجة إلى الدفاع أكثر.

ب. المفروض وجود المقاتلين من أسرة الحسين فليس الشرط منتفياً.

ج. إن الحسين أحل أصحابه من قبل أكثر من مرة قائلاً (اتخذوا الليل جملاً) فلا حاجة إلى هذا الشرط. فلا يصح التعليق إن قدرت على ذلك فأنت في حل مع العلم أن أصحاب الحسين كانوا يتسابقون إلى القتال بخطبتهم وأراجيزهم.

د. كيف حافظ الضحاك على فرسه حينما عقرت الخيل فجأة من الرماة ولم يعلن عن قرار العقر من قبل؟

هـ بعد حرق الخيام لم يبق فسطاطٌ لأصحاب الحسين سوى فسطاط النساء فأين أدخل الضحاك فرسه؟

2 ـ يقول الضحاك إنه قاتل راجلاً فلماذا لم يستخدم الخيل الذي هو أقوى وسيلة لهذا الغرض؟

3 ـ يقول أيضاً إنه قتل رجلين وقطع يد آخر فمن هم ولماذا لم نعرف عنهم شيئاً؟

4 ـ ولما أفرج القوم له (أفرجوا لي) ولماذا لم يقاتلوه اتبعه منهم خمسة عشر رجلاً مع علمهم بأنه قادمٌ من جهة الحسين.

5 ـ حسب الرواية لما وصل إلى شفيه عرفهُ ثلاثة رجال من بني أعمامه تشفعوا له فنجاه الله.

إن هذه الأسئلة لا يمكن أن يُجاب عنها بسهولة ومن المحتمل قوياً أن الضحاك هذا كان يقوم بمهمة التجسس داخل حركة الحسين وأن الحسين كان واقفاً على هذه المهمة التي يقوم بها من أسلوب شرطه (أقاتل ما رأيت عندك مقاتلاً) مما يكشف أنه لم يتطوع للحرب بل كان يراقب أصحاب الحسين ولم يخرج إلا بعد أن قتل جميع أصحاب الحسين وأصبح الحسين مع أسرته فقط.

وإنما لم يطرده الحسين من أول الأمر لأن حركة الحسين لم تكن حركة مناورة سرية لتسلم الحكم بل كانت حركة واضحة المعالم والأهداف، ولم يكن فيها غموض ولم يقصد إخفاءها على أحد بل كشف عنها في أكثر من

مناسبة، وقد تلقى الحسين جواسيس العدو بالروح والمنطق نفسه، وخاصة الذين بعثهم من سعى في قتل مسلم بن عقيل في الكوفة، وهذا المبدأ الأساسي في حركة الحسين هو الذي ميزها عن أي حركة سياسية تروم تسلم الحكم بالمناورات والمؤامرات. إنها حركةٌ إصلاحية جذرية مكشوفة معروفة يعلمها جيش العدو، كما يعرفها أصحاب الحسين وهؤلاء الجواسيس إنما كشفوا عن أنفسهم بتصرفاتهم.

ملاحظة: آخر الطبري ذكر جماعة:

1 ـ أبو الشعثاء الكندي (وكان أول من قُتل) وربما أخرهُ الطبري لأنه كان من الرماة.

2 ـ يزيد بن زياد بن المهاجر قاتل مع الحسين بعد فشل المفاوضات.

3 ـ القتل الجماعي للصيداوي والسلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع العائذي (قاتلوا في أول الأمر حتى قُتلوا في مكان واحد).

4 ـ سويد الخثعمي الذي كان باقياً بعد مقتل الحسين.

وإليك كلام الطبري.

أبو الشعثاء (13 ـ 14)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد، وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة جثا على ركبتيه بين يدي

الحسين، فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة أسهم، وكان رامياً، فكان كلما رمى قال: أنا ابن بهدلة، فرسان العرجلة؛ ويقول حسين: اللهم سدد رميته، واجعل ثوابه الجنة؛ فلما رمى بها قام فقال: ما سقط منها إلا خمسة أسهم، ولقد تبين لي أني قد قتلت خمسة نفر، وكان في أول من قُتل، وكان رجزه يومئذٍ:

أنـــا يـــزيـــدُ وأبـــي مُـــهـــاصِـــرْ
أشـــجـــعُ مـــن لـــيـــثٍ بِـــغـــيـــلٍ خـــادرْ
يـــا ربّ إنِّـــي لـــلـــحـــسَـــيْـــن نـــاصِـــرْ
ولابـــنِ ســـعـــدٍ تـــاركٌ وهـــاجِـــرْ

وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين، فلما ردوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قتل.

قتل جماعي (15 ـ 18)

رواية الطبري:

فأما الصيداوي عمر بن خالد، وجابر بن الحارث السلماني، وسعد مولى عمر ابن خالد، ومجمع بن عبد الله العائذي، فإنهم قاتلوا في أول القتال، فشدوا مقدمين بأسيافهم على الناس، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم، وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجاءوا قد جرحوا، فلما دنا منهم عدوهم شدوا بأسيافهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قُتلوا في مكان واحد.

سويد الخثعمي

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمي، قال: كان آخر من بقي مع الحسين من أصحابه سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي.

أسرة الحسين (1)
علي الأكبر

رواية الطبري:

قال: وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذٍ علي الأكبر بن الحسين بن علي، وأمه ليلى ابنة أبي مُرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وذلك أنه أخذ يشد على الناس وهو يقول:

أنـا عَـلـيُّ بـنُ حـسـيـنِ بـن عَـلِـي
نَـحـن وربِّ الـبـيـت أولَـى بـالـنَّـبِـي
تـالله لا يَـحْـكُـمُ فـيـنـا ابـنُ الـدَّعِـي

قال: ففعل ذلك مراراً، فبصر به مرة بن منقذ بن النعمان العبدي، ثم الليثي، فقال: عليَّ آثام العرب إن مر بي يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أثكله أباه؛ فمر يشد على الناس بسيفه، فاعترضه مرة بن منقذ، فطعنه فصُرِع، واحتوله الناس فقطعوه بأسيافهم.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: سماع أذني يومئذٍ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بني! ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول!

على الدنيا بعدك العفاء. قال: وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي: يا أخياه! ويا ابن أخياه! قال: فسألت عليها، فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت حتى أكبت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه، فقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

موارد الاعتبار:

1 - جاء دور المقاتله من أسرة الحسين باعتبارهم الخط الدفاعي الأخير بعد أن قتل جميع أصحاب الحسين ماعدا واحد هو السويد الجريح في جيش العدو.

2 - رجزُ علي الأكبر يتضمن بنوداً ثلاثة:

أ. التعريف بنفسه نسباً فهو ابن بنت رسول الله.

ب. السبب في القتال لأنهم أولى ببيت النبي من غيرهم.

ج. رفض حكم بن زياد مع الطعن في نسبه بالدعي.

د. وهذه النقاط هي رسالة موجهة إلى جيش العدو لتذكيرهم بواقع الحال، فإنها بنود لا يمكن أن ينكرها أحد.

3 - لم يبادر أحدٌ من جيش العدو ممن له معرفة بالتاريخ من مقاتلة علي الأكبر مع أن علي الأكبر (فعل ذلك مراراً) حيث لم يجدوا ما يؤخذ على هذه النقاط.

4 - قام مرة العبدي فقال: «**علي آثام العرب إن مرَّ بي ففعل مثل ما كان يفعل إن لم أثكله أباه**» مما يكشف عن روح قبلية متحكمة في عقول جيش العدو.

5 ـ أثر مقتل علي الأكبر على أبيه الحسين كما هو طبيعي ولكن وجد الحسين في ذلك أموراً ثلاثة حيث قال: **«قتل الله قوماً قتلوك يا بني»**.

أ .**«ما أجرأهم على الرحمن»** وذلك برفض الثوابت الإسلامية.

ب .**«وعلى انتهاك حرمة الرسول»** وذلك لمقاتلتهم سلالة الرسول.

ج .**«على الدنيا بعدك العفاء»** وذلك لفقده أكبر أولاده.

6 ـ كان موقف عمته زينب موقف الناعي والمنقذ في آنٍ واحد فهي بحكم طبيعة الموقف خرجت تنادي (يا أخاه ويا ابن أخاه) فوجهت النداء لهما معاً لأن لا تؤثر الحادثة على شخصية أخيها الروحية.

7 ـ يظهر أن زينب توجهت نحو جسد الشهيد قبل أخيها الحسين (فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط).

8 ـ كان موقف الحسين موقف الصامد الذي يدرب أخته زينب على الصمود والتغلب على العواطف مهما كانت الظروف الصعبة، فإنه لما أخذ بيدها فردها إلى الفسطاط لم تمتنع من رغبة الحسين ولم تقاوم لمعرفتها بالواجب عليها في هذه اللحظة من طاعة القيادة.

9 ـ خاطب الحسين من بقي من أسرته بقوله: **«احملوا أخاكم»** فاعتبرهم جميعاً إخوة في سبيل الهدف **«فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كان يقاتلون أمامه»** في مكانٍ خاص بعيداً عن ساحة المعركة

حفظاً لها عن وطء الخيل.

بنو عقيل وجعفر(2 ـ 6)

رواية الطبري:

قال: ثم إن عمرو بن صبيح الصدائي رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته، فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه، ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه، فاعتورهم الناس من كل جانب، فحمل عبد الله بن قطبة الطائي ثم النبهاني على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتلاه؛ وحمل عامر بن نهشل التيمي على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله؛ قال: وشد عثمان بن خالد بن أسير الجهني، وبشر بن سوط الهمداني ثم القابضي على عبد الرحمن ابن عقيل بن أبي طالب فقتلاه، ورمى عبد الله بن عزرة الخثعمي جعفر بن عقيل بن أبي طالب فقتله.

موارد الاعتبار:

1 ـ سردت رواية الطبري من قتلى بني عقيل بن أبي طالب ثلاثة هم:

* عبد الله بن مسلم بن عقيل.

* عبد الرحمن بن عقيل.

* جعفر بن عقيل.

ومن آل جعفر بن أبي طالب شخصاً واحداً هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

2 ـ الاعتبار يقتضي أن يكون قتال هؤلاء قبل مقتل علي الأكبر

باعتبارهم أبعد نسباً مما يظهر أن الأسرة وجدت تقدم علي الأكبر عليها أوضح حجة من تقدم غيره من الأسرة إذ لو كان أحد بني مسلم بن عقيل تقدم للحرب لكان لموضع الاتهام بالثأر وارداً لذلك لم يتقدم أحدٌ من آل عقيل على وضوح الهدف.

3 ـ ربما يظهر أن هذه الجماعة من آل عقيل تقدمت في مجموعة في آنٍ واحد وأن أولهم في المقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وآخرهم جعفر بن عقيل.

القاسم(7)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: خرج إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما، ما أنسى أنها اليسرى، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لأشدن عليه؛ فقلت له: سبحان الله! وما تريد إلى ذلك، يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم؛ قال: فقال: والله لأشدن عليه؛ فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه، فقال: يا عماه! قال: فجلى الحسين كما يجلى الصقر، ثم شد شدة ليث غضب، فضرب عمراً بالسيف، فاتقاه بالساعد، فأطنها من لدن المرفق، فصاح، ثم تنحى عنه، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من حسين، فاستقبلت عمرا بصدورها، فحركت حوافرها وجالبت الخيل بفرسانها عليه، فوطأته حتى مات، وانجلت الغبرة، فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجليه، وحسين يقول: بُعداً لقوم

قتلوك؛ ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك! ثم قال: عزَّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك! صوت والله كثر واتره، وقل ناصره. ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض؛ وقد وضع حسين صدره على صدره؛ قال: فقلت في نفسي: ما يصنع به؟ فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين وقتلى قد قتلت حوله من أهل بيته، فسألت عن الغلام، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

موارد الاعتبار:

1 ـ في خروج القاسم في حالة عادية (عليه قميصٌ وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما) دلالةٌ واضحة على استقباله الاستشهاد وعدم الاهتمام بالحشد العسكري ولا الآلات العسكرية من السهام والسيوف وهو يرى أن التسابق إلى الشهادة أولى من إصلاح شسع نعله وفي الوقت نفسه يكشف عن المراقبة الدقيقة لجيش العدو للموقف.

2 ـ إن محاولة حميد بن مسلم من منع الأزدي عن قتل القاسم له دلالتها على الدافع الذاتي لدى الأزدي مع كثرة من يقوم بالمهمة.

3 ـ استجابة الحسين لصرخت ابن أخيه (يا عماه) (فجلى الحسين كما يجلي الصقر ثم شد شدة ليثٍ غضُب) لها دلالتها على الحب العميق الذي حمله الحسين لابن أخيه هذا باعتباره وديعة يتيمةً من أخيه الحسن.

4 ـ رثاء الحسين للقاسم (عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك) تدل على شدة الضيق الذي يعانيه

الحسين في هذه اللحظة مما لم يسبق له مثيل من قبل.

الاعتداء على الحسين

رواية الطبري:

قال: ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه، وكره أن يتولى قتله وعظيم إثمه عليه؛ قال: وإن رجلاً من كنده يقال له مالك بن النمير من بني بداء، أتاه فضربه على رأسه بالسيف، وعليه برنس له، فقطع البرنس، وأصاب السيف رأسه، فأدمى رأسه، فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين! قال: فألقى ذلك البرنس، ثم دعا بقلنسوة فلبسها، واعتمَّ، وقد أعيا وبلد، وجاء الكندي حتى أخذ البرنس ـ وكان من خز ـ فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أم عبد الله ابنة الحر أخت حسين بن الحر البدي، أقبل يغسل البرنس من الدم، فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخل بيتي؟ أخرجْه عني؛ فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً بشر حتى مات.

موارد الاعتبار:

1 ـ المحاولات العديدة لقتل الحسين بالذات (كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله) من دون المباشرة تكشف أن الأوامر العسكرية كانت تصدر من القيادة والمأمورون لم يؤمنوا بها بل كانوا على علم بعظيم الأثم وأنها جريمة يجب الانصراف عنها.

2 ـ الذي ضرب بالسيف على برنس الحسين كان يتجرأ فخطوة

فخطوة مراقباً لردود فعل الحسين ولما رماه الحسين بالبرنس جاء الكندي حتى أخذ البرنس.

3 ـ استبدل الحسين البرنس بـ (قلنسوه لبسها واعتم) عملاً بالسنة الإسلامية من لبس العمامة بالرغم من ظروف الحرب.

4 ـ لقد بدا على جسم الحسين الضعف (وقد أعيا) وطبيعي أن يكون من أثر السيف الذي أدمى رأسه فامتلأ البرنس دماً.

عبد الله بن الحسين

رواية الطبري:

قال: ولما قعد الحسين أتى بصبي له فأجلسه في حجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين.

قال أبو مخنف: قال عقبة بن بشير الأسدي: قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: إن لنا فيكم يا بني أسد دمًا! قال: قلت فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر؟! وما ذلك؟ قال: أتى الحسين بصبي له، فهو في حجره، إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه، فتلقى الحسين دمه، فلما ملأ كفيه صبه في الأرض ثم قال: رب إن تك حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين.

موارد الاعتبار:

1 ـ في رمي الصبي عبد الله وهو في حجر الحسين أن جيش العدو كان يحاول بكل وسيلةٍ ممكنة أن يثبط من عزم الحسين وصموده فإن الصبي لم يكن من المحاربين ولم يكن الحسين في مثل هذه الحالة محارباً.

2 ـ إن وجود عبد الله في حجر الحسين يكشف أن الحسين كان يودع ابنه الصغير حيثما شعر أن تلك هي اللحظات الأخيرة من حياته.

3 ـ إن خطاب الباقر للأسدي (إن لنا فيكم يا بني أسد دماً) لا يمكن أن يحمله الباقر ذنباً بل لسبب يقتضيه الحال وهو التذكير بذكرى مقتل الحسين في أيةِ مناسبةٍ متاحة.

4 ـ دعاء الحسين بعد مقتل الصبي في حجره يكشف عن اليأس المطلق من الناس ويؤكد على أمرين الإيمان بالمصلحة الإلهية (فجعل ذلك لما هو خير) والجزاء العادل للظلم (انتقم لنا من هؤلاء الظالمين).

أبو بكر بن الحسين (9)

رواية الطبري:

قال: ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن علي بسهم فقتله، فلذلك يقول الشاعر؛ وهو ابن أبي عقب:

وعِـنـدَ غَـنِـيٍّ قَـطـرةٌ مِـن دِمـائِـنـا
وفـي أسـدٍ أخـرى تُـعَـدُّ وتُـذْكَـرُ

موارد الاعتبار:

هذا ثاني ولد الحسين الذي قتل بالرمي وفي ذلك دلالة على تطويق عائلة الحسين تطويقاً كاملاً يمكن إصابة الرمي بسهولة.

إخوة العباس (10 ـ 13)

رواية الطبري:

قال: وزعموا أن العباس بن علي قال لإخوته من أمه: عبد الله، وجعفر، وعثمان: يا بني أمي، تقدموا حتى أرثكم. فإنه لا ولد لكم، ففعلوا. فقتلوا وشد هانئ بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن علي بن أبي طالب فقتله. ثم شد على جعفر بن علي فقتله وجاء برأسه. ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي بن أبي طالب بسهم، ثم شد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله، وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمد بن علي بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.

موارد الاعتبار:

1 ـ إخوة العباس الثلاثة يمثلون الخط الدفاعي الأخير عن الحسين وقد اشترك الإخوة الأربعة في الحرب بمواقف ثابتة تقدمت الإشارة إليها في رفضهم الأمان الذي حمله شمر ليلة عاشوراء.

2 ـ اقتراح العباس ـ إن صحت الرواية ـ تدل على روح المرح الذي كان يسود هؤلاء المستشهدين فإن الموقف لم يكن موقف من ينجو بنفسه وقد سبقت مواقف مشابهة من أصحابه الذين أبدوا مسابقتهم للقاء الله بالشهادة.

3 ـ لم تذكر رواية الطبري مقتل العباس بالتفصيل وتحتفظ روايات أهل البيت تفصيل ذلك ولعل في النسخة المطبوعة من الطبري سقط.

غلام من آل الحسين

رواية الطبري:

قال هشام: حدثني أبو الهذيل ـ رجل من السكون ـ عن هانئ بن ثبيت الحضرمي، قال: رأيته جالساً في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير؛ قال: فسمعته وهو يقول: كنت ممن شهد قتل الحسين، قال: فوالله إني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس، وقد جالت الخيل وتصعصعت، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعمود من تلك الأبنية، عليه إزار وقميص. وهو مذعور، يتلفت يميناً وشمالاً فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت، إذ أقبل رجل يركض، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف.

قال هشام: قال السكوني: هانئ بن ثبيت هو صاحب الغلام، فلما عُتب عليه كنى عن نفسه.

موارد الاعتبار:

1 ـ تكشف هذه الرواية عن الحالة النفسية التي عاشها الأطفال في هذه اللحظة فهذه الرواية تصف من حالات الغلام من آل الحسين ما يأتي:

أ. (غلام) فهو ليس برجلٍ محارب لا يمكنه الدفاع عن النفس.

ب. (إذ خرج) يُريد ما يحصل خارج الخيام.

ج. (ممسك بعمود من تلك الأبنية) فلا خطر منه إطلاقاً.

د. (عليه إزارُ وقميص) فهو في حالة طبيعية عادية.

هـ. (وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً) فهو خائف من المفاجآت المترقبة.

وهذه حالات الذعر والخوف للأطفال مترقبة في مثل هذه المواقف.

2 - جاء لمهمة قتل الغلام من هو فارس (يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ثم قصد الغلام وقطعه بالسيف) مما يظهر أنه لم يكن مهرب للطفل من هذا الفارس الذي جاءه يركض بسرعة.

3 - إن الذين أحاطوا بالغلام كانوا عشرة كان الحضرمي (عاشر عشرة ليس من رجل الأعلى فرس) فتطويق الغلام بنسبة واحد إلى عشرة.

الحسين وحيداً
عطش الحسين

رواية الطبري:

قال هشام: حدثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: عطش الحسين حتى اشتد عليه العطش، فدنا ليشرب من الماء، فرماه حصين بن تميم بسهم، فوقع في فمه، فجعل يتلقى الدم من فمه، ويرمي به إلى السماء، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم جمع يديه فقال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.

قال هشام، عن أبيه محمد بن السائب، عن القاسم بن الأصبغ بن نباته، قال: حدثني من شهد الحسين في عسكره أن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسناة يريد الفرات، قال» فقال رجل من بني أبان بن

دارم: ويلكم! حولوا بينه وبين الماء لا تتم إليه شيعته؛ قال: وضرب فرسه، واتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين: اللهم أظمه، قال: وينتزع الأباني بسهم، فأثبته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهم، ثم بسط كفيه فامتلأت دماً، ثم قال الحسين: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك؛ قال: فوالله إن مكث الرجل إلا يسيرا حتى صب الله عليه الظمأ، فجعل لا يروى.

قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتني فيمن يروح عنه والماء يبرد له فيه السكر وعساس فيها اللبن، وقلال فيها الماء، وإنه ليقول: ويلكم! اسقوني قتلني الظمأ، فيعطى القلة أو العس كان مروياً أهل البيت فيشربه، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهنيهة ثم يقول: ويلكم! اسقوني قتلني الظمأ، قال: فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى أنقدّ بطنه انقداد بطن البعير.

موارد الاعتبار:

1 ـ عطش الحسين في مثل هذه اللحظة أمر طبيعي وقد حصر هو وأصحابه عن الماء منذ اليوم السابع من محرم وقد مضى ثلاثة أيام بلياليها وقد كان هذا اليوم العاشر يوم قتال مستمر وحركة دائبة لحمل المقتولين من ساحة المعركة.

2 ـ جملة (فدنى ليشرب من الماء) لا تعني وجود الماء عنده بل محاولة الوصول إلى الفرات كما تفسرها الجملة الأخيرة (أن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسناة يريد الفرات فمنعوه).

3 ـ رمي الحسين بالدم إلى السماء على أثر السهم الذي رُمي به (وقع في فمه فجعل يتلقى الدم من فمه ويرمي به إلى

السماء) تصوير الحالة التي انتهت إليه وهي حالة غير متوقعة.

4 - عرفت قيادة جيش العدو أن المادة الوحيدة التي تمد الحسين في المقاومة هي الماء فنادت (ويلكم حولوا بينه وبين الماء) فقام من رماه بالسهم في فمه و (اتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات).

5 - بقية الوسيلة البديلة الدعاء ويتضمن دعاء الحسين عدة نقاط:

أ. (حمد الله وأثنى عليه).

ب. (أحصهم عدداً).

ج. (اقتلهم بدداً).

د. (ولا تذر على الأرض منهم أحداً).

وقد استجاب الله دعاء الحسين كما يثبته التاريخ في مواقف المختار وما بعده.

الهجوم على الحرم

رواية الطبري:

قال أبو مخنف في حديثه: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفرٍ نحو من عشرة من رجالة أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله.

فمشى نحوه، فحالوا بينه وبين رحله، فقال الحسين: ويلكم! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا في أمر دنياكم

أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم، فقال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا بن فاطمة.

موارد الاعتبار:

1 - نسبة المهاجمين على الحسين في هذه اللحظة نسبة الواحد إلى العشرة (إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نحو من عشر من رجاله).

2 - المسافة بين موقع الحسين وعياله لم يحدد بالضبط وهي على كل حال تفتقر إلى المشي (مشى نحوه).

3 - الحسين أصبح راجلاً من دون فرس حيث مشى (نحو ثقله وعياله) للمهمة التي ينويها وإن لم تعرف بالضبط ومنعه جيش العدو الذي كلهم كانوا رجاله.

4 - أصبح الحسين مطوقاً تطويقاً كاملاً من جيش العدو (فحالوا بينه وبين رجله).

5 - هؤلاء العشرة كانوا من قادة جيش العدو حيث خاطبهم الحسين بقوله: «**امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم**».

6 - إن المهمة التي قصدها الحسين بالمشي إلى رحله وإن لم تعرف بالضبط فهي مهمة الدفاع عن حريمه مما يظهر أن خطة جيش العدو كانت بمواجهة الحسين من جانبين: تطويق الحسين بهؤلاء العشرة من جانب، والهجوم على الحرم بواسطة الطغام والجهال من جانب آخر.

7 - الحسين أكد بكلمةٍ قصيرة على مواقف الجانبين حيث خاطب هؤلاء القادة بقوله: «**إن لم يكن لكم دين وكنتم لا**

تخافون يوم المعاد فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب» فقد تضمنت هذه الكلمة:

أولاً: عدم التزامهم بالثوابت الإسلامية (الدين والمعاد).

ثانياً: رفع العادات القبلية والأعراف المتبعة (الحرية في الدنيا).

8 - الحسين وهو في هذه الحالة خاطب القادة خطاب الآمر القوي بقوله: **«ويلكم... امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم) مؤكداً موقعه الآمر بالثوابت الإسلامية التي يجب اتباعها وقد تنكر عليها جيش العدو.**

تطويق الحسين

رواية الطبري:

قال: وأقدم عليه بالرجالة، منهم أبو الجنوب - واسمه عبد الرحمن الجعفي - والقشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي، وصالح بن وهب اليزني، وسنان بن أنس النخعي، وخولي بن يزيد الأصبحي، فجعل شمر ابن ذي الجوشن يحرضهم، فمر بأبي الجنوب وهو شاكٍ في السلاح فقال له:

أقدم عليه؛ قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟ فقال له شمر: ألي تقول ذا؟ قال: وأنت لي تقول ذا! فاستابَّا، فقال له أبو الجنوب - وكان شجاعاً: والله لهممت أن أخضخض السنان في عينك؛ قال: فانصرف عنه شمر وقال: والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك. قال: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجالة نحو الحسين؛ فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه. ثم إنهم أحاطوا به إحاطة، وأقبل

إلى الحسين غلام من أهله، فأخذته أخته زينب ابنة علي لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام، وجاء يشتد إلى الحسين، فقام إلى جنبه؛ قال: وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله - من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة - إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا ابن الخبيثة، أتقتل عمي؟ فضربه بالسيف، فاتقاه الغلام بيده فأطنها إلا الجلدة، فإذا يده معلقة؛ فنادى الغلام: يا أمتاه! فأخذه الحسين فضمه إلى صدره؛ وقال: يا ابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين؛ برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علي؛ صلى الله عليهم أجمعين.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: سمعت الحسين يومئذٍ وهو يقول: اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرض عنهم الولاة أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا فقتلونا. قال: وضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه؛ قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة، دعا بسراويل محققة يلمع فيها البصر، يماني محقق، ففزره ونكثه. لكيلا يسلبه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته تُباناً! قال: ذلك ثوب مذلة، ولا ينبغي لي أن ألبسه؛ قال: فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرداً.

قال أبو مخنف: فحدثني عمرو بن شعيب، عن محمد بن عبد الرحمن أن يدي بحر بن كعب كانتا في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيبسان كأنهما عود.

قال أبو مخنف: عن الحجاج، عن عبد الله بن عمار بن عبد

يغوث البارقي، وعتب على عبد الله بن عمار بعد ذلك مشهد قتل الحسين، فقال عبد الله بن عمار: إن لي عند بني هاشم لَيَداً، قلنا له: وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح فانتهيت إليه، فوالله لو شئت لطعنته، ثم انصرفت عنه غير بعيد، وقلت: ما أصنع بأن أتولى قتله! يقتله غيري. قال: فشد عليه رجالة ممن عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى ابذعروا، وعلى من عن شماله حتى ابذعروا، وعليه قميص له من خز وهو معتم؛ قال: فوالله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً، ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله؛ إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزي إذا شد فيها الذئب؛ قال: فوالله إنه لكذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته، وكأني أنظر إلى قرطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض! وقد دنا عمر بن سعد من حسين! فقالت: يا عمر بن سعد، أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ قال: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته؛ قال: وصرف بوجهه عنها.

موارد الاعتبار:

1 ـ صمد الحسين صموداً مبدئياً لا مثيل له في التاريخ لهذا التطويق وقد اعترف به أحد قادة الجيش قائلاً: **«فوالله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولدهُ وأهل بيته وأصحابه أربط جاشاً ولا أمضى جناناً منه، ولا أجرأ مقدماً، والله ما رأيت قبله ولا يصير مثله إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزي إذا شد فيها الذئب»**.

2 ـ قامت أخته زينب بمحاولةٍ أخيرة من جانبها وخاطبت جيش العدو وقالت: «**يا عمر بن سعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ ولم يتمالك القائد نفسه حيث (دموع عمر تسيل على خديه ولحيته وصرف بوجهه عنها)**.

3 ـ واجهه الحسين في هذا الظرف بالثابتة الإسلامية الصبر على المصيبة حيث واسى سواه بقوله: «**يا ابن أخي اصبر على ما نزل لك**» وقال: «**فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين برسول الله وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن صلوات الله عليهم أجمعين**» مما يظهر أن الموقع لم يكن بعيداً (عن أهله) حيث (أقبل إلى الحسين غلامٌ من أهله فأخذته زينب بنت علي لتحبسه).

4 ـ دُعاء الحسين على جيش العدو يتضمن نقاطاً صادقة:

أ. اللهم أمسك عنهم قطر السماء.

ب. امنعهم بركات الأرض.

ج. اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً.

د. واجعلهم طرائق قدداً.

هـ. ولا ترضي الولاة عنهم أبداً.

5 ـ كان الحسين مستعداً من قبل لمثل هذا اليوم، ولما بقي في ثلاثة رهط أو أربعة دعى بسراويل محققة يلمع فيها البصر ففرزه لكي لا يسلبه ولم يمنع ذلك جيش العدو من سلب هذا (فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرداً).

6 ـ أصبح الحسين معزولاً بالمرة عن كل شيء سوى هؤلاء العشرة الذين طوقوه وقائدهم شمر بن ذي الجوشن (يُحرضهم).

7 ـ هؤلاء العشرة لم يكن أي واحد منهم في أن يرغب في المباشرة بقتل الحسين كان أبو الجنوب شاكاً بالسلاح.

فقال له الشمر: «**أقدم عليه وما يمنعك؟**».

فأجابه أبو الجنوب: «**وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟**».

فقال شمر: «**ألي تقول ذا؟**».

فأجابه: «**وأنت لي تقول؟**» فاستابًا ثم قال أبو الجنوب: «**والله لهممت أن أخضخض السنان في عينك**» مما يكشف عن محاولة كل واحدٍ منهم أن يلطخ يد الآخر بالجريمة دون نفسه.

8 ـ وفي هذه اللحظة الأخيرة قاوم الحسين بما يتمكن (يشدُ عليهم فينكشفون عنه) بالرغم من علمه أن ذلك لا ينفع.

قبل أن يقتل

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن حميد بن مسلم، قال: كانت عليه جبة من خز، وكان معتماً، وكان مخضوباً بالوسمة، قال: وسمعته يقول قبل أن يقتل، وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية، ويفترص العورة، ويشد على الخيل، وهو يقول: أعلى قتلي تحاثون! أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله مني؛ وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله إن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

موارد الاعتبار:

1 ـ الحسين كان في حالة مستعدة للشهادة عليه جبة خز وهو (يقاتل على رجليه) أولاً هؤلاء العشرة الذين أحاطوا به وثانياً الرماة الذين يوجهون إليه السهام، وفي الوقت نفسه كان:

أ. يتقي الرمية.

ب. يفترص العورة.

ج. يشد على الخيل.

مما يكشف عن وقوعه في موقع منخفض بينما كان جيش العدو في موقعٍ مرتفع له الإشراف بالرمي.

2 ـ كلام الحسين وربما هو آخر كلمةٍ في حياته تتضمن النقاط التالية:

أ. أعلى قتلي تحاثون؟

ب. أما والله لا تقتلون بعدي عبداً... الله أسخط عليكم لقتله مني.

ج. إني لأرجو ليكرمني الله بهوانكم.

د. ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

هـ. إن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف عليكم العذاب الأليم.

قتل الحسين

رواية الطبري:

قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء؛ قال: فنادى شمر في الناس: ويحكم؛ ماذا تنظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم! قال: فحمل عليه من كل جانب، فضربت كفه اليسرى ضربة، ضربها زرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه. ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو؛ قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع، ثم قال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل، فضعف فأرعد، فقال له سنان بن أنس: فت الله عضديك، وأبان يديك! فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه، ثم دفع إلى خولي بن يزيد، وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف.

موارد الاعتبار:

1 ـ لم يبادر أحدٌ من جيش العدو على قتل الحسين مباشرةً في هذه اللحظة بالرغم من قدرتهم على ذلك (ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا) وذلك أن كلاً منهم لم يرد أن تتلطخ يده بدمه أو يُلام على فعله.

2 ـ كان هؤلاء المأمورين على علم ببطلان القرار العسكري ربما ما عدا شمر حيث نادى: «**ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم**» فحملوا عليه من كل جانب.

3 ـ كان الحسين يقاوم هؤلاء وهو واقف على رجليه أو على فرسه وبعد أن ضُرب على منكبه الأيسر ثم على عاتقه ثم طعن بالرمح فوقع.

4 ـ أمر شمر خولي قائلاً: «**احتز رأسه**» وأراد خولي أن يفعل (فصعق وأرعد) مما يظهر استيقاظ ضميره في هذه اللحظة وكان الدور القاضي على حياة الحسين لسنان (فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه).

5 ـ يستكشف من كلمة (نزل) أن الحسين كان في موضع منخفض وأن العشرة الذين طوقوه كانوا يستخدمون الفرس.

سلب الحسين

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن جعفر بن محمد بن علي، قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة؛ قال: وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحدٌ من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يُغلب على رأسه، حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولي؛ قال: سُلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته ـ وكانت من خز، وكان يسمى بعد قيس قطيفة ـ وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل.

موارد الاعتبار:

1 ـ تُحدد رواية الطبري الطعنات بثلاث وثلاثين وعدد الضربات

أربعة وثلاثين ومجموعها سبعة وستين ولكن الضربة الأخيرة القاضية كانت طعنة سنان فتكون الطعنات والضربات على الأغلب من آثار المواجهة من صباح يوم عاشوراء حتى وقت صلاة العصر حوالى الساعتين بعد منتصف النهار أو أنها حصلت حين القتل حقداً وتشفياً.

2 ـ كان قادة الجيش يتنافسون فيما بينهم للتقرب إلى السلطة بسلب الحسين مما دعى سنان أن يستأثر بذلك لنفسه (وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحداً من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يُغلب على رأسه).

3 ـ كان سلب الحسين يتكون من:

أ. سراويله.

ب. قطيفة من خز.

ج. نعليه.

د. وسيف.

وقد تقدمت الرواية ص 142 (فلما قتل أقبل حرز فسلبه إياه فتركه مجرداً).

نهب متاع الحسين

رواية الطبري:

قال: ومال الناس على الورس والحلل والإبل وانتهبوها؛ قال: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلب عليه فيُذهب به منها.

موارد الاعتبار:

1 ـ كانت المهمة الرئيسية لجيش العدو قتل الحسين وقد حصل وانتهت المعركة بنصر خمسة آلاف جندي من جيش العدوّ ضد اثنين وسبعين من أصحاب الحسين وانتهت بمحاربة عشرة من قادة الجيش ضد واحد هو الحسين.

2 ـ وكانت الخطوة التالية لجيش العدو نهب متاع الحسين وهي على الأغلب خطة عسكرية تلقت الضوء الأخضر من القيادة، وقد كانت المنهوبات من متاع الحسين:

أ. الورس.

ب. الحُلل.

ج. الإبل.

د. ثقل الحسين.

هـ. متاع الحسين.

وقد شمل النهب ما يخص النساء (فإن المرأة كانت تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلب عليه فيذهب منها) ومرة أخرى كشف جيش العدو كل الثوابت الإسلامية والأعراف القبلية.

آخر قتيل

رواية الطبري

قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن الخثعمي، أن سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صُرع فأثخن، فوقع بين القتلى مثخناً، فسمعهم يقولون: قتل الحسين، فوجد إفاقة، فإذا معه سكين وقد أخذ

سيفه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثم إنه قُتل، قتله عروة بن بطار التغلبي، وزيد بن رقا الجنبي، وكان آخر قتيل.

موارد الاعتبار:

أثبت سويد التزامه الإسلامي المبدئي في شرعية المقاومة بعد علمه بمقتل الحسين (فوقع بين القتلى مثخناً فسمعهم يقولون قُتل الحسين) فأخذ يقاتلهم (بسكينه ساعة ثم قتل) وهو يعلم أنه مقتول لا محالة فكان آخر قتيل.

علي الأصغر

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني سلمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الأصغر وهو منبسط على فراش له، وهو مريض، وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون: ألا نقتل هذا؟ قال: نقتل هذا؟ قال: فقلت: سبحان الله! أنقتل الصبيان؟ إنما هذا صبي؛ قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد، فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام الصغير، ومن أخذ من متاعه شيئاً فليرده عليهم. قال: فوالله ما رد أحد شيئاً؛ قال: فقال علي بن الحسين: جُزيت من رجل خيراً! فوالله لقد دفع الله عني بمقالتك شراً.

موارد الاعتبار:

1 ـ اهتمام شمر بقتل علي الأصغر بن الحسين بالرغم من صغر سنه وكونه مريضاً يكشف عن روح انتقامية في شخصية شمر

وجملة (ألا نقتل هذا؟) قد تكون استفهامية وقد تكون اقتراحاً منه وهو الأظهر والأوفق بروح شمر التي ظهرت في مواقف سابقة.

2 ـ دفاع حميد بن مسلم عن علي الأصغر في هذا الموضع بالذات إنما كان استناداً إلى الأسباب التالية:

أ. (فبسط على الفراش) وهذا يعني أنه غير محارب.

ب. (وهو مريض).

ج. (هذا صبي).

فقد اقتنع شمر بهذا السبب الأخير فقط حيث إنه لا ينام خاصة بعد العلم بأنه لا خطر منه لصغره ومرضه.

3 ـ تطوع حميد بن مسلم (للدفاع عن علي بن الحسين) ربما كان لروح عاطفية أو كان يرى ذلك تقرباً لقائد الجيش الأعلى الذي كان يمثل الجانب غير المتشدد ومهما كانت أسباب هذا التطوع فإنه عملٌ جديرٌ بالشكر فشكره علي بن الحسين ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

4 ـ لقد أعلن قائد الجيش الأعلى عمر بن سعد البنود التالية:

أ. لا يدخلنَّ بيت هؤلاء القوم أحد.

ب. لا يعرضنَّ لهذا الغلام المريض.

ج. ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم.

وهذا القرار وإن جاء متأخراً لكنه لم ينفذ في جميع بنوده وخاصة البند الأخير كما صرحت الرواية: «**فوالله ما رد أحدٌ شيئاً)**».

رأس الحسين

رواية الطبري:

قال: فقال الناس لسنان بن أنس: قتلت حسين بن علي وابن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتلت أعظم العرب خطراً؛ جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأت أمراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً؛ فأقبل على فرسه وكان شجاعاً شاعراً، وكانت به لوثة، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد، ثم نادى بأعلى صوته:

أوقِرْ ركابي فضَّةً وذَهَبا
أنا قتلتُ المَلِك المحجَّبَا
قتلتُ خيرَ الناس أُمًّا وأَبَا
وخيرَهم إذْ يُنسبون نسَبا

فقال عمر بن سعد: أشهد أنك لمجنون ما صححت قط، أدخلوه عليج فلما أدخل حذفه بالقضيب ثم قال: يا مجنون، أتتكلم بهذا الكلام؟ أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك.

موارد الاعتبار:

1 ـ عقلية سنان بن أنس (كانت به لوثة) تكشف عن استخدام جيش العدو ضعاف النفوس وجهلة الناس لتحقيق مآربهم بواسطة هؤلاء من دون أن يباشروها بأنفسهم فقد يكون ذلك مخرجاً لسياستهم بإلقاء اللوم على الجهلة.

2 ـ رجزُ سنان (أنا قتلت الملك المحجبا) يكشف عن جهلٍ كامل بحركة الحسين، فالحسين لم يكن ملكاً قط ولم يدّعِ

الملوكية قط بل كانت حركته محاربة فكرة الملوكية والرجوع إلى حكم الإسلام بالشورى.

3 ـ ذكر سنان أسباباً ثلاثة لما يستحقه من الجائزة لأن يملأ ركابه ذهباً وفضة:

أ. كون الحسين (الملك المحجب).

ب. (خيرُ الناس أماً وأباً)

ج. طهارة النسب.

وقد صدق في الأخيرين دون الأول كما تقدم.

4 ـ لقد دافع عمر بن سعد بنفسه عن سنان باتهامه بالجنون لإنقاذ حياته من العقاب حيث قال: «**يا مجنون أتتكلم بهذا الكلام؟ أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك**».

فإن هذا المأمور قد نفذ أوامر عمر بن سعد، وليس كلامه أفظع من عمله، فمن المحتمل قوياً أن يتهم ابن زياد عمر بن سعد بالتواطؤ على هذا الرجز وإعلانه فيكون ضحية.

ناجيان

رواية الطبري:

قال: وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان ـ وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبية، وهي أم سكينة بنت الحسين ـ فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك، فخلي سبيله، فلم ينج منهم أحد غيره، إلا أن المرقع بن ثمامة الأسدي كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه، فقاتل، فجاءه نفر من قومه، فقالوا له: أنت آمن، اخرج إلينا، فخرج

إليهم، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبر سيره إلى الزارة.

موارد الاعتبار:

لم ينج في معركة كربلاء سوى النساء والأطفال وثلاثة من الرجال هم:

1 ـ علي بن الحسين الأصغر كما تقدم.

2 ـ عقبة بن سمعان وقد استجوبه عمر بن سعد فأجاب: **«أنا عبد مملوك»** فخلي سبيله.

3 ـ المرقع بن ثمامة الأسدي آمنه (نفر من قومه) فنفاه ابن زياد إلى الزارة.

صدر الحسين

رواية الطبري:

قال: ثم إن عمر بن سعد نادى في أصحابه: من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة: منهم اسحاق بن حيوة الحضرمي، وهو الذي سلب قميص الحسين ـ فبرص بعد ـ وأحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره، فبلغني أن أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال ففلق قلبه، فمات.

موارد الاعتبار:

1 ـ الانتداب لرض صدر الحسين (يوطىء فرسه) يكشف عن

حقدٍ دفين في نفسية الآمر لا داعي له إطلاقاً بعد القضاء على المحارب في ساحة المعركة.

2 ـ هذا الانتداب يناقض تماماً موقف عمر بن سعد وبكاؤه عند مواجهة زينب ومفاوضاته للإصلاح فكيف التوفيق.

3 ـ يظهر أن عمر بن سعد أراد أن ينفذ أوامر ابن زياد حرفياً لأن لا يفوته ملك الري الذي وُعد به فقد كان على خشية من أن ابن زياد يستغل أية مبادرة غير مرغوبة ليسحب منه العهد.

4 ـ انتدب عشرة من مجموعة خمسة آلاف وهذا يكشف عن عدم الرغبة في صفوف الجيش من عملٍ انتقامي كهذا لم يسبق له مثيل في الحروب الإسلامية.

دفن الحسين وأصحابه

رواية الطبري:

قال: فقتل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً، ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قُتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفنهم.

موارد الاعتبار:

إن عدد القتلى من أصحاب الحسين (اثنان وسبعون رجلاً) وسيأتي في فصلٍ أخير سر أسمائهم.

قال الجلالي: ما ذكره الطبري من أن (دفن الحسين

وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم) لا بد وأن يكون في ذلك تصحيف كلمة يوم وإن الصحيح (يومين) فيكون الدفن في اليوم الثالث عشر من محرم. ويؤيد ذلك أن الطبري سيذكر بعد ذلك بأن (أقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد) فيكون جيش العدو قد غادر كربلاء في اليوم الثاني عشر ومن الطبيعي أن لا يتمكن أهل الغاضرية من دفن الحسين وأصحابه ما دام جيش العدو في الساحة بل إنهم بعد خروج جيش العدو من الساحة في اليوم الثاني عشر تمكنوا من الدفن بعد تأكدهم من عدم مراقبتهم فيكون اليوم الثالث عشر لا محالة.

ولا تزال العادة المتبعة في مسقط رأسي كربلاء المقدسة أن يجدد عشيرة بني أسد مراسيم ذكرى الدفن في اليوم الثالث عشر حاملين معهم المساحي والزنابيل في موكبٍ عام جماهيري يتوجهون لزيارة مرقد الحسين لتجديد هذه الذكرى، وحدثني والدي رحمه الله أن الموكب كان يتصدره وجوه البلد من آل كمونة وهو الموكب الوحيد الذي يشترك فيه النساء والرجال ومن شعاراتهم:

هلا هلا حسين وينه

بالسيوف مكَطعينه

متوجهين إلى قبر الحسين ثم إلى مرقد أخيه العباس وهي عادة جارية في كل عام.

الرأس في أُجانة

رواية الطبري:

قال: وما هو إلا أن قتل الحسين، فسرح برأسه من يومه ذلك مع خولي بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، فأقبل به خولي فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله فوضعه تحت إجانة في منزلة، وله امرأتان: امرأة من بني أسد، والأخرى من الحضرميين يقال لها النوار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدثني أبي، عن النوار بنت مالك؛ قالت: أقبل خولي برأس الحسين فوضعه تحت أجانة في الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار؛ قالت: فقلت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً؛ قالت: فقمت من فراشي، فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فأدخلها إليه، وجلست أنظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها. قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد.

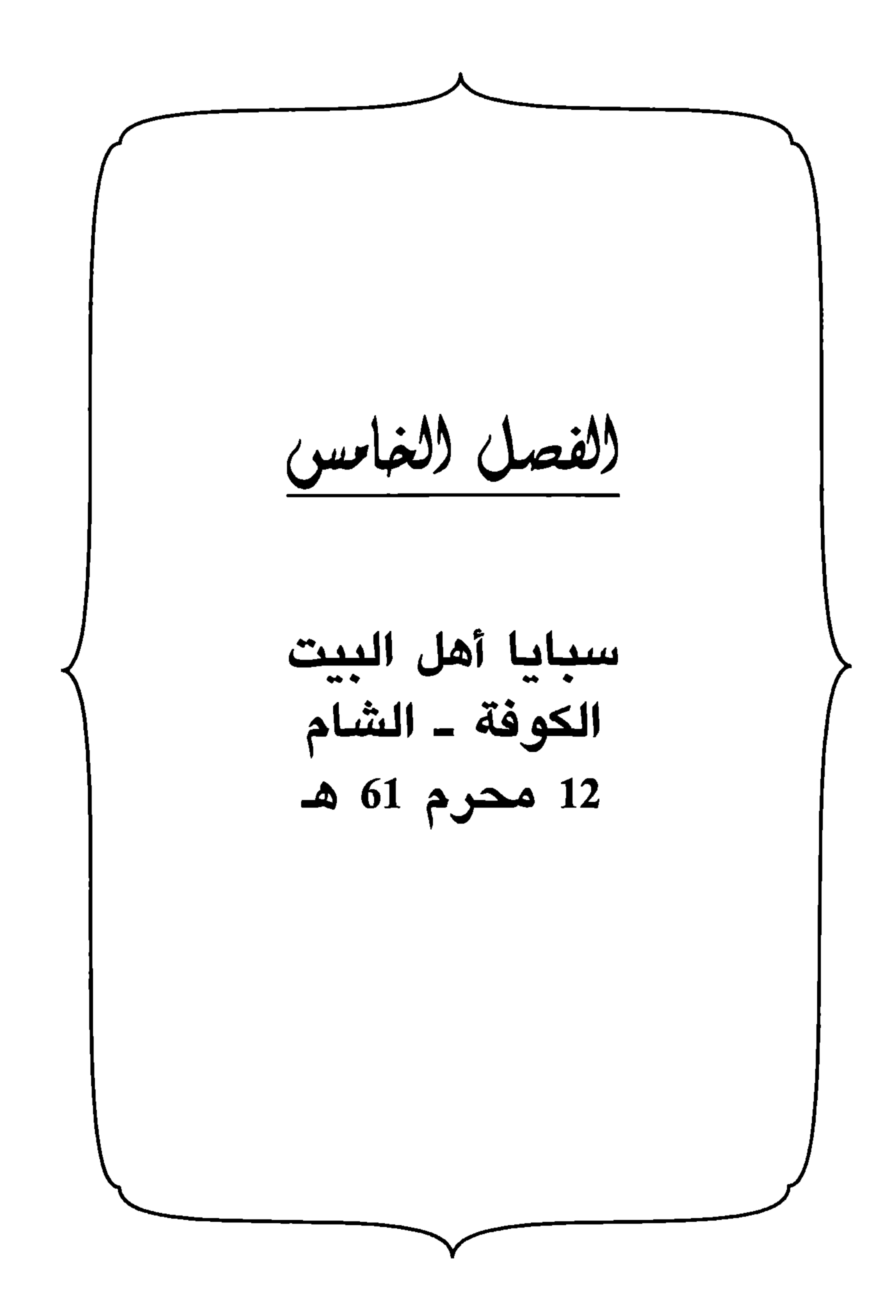
موارد الاعتبار:

1 ـ سرح قائد جيش العدو (رأس الحسين من يومه ذلك) فيكون قد وصل الرأس إلى الكوفة قبل مغادرة الجيش كربلاء والمسافة بين البلدين ليست أكثر من نهار.

2 ـ صحب الرأس اثنان: خولي الحامل للرأس والأزدي الذي يظهر أن دوره كان دور الحارس خشية المواجهة مع المتعاطفين لحركة الحسين.

3 ـ وصل الخولي ليلاً إلى الكوفة (فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً) مما يكشف عن سرعة السير من كربلاء إلى الكوفة فلو كان تحركه قبل غروب الشمس من يومه والمسافة قد تأخذ حوالى ست ساعات بالخيل فيظهر وصوله حوالى منتصف الليل.

4 ـ كلام الخولي لزوجته (جئتك بغنى الدهر) يكشف عن مدى سياسة التطميع المستولية على أفراد الجيش وجواب زوجته نوار: «**لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيتٌ أبداً يكشف عن عمق الولاء لأهل بيت رسول الله حتى في عوائل جيش العدو.**



الفصل الخامس

سبايا أهل البيت
الكوفة ـ الشام
12 محرم 61 هـ

سبايا أهل البيت
12 محرم 61 هـ

رواية الطبري:

وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعلي بن الحسين مريضٌ.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير العبسي، عن قرة بن قيس التميمي، قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن. قال: فاعترضتهن على فرس فما رأيت منظراً من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك [اليوم]، والله لهن أحسن من مها يبرين. قال: فما نسيت من الأشياء لا أنس قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفي عليها الصبا. قال: فأبكت والله كل عدو وصديق.

موارد الاعتبار:

1 ـ يبدأ تاريخ الأسر بالعاشر من محرم 61هـ ويستمر حتى موعد الرحيل 12 محرمَ 61 هـ حيث أقام عمر بن سعد بعد قتله الحسن في يوم عاشوراء (يومه ذلك والغد).

2 ـ أسارى أهل البيت تتكون من:

أ. بنات الحسين.

ب. أخوات الحسين.

ج. الصبيان.

د. علي بن الحسين المريض.

وليس فيهم من الرجال سوى واحد أنقذه الله بالمرض.

3 ـ مر أسارى أهل البيت (النسوة لما مررن بحسين وأهله صحنَ ولطمنَ وجوههن) وهذا شيء طبيعي لمن يفقد أهله بهذه الصورة المفجعة ويشاهد هذه المشاهد المروعة ويبقى السؤال لماذا منعهن الحارس من ذلك؟ (فاعترضتهنَّ على فرس) مما يكشف عن رقابة شديدة على السبايا خوفاً من أن يؤثر نياحهن في الجيش المحيط بهن ولولا ذلك لما ضرهم الصياح واللطم فإنهما ليسا بأعظم من القتل.

4 ـ إن ما فعلته نسوة أهل البيت (صحنَ ولطمنَ وجوههن) كان أول مأتم عزاء جماعي لمقتل الحسين في كربلاء اتخذته شيعتهم شعاراً سنوياً، ولا يزال مستمراً أينما وجدوا في أنحاء العالم يجددون ذكرى كربلاء بمختلف اللغات.

5 ـ بالرغم من حالة الفزع والهول المستولي على هؤلاء النساء

كشف الحارس عن قسوته وأخذ ينظر إليهن بعين مريبة (فما رأيت منظراً من نسوةٍ قط كان أحسن من منظرٍ رأيته منهن ذلك).

6 ـ لما رأت زينب بطلة كربلاء المنع الرسمي عن النياح والصياح واللطم استخدمت الطريقة الوحيدة الميسورة لها للتعبير عن شعورها الطبيعي تخاطب جدها رسول الله:

«يا محمداه!

يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء،

هذا الحسين بالعراء،

مرمل بالدماء،

مقطع الأعضاء،

يا محمداه!

وبناتك سبايا،

وذريتك مقتلة،

تسفي عليها الصبا...».

وقد أثر هذا النعي (فأبكت والله كل عدوٍّ وصديق).

ابن زياد والرأس

رواية الطبري:

قال: وقطف رؤوس الباقين، فسرح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن

قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلت حتى أتيتُ أهله، فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه، فأدخلهم، وأذن للناس، فدخلت فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضح الشيخ يبكي؛ فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك؛ قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله؛ قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول: ملك عبدٌ عبداً، فاتخذهم تلداً؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضي بالذل!

موارد الاعتبار:

1 ـ بادر جيش العدو إرسال رأس الحسين فوراً يوم العاشر كما تقدم دون سائر الرؤوس وقوله: وقطعت رؤوس الباقين قد يدل على أن هذه الرؤوس لم تقطع في نفس اليوم.

2 ـ إن مجموع الرؤوس اثنين وسبعين حملت مع السبايا في اليوم الثاني عشر في جمعٍ بقيادة أربعة هم شمر بن ذي

الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس (فأقبلوا بها على عبيد الله بن زياد).

3 ـ قيادة أربعة لاثنين وسبعين رأس يسلتزم أن يكون في قيادة كل واحد منهم على الأقل ثمانية عشر جندياً كل منهم يحمل رأساً من رؤوس الشهداء.

4 ـ ابن زياد اتخذ يوماً لإعلان النصر على الحسين وأهل بيته فتوافدت الوفود لتهنئته بهذا النصر (جلس للناس وجاء الوفود قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس).

5 ـ اهتم ابن زياد برأس الحسين دون غيره (فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه) باعتباره قائد الحركة دون غيره والهدف من ذلك كما هو واضح إرعاب الآخرين الموالين لحركة الحسين.

6 ـ هال المنظر بعض الحاضرين منهم زيد بن أرقم لما رأى بن زياد (ينكت بقضيبه بين شفتيه) وقال لابن زياد: «**اعلُ بهذا القضيب عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما**» ولم يتمالك زيد بن الأرقم نفسه من هول المنظر ثم انفضح الشيخ يبكي بالرغم من قساوة ابن زياد.

7 ـ هدد ابن زياد زيد بن الأرقم ملتمساً لقوله عذراً فقال: «**أبكى الله عينك، والله لولا أنك شيخ قد خرقت وذهب عقلك لضربت عنقك**» مما يكشف عن خوف ابن زياد من تأثير رواية ابن الأرقم في الحاضرين وأن ينضم إليه آخرون تصعب عليه مواجهتهم.

8 ـ لم يجد بن الأرقم بُداً من مقاطعة المجلس (فنهض فخرج) ولم يكتفِ بالمقاطعة فقط، بل أعلن قوله: **«ملك عبدٌ عبداً فاتخذهم تلدا أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل»**.

وهذا الإعلان في غاية الوضوح والصراحة ومن الطبيعي كثرة الجواسيس الذين ينقلون هذا القول الذي سمعه الناس وربما تركه ابن زياد لا لشيخوخته فقط بل الخوف من أن يكون ذلك سبباً لانقلابٍ داخلي يفوت عليه نشوة النصر.

ابن زياد وزينب

رواية الطبري:

قال: فلما دخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها، وتنكرت، وحفت بها إماؤها، فلما خلت جلست، فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه؛ فقال ذلك ثلاثاً، وكل ذلك لا تكلمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة؛ قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر؛ قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه، وتخاصمون عنده؛ قال: فغضب ابن زياد واستشاط؛ قال: فقال له عمرو بن

حريث: أصلح الله الأمير! إنما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها؟ إنها لا تؤاخذ بقول، ولا تلام على خطَلَ، فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك؛ قال: فبكت ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت، فقال لها عبيد الله: هذه شجاعة، قد لعمري كان أبوك شاعراً شجاعاً؛ قالت: ما للمرأة والشجاعة! إن لي عن الشجاعة لشغلاً، ولكن نفسي ما أقول.

موارد الاعتبار:

1 ـ نص الرواية: «**فلما دخل برأس الحسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد**» يدل على أن الرأس كان يحمل إليه كلما يعقد مجلساً عاماً، فقد تقدم أن الرأس حُمل إليه يوم العاشر، ومن ذلك يظهر أنه حُمل إليه مرة أخرى مع السبايا، فالقصد في هذه المرة يكون لإرعاب السبايا زيادة على إرعاب الشعب.

2 ـ زينب قابلت هذا المشهد بشجاعةٍ فائقة بمواقف ثلاثة هي:

أ. (لبست أرذل ثيابها) استهانةً بالمجلس وأهله.

ب. (تنكرت).

ج. (حفت بها إماؤها)

د. لم تبدأ بالكلام قط.

كل ذلك استهانة بابن زياد ومجلسه الذي لم يكن إلا مسرحية.

3 ـ أراد ابن زياد وهو في موقع الحاكم المطلق العنان أن

يستدرج زينب في الكلام معه فخاطبها ثلاث مرات (من هذه الجالسة؟) فلم تجبه السيدة زينب ولم تكلمه قط.

4 ـ تطوعت (بعض إمائها) فقالت (هذه زينب بنت فاطمة) وربما كان هذا التطوع تحاشياً من غضب الأمير وربما نسبها إلى أمها فاطمة بنت رسول الله دون أبيها علي بن أبي طالب للسبب نفسه أو لتوعية الجماهير.

5 ـ بادر الأمير بن زياد مخاطباً زينب بنقاط ثلاث:

أ. (الحمدلله الذي فضحكم).

ب. (وقتلكم).

ج. (وأكذب أحدوثتكم).

فقد نسب هذه النقاط إلى الله سبحانه دون السياسة المستخدمة للدولة وللمباشرة في إصدار الأوامر تمويهاً ذلك على المجتمع الحاضر بالدعاية المضادة المتأثرة بالعقيدة الجبرية.

6 ـ لم يكن لزينب البطلة أن تنصت لهذا التحريف للعقيدة والتزييف في السياسة وأجابت عن كل نقطةٍ بحقائق تاريخية ثابتة:

أ. الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد.

ب. وطهرنا تطهيراً لا كما تقول أنت.

ج. إنما يفضحُ الفاسق.

د. ويُكذبُ الفاجر.

وهذه النقاط معروفة في التاريخ الإسلامي ومعروف أتباعُها من الأخيار والأشرار.

7 ـ عبر ابن زياد عن روحه الانتقامية حينما سأل زينب قائلاً: «**كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟**» فإنه لم يكن أي داع لهذا السؤال بعد أن حصل على النصر العسكري على أخيها الحسين سوى الانتقام.

8 ـ كان جواب زينب البطلة جواب المسلمة الواثقة بمبادئها والكاشفة عن نتيجة سياسة الظلم بقولها: «**كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون وتخاصمون عنده**».

9 ـ كان جواب السيدة زينب كشفاً لسياسة ابن زياد وإدانة له بما يستحق من المخاصمة في محكمة الله العادلة لذلك غضب ابن زياد (واستشاط) حيث وجد في كلامها المقاومة الحية في صفوف عائلة الحسين التي لا تزال قائمة بالرغم من النصر العسكري ووقوعهم في الأسر وهو مما يشجع رجال المعارضة في المقاومة.

10 ـ كان موقف رجال الحكم موقف الخائف من أن يتصرف ابن زياد وهو الحاكم المطلق تصرفاً عشوائياً ويفقد الثقة المطلقة من المتعاونين معه على أساسٍ عرقي وقبلي فاعتذر بقوله: «**أصلح الله الأمير إنما هي امرأة وهل تؤخذ المرأة بشيء من منطقها**».

11 ـ ولم يتمكن ابن زياد أخيراً من التمويه على الحاضرين في نسبه هذه المعركة إلى الله بدعوى أنها بتقدير إلهي دعماً

للعقيدة الجبرية فكشف عن نفسيته بقوله: «**لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك**» مصرحاً بروحه الانتقامية.

ابن زياد وعلي بن الحسين

رواية الطبري:

قال أبو مخنف، عن المجالد بن سعيد: إن عبيد الله بن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين قال لشرطي: انظر هل أدرك ما يدرك الرجال؟ فكشط إزاره عنه، فقال: نعم، قال انطلقوا به فاضربوا عنقه، فقال له علي: إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال له ابن زياد، تعال أنت، فبعثه معهن.

قال أبو مخنف: وأما سليمان بن أبي راشد، فحدثني عن حميد بن مسلم، قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين، قال: أو لم يقتل الله علي بن الحسين! فسكت، فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟ قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي، فقتله الناس. قال: إن الله قد قتله، قال: فسكت علي، فقال له: مالك لا تتكلم؟ قال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال: أنت والله منهم، ويحك! انظروا هل أدرك؟ والله إني لأحسبه رجلاً؛ قال: فكشف عنه مرى بن معاذ الأحمري، فقال: نعم قد أدرك؛ فقال: اقتله؛ فقال علي بن الحسين: من توكل بهؤلاء النسوة؟ وتعلقت به زينب عمته فقالت: يا ابنَ زياد، حسبُك منا، أما رويت من دمائنا! وهل أبقيت منا أحداً؟ قال: فاعتنقته، فقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه! قال: وناداه علي فقال: يا

بن زياد، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام. قال: فنظر إليها ساعة. ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم! والله إني لأظنها ودت لو أني قتلته أني قتلتها معه؛ دعوا الغلام. انطلق مع نسائك.

موارد الاعتبار:

1 ـ امتنع علي بن الحسين عن البدء بالكلام كسائر أسارى أهل البيت، حيث وجدوا أنفسهم في محكمة عسكرية، وكان اهتمامهم أن يفوتوا أية فرصةٍ للمؤاخذة عليهم بأية وسيلةٍ ممكنة وأفضل الطرق هو السكوت وعدم التطوع بالكلام.

2 ـ فابتدأ الأمير بالسؤال عن اسمه فأجاب ثم سكت وسأل الأمير ثانياً: **«ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ لم يجب علي بل سكت لوضوح الجواب من كلام عمته زينب على الدعوى نفسها التي سبقت من الأمير نفسه، فلم تكن أية حاجةٍ إلى الجواب.**

3 ـ لما كرر الأمير السؤال: **«مالك لا تتكلم؟»** وكأنه تهديد بالتكلم فوت عليه علي بن الحسين ذلك وقال: **«قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي قتله الناس»** وبذلك أدان الناس الذين قتلوه وفند العقيدة الجبرية التي كان يؤيدها الأمير.

4 ـ استصغر الأمير سن علي بن الحسين فأعاد مقالته السابقة التي وجهها لزينب قائلاً: **«إن الله قد قتله»**، ولم يعلق علي بن الحسين على ذلك بشيء وسكت حتى أمره مرة أخرى (لماذا لم تتكلم؟) فأجابه علي بن الحسين مستشهداً بالآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فانكشفت سياسة

الأمير بالتلاعب بالعقيدة في مصلحة السياسة.

5 ـ كلام ابن زياد: «**أنت والله منهم ويحك**» يكشف أنه وجد في علي بن الحسين روح الصمود وقوة المنطق والرفض المطلق للاستسلام إذ لا معنى لهذه الجملة وهو يعلم من قبل أنه منهم، وقد صرح علي بن الحسين بذلك أيضاً فليست هذه الجملة إلا باعتباره من دعاة حركة الحسين وأنه سيكون القائد المرتقب للحركة فأراد القضاء عليه.

6 ـ حاول ابن زياد تحقير علي بن الحسين في المجلس العام فقال للشرطي: «**انظر هل أدرك هذا كما يدرك الرجال**» لاستعلام بلوغه سن التكليف وهو عادةً الخامسة عشر من العمر، وحيث ولد علي بن الحسين عام ٣٨ فيكون في التاريخ المذكور عام ٦١ هـ قد بلغ ٢٣ عاماً من العمر، وهو يزيد على عمر البلوغ الطبيعي بثمانية سنوات، وفي مثل هذا العمر لا يبقى مجال للشك في البلوغ.

7 ـ في أسلوب الشرطي المأمور بالتحري عن بلوغ علي بن الحسين دلالة على هذا التحقير حيث تصدى الأمر مباشرة (فكشف إزاره عنه فقال نعم) حيث ذلك يستلزم كشف العورة في هذا المجلس العام ليتبين فيما إذا كان الشعر نابتاً على عانته.

8 ـ أبدى ابن زياد روحه الانتقامية حيث أمر بقتل علي بن الحسين (انطلقوا به فاضربوا عنقه) مع أن الحرب قد وضعت أوزارها وهذا من الأسارى لا موجب لقتله.

9 ـ واجه علي بن الحسين بروحٍ قياديةٍ واعية بمسؤولياته وخاصة

تجاه العائلة فخاطب ابن زياد بروحٍ بطوليةٍ بما يفرض عليه روحه القبلية بالمحافظة على الأسارى بقوله: «**إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن**».

10 ـ قامت السيدة زينب بطلة كربلاء بالموقف القيادي والعاطفي في الوقت نفسه (تعلقت به زينب عمته... فاعتنقته) مما يكشف عن موقف عاطفي مؤكداً على وحدة الأسرة في المصير والمسير والموقف القيادي كان بالإدانة الصريحة بقرار ابن زياد الذي يخرق الأعراف القبلية السائدة آنذاك، وقالت: «**يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحداً؟ فاعتنقته فقالت: أسأل الله إن كنت مؤمناً أن قتلته لما قتلتني معه**».

وهذا الموقف القيادي جعل ابن زياد يعدل رأيه حيث شاهد الوحدة العائلية بحيث لم يتمكن من قتل علي بن الحسين في المجلس العام إلا بقتله مع عمته زينب وقتل المرأة ليس من العادات القبلية التي يتزعمها ابن زياد.

ابن زياد يخطب

رواية الطبري:

قال حميد بن مسلم: لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس، نودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب، الحسين بن علي وشيعته؛ فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن

عفيف الأزدي ثم الغامدي، ثم أحد بني والبة ـ وكان من شيعة علي كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة، وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف ـ قال: فلما سمع مقالة ابن زياد، قال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا بن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين، وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال ابن زياد: علي به؛ قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه؛ قال: فنادى بشعار الأزد: يا مبرور. قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس ـ فقال: ويح غيرك! أهلكت نفسك، وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذٍ من الأزد سبعمائة مقاتل؛ قال: فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك.

موارد الاعتبار:

1 ـ الخطبة العامة من ابن زياد (نودي للصلاة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الأعظم) كانت إعلاناً عاماً للمجتمع بنتائج الحرب والسياسة العامة للحكم.

2 ـ استخدم ابن زياد أسلوب القادة الفاتحين المحاربين على أساس المبدأ أو العقيدة (تتكلمون كلام الصديقين) وليس على روح القبلية في الحكم وهما أسلوبان متناقضان.

3 ـ لم يتمكن ابن زياد من أن يتم خطبته سوى نقاط هي:

أ. الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله.

ب. ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه.

ج. وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسن بن علي وشيعته.

أسند ابن زياد هذه النقاط إلى الله دون الجيش المؤتمر بأمره ولم يستمر لأكثر من ذلك (فلم يفرغ ابن زياد من مقالته) حتى علا صوت المعارضة.

4 ـ وثب ثلاثة لمقاطعة خطبة ابن زياد ومعارضته هم:

أ. عبد الله بن عفيف الأزدي.

ب. الغامدي.

ج. أحد بني والبة.

وكان المتكلم الأزدي المعروف بصلاحه (فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل) وخاطب ابن زياد بقوله:

أ. (يا ابن مرجانة) معرّضاً في نسبه.

ب. (إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه) وكان هذا تفنيداً لجميع النقاط التي استخدمها ابن زياد.

ج. تفنيد دعوى ابن زياد إرادة الله في الحرب قائلاً: «**يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟**».

نصرت عشيرة الأزدي الرجل فنادت بشعار الأزد (يا مبرور) وكان واثقاً من حمايتهم حيث كان منهم سبعمائة مقاتل في الكوفة فاستنقذوه.

5 ـ وقد عاتبه بعض العشيرة بقوله: «**أهلكت نفسك وأهلكت**

قومك» مما يكشف عن سياسة الإرعاب المسيطرة على المجتمع كله حيث لا يؤخذ المعارض وحده بل العشيرة كلها ونتيجة هذه السياسة أن أرسل إليه من أتاه به (وأمر بصلبه بالسبخة) وهذه لأول مرة يقتل أحد المعارضة علناً.

السبايا في الكوفة

رواية الطبري:

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين وجيء، بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله، فبينا القوم محتبسون إذ وقع حجر في السجن، معه كتاب مربوط، وفي الكتاب خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله؛ قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن، ومعه كتاب مربوط وموسى، وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا. فجاء البريد ولم يُسمع التكبير.

موارد الاعتبار:

1 ـ لا تعرف طبيعة السجن الذي كان فيه سبايا أهل البيت كما لا يعرف دور عُوانة بن الحكم الكلبي في السجن أو خارجه. وروايته لهذه الحادثة في السجن تكشف عن دورٍ ما له وإن كان تفصيله مجهولاً.

2 ـ المربوط بالحجر الذي وقع في السجن لأول مرة (إذ وقع حجرٌ في السجن مع كتاب مربوط) يكشف أن السجن كان

مكشوف السطح بحيث يمكن إلقاء الشيء إليه ومن المستبعد أن يكون السجن ذا نوافذ يتمكن المسجونون من مخاطبة مَنْ هو خارج السجن.

3 ـ إرسال الكتاب بهذه الطريقة يكشف أنه لم يكن من جانب السلطة لعدم افتقارها إلى استخدام هذا الأسلوب وكان بإمكانها تبليغ الأسارى مباشرةً وعلى عادتها في الإرعاب ولعل ذلك كان من الموالين لآل البيت الذين حاولوا إيصال الأخبار إليهم وجعلهم في الصورة الواضحة من دون أن تأخذ السلطة عليهم بشيء ويدل على ذلك كلمة إن شاء الله في آخر الكتاب.

4 ـ الكتاب الثاني زاد على الرسالة أن كان مع الحجر موسى ولم يعرف بالضبط لماذا هذه الزيادة وربما لمحاولة الفك من الأسر والمهم أن مضمون الرسالة التحذير (أوصوا واعهدوا) مما يكشف عن التعاطف مع الأسارى للقيام بما يرغبون من تنفيذه.

5 ـ انتظار ابن زياد للقرار الأخير من يزيد يكشف بوضوح عن أن كل ما قام به ابن زياد من قبل من قتل الحسين وأصحابه كان بقرارٍ قيادي من يزيد فانتظر لقرارٍ جديدٍ منه في الأسارى أيضاً.

علي بن الحسين في الغل

رواية الطبري:

قال: ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجهزن وأمر

بعلي بن الحسين فغل بِغلٍّ إلى عنقه، ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش، ومع شمر بن ذي الجوشن، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد، لم يكن علي بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا، فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفز بن ثعلبة صوته، فقال: هذا محفز بن ثعلبه أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة، قال: فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أم محفز شر وألأم.

موارد الاعتبار:

1 ـ أرسل ابن زياد سبايا أهل البيت إلى دمشق متبعاً الطريقة التالية:

أ. (جهزوا) أي بالوسائل النقلية السائدة أنذاك.

ب. (أمر بعلي بن الحسين فغل بغُلٍّ إلى عنقه).

ج. (سرح بهم مع قائدين هم العائذي وشمر).

2 ـ الغُل في عنق علي بن الحسين يكشف عن خوف السلطة من أن يهرب علي بن الحسين وزيادةً في الامتهان بسبايا أهل البيت وأيضاً يكشف عن جهل السلطة بالثوابت الإسلامية التي تحكم حياة أهل البيت فإن تلاحمهم الأسري الشديد لم يجعل مكاناً لمسألة الهرب وقد مرت نماذج من ذلك من موقف علي وعمته زينب.

3 ـ علي بن الحسين بالرغم من كونه في غل (لم يكن يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة) فإنه كان كلاً من القائدين يتوقع من علي بن الحسن طلباً برفع الغل أو أو عطفاً ما عليه في الطريق وعليٌّ يعلم أن هؤلاء لا يستحقون أن يطلب

منهم شيئاً فتحمل الغل في السفر على الراحلة بما فيه من ثقل طبيعي على المحبوس المسافر.

4 ـ لم تصرح الرواية بعدد الجيش المرفق مع هذين القائدين وحيث تقدم أن ابن زياد سرح بالسبايا مع رؤوس الشهداء جميعاً ستكشف أنه على أقل الفروض كان الجيش مكوناً من 72 جندياً عدد الرؤوس بالإضافة إلى القائدين فيكون المجموع أربعة وسبعين شخصاً على أقل الفروض.

السبايا إل الشام

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة، فجعل يُدار به في الكوفة، ثم دعا زحر بن قيس فسرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي، فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية.

قال هشام: فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي، عن أبيه، عن الغاز بن ربيعة الجرشي؛ من حمير، قال: والله إنا لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: ويلك! ما وراءك؟ وما عندك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال؛ فاختاروا القتال على الاستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام

القوم، يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم بقي سبسب. قال: فدمعت عين يزيد، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية! أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين! ولم يصله بشيء.

موارد الاعتبار:

1 - يظهر أن ابن زياد تدرج في تعامله مع رأس الحسين:

أ. (نكته بالقضيب) في المجلس العام ليراه كل من له حضور في المجلس.

ب. (نصب الرأس في الكوفة) وطبيعي أن يكون في الساحة الرئيسية ليراه عامة الناس، وربما على تقاطع الطرق.

ج. (جعل يدار به في الكوفة) وطبيعي أن يكون في المحلات الآهلة بالسكان للقبائل المختلفة التي تسكن فيها.

كل ذلك إعلاناً لسياسة الإرعاب.

2 - إن رأس الحسين كان قد حمل إلى ابن زياد في الكوفة في يوم العاشر ورؤوس أصحاب الحسين الثاني عشر، ولكن ابن زياد سرح الرؤوس كلها من الكوفة إلى يزيد بن معاوية بدمشق بقيادة اثنين من الأزد.

3 - تسلم القيادة إلى اثنين من الأزد له دلالة على سياسة (فرِّقْ تَسُدْ) التي كانت مؤثرة في عشيرة الأزد، فكان فيهم من يؤيد السلطة ومنهم من يعارضها.

4 ـ تقرير زحر بن قيس ليزيد بن معاوية يفيد أن مجموع أصحاب الحسين كانوا 78 وذلك مجموع 18 من الأسرة و 60 من الأصحاب وقد تقدم أن مجموعهم كانوا 72، وحيث قد قتل جميع الأسرة ماعدا واحد هو علي بن الحسين فيكون من قتل من أصحاب الحسين 55 شخصاً وستأتي رواية الطبري بأسمائهم.

5 ـ تحدد هذه الرواية أن الحرب بين الحسين وجيش العدو ابتدأ من شروق الشمس واستمرت حتى صلاة الظهر بساعة، وحيث إن شروق الشمس بحسب توقيت مكة بتاريخ 10 محرم 61 هـ يكون الساعة السابعة و 16 دقيقة والزوال الساعة الثالثة عشر و9 دقائق مجموعها على أقل الفروض 5 ساعات و 53 دقيقة والمشهور في روايات أهل البيت أن المقتل كان حوالى صلاة العصر.

6 ـ أفاد التقرير بأن الحسين وأصحابه (اختاروا القتال على الاستسلام) وهذا صادقٌ صريح وواضح، ولكنه وصف ذلك بما يأتي:

أ. (فسألناهم أن يستسلموا أو ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد).

ب. (فأحطنا بهم من كل ناحية).

ج. وصف موقف الحسين وأصحابه بالضعف بقوله: (يهربون إلى غير وزر ويلوذون منا بالآكام والحفر لوذاً كما لاذ الحمائم من صقر).

وهذا ما لا يُلائم ما تقدم تفصيله في رواية الطبري من مواقف الحسين وأصحابه في المبارزة أفراداً وجماعات المعبرة عن روح المقاومة المستمرة، وقد تقدمت إلى الروايات تفصيلاً.

د. يظهر أن هذا التقرير الذي رفعه زحر أن يسمع يزيد ما يحب أن يسمع حيث قال: «**فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم**» فإن جزر الجزور ونومة القائل لا تستغرق حرباً تستمر من طلوع الشمس حتى ساعة ما بعد الظهر.

هـ. جاء في التقرير (فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقبان والرُخم بقيُّ سبسب) فإن هذا يكشف عما أراده جيش العدو وكان كذلك في الأيام العاشر والحادي عشر والثاني عشر ولم يعلم صاحب هذا التقرير أن هذا الأمل خاب في اليوم الثالث عشر حيث تقدمت رواية الطبري أن عشيرة بني أسد تولت دفن جسد الحسين والشهداء، ولا يزال المزار معروفاً حتى اليوم يتعاقب على زيارته محبو أهل البيت.

7 ـ إن هذا التقرير لهول الوصف أثر في يزيد عاطفياً وكان رد الفعل الطبيعي عنده أن (فدمعت عين يزيد) حيث يكشف عن هول الصورة التي لم يتوقعها.

8 ـ إن مقالة يزيد (كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين) استنكارٌ سياسي لا يعبر عن الواقع لأنه يناقض تماماً ما ورد

في رسالته إلى والي المدينة في حجم صغير جداً كما وصفته الرواية (أذن فارة) مما يدل على أنه أراد الكسب الوقتي بإيقاع اللوم على غيره بعدما تحققت أهدافه وذلك بالترحم على الحسين فإنه لو كان صادقاً في هذه الدعوى لقام بعقوبة القاتل ابن زياد على تلبسه بجريمة قتل الحسين أو على أقل الفروض بعزل ابن زياد عن الولاية فإن شيئاً من ذلك لم يحصل.

9 ـ ما قام به زحر في رفع التقرير من الإعلان على باب يزيد بالتعبير عن الحسين وأصحابه (باللئام الفجرة) يكشف عن روحية جيش العدو حيث إن هذا الوصف لم ينطبق على الحسين وأصحابه لا من قريب ولا من بعيد وقد استنكر يزيد ذلك ربما تحسباً من أن يحصل له ما حصل لمعارضة الأزدي لابن زياد فإن من الطبيعي أن تصله الأخبار من طرق متعددة وهو في رأس الحكم فلم يكن له بدٌ سوى الاستنكار بالقول ولم يصدر منه أي بادرةٍ لعقوبة أي فردٍ من الجيش مما يدل على رضاه القلبي وإن استنكره باللسان.

يزيد ورأس الحسين

رواية الطبري:

وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلي، قال: فدعا عبيد الله ابن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن، فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية؛ قال: فخرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم؛ فقال يزيد: ما ولدت أم محفز ألأم وأحمق، ولكنه

قاطع ظالم؛ قال: فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين، قال:

يـفـلِّـقـن هـامـاً مـن رجـالٍ أعـزَّةٍ
عـلـيـنـا وهـم كـانـوا أعـقَّ وأظـلـمـا

ثم قال: أتدرون من أين أتى هذا؟ قال: أبي علي خير من أبيه، وأمي فاطمة خيرٌ من أمه، وجدي رسول الله خيرٌ من جده، وأنا خيرٌ منه وأحقّ بهذا الأمر منه؛ فأما قوله: «**أبوه خيرٌ من أبي**» فقد حاج أبي أباه، وعلم الناس أيهما حُكِمَ له، وأما قوله: «**أمي خيرٌ من أمه**»، فلعمري فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من أمي؛ وأما قوله: «**جدي خيرٌ من جده**»، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً، ولكنه إنما أتى من قبل فقهه، ولم يقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم أدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن ثم إنهن أدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسن ـ وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فقال يزيد: يا ابنة أخي، أنا لهذا كنت أكره؛ قالت: والله ما ترك لنا خرص، قال: يا ابنة أخي ما آتٍ إليك أعظم مما أخذ منك، ثم أخرجن فأدخلن دار يزيد بن معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن، وأقمن مأتماً، وأرسل يزيد إلى كل امرأة: ماذا أخذ لك؟ وليس منهن امرأة تدعو شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها، فكانت سكينة تقول: ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية. ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم علي بن الحسين، فقال

له يزيد: إيه يا علي! فقال علي: «**مَا أصابَ مِنْ مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسكُم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختالٍ فخور**». فقال يزيد: «**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**» ثم جهزه وأعطاه مالاً، وسرحه إلى المدينة.

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو حمزة الثمالي، عن عبد الله الثمالي، عن القاسم بن بخيث، قال: لما أقبل وفد أهل الكوفه برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً، فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤوس والسبايا، فوثب مروان فانصرف، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم، فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حجبتم عن محمد يوم القيامة؛ لن أجامعكم على أمر أبداً ثم قام فانصرف، ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه، وحدثوه الحديث. قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله ابن عامر بن كُريز - وكانت تحت يزيد بن معاوية - فتقنعت بثوبها، وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم فأعولي عليه، وحدِّي على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصريحه قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المري:

يـفـلـقـن هـامـاً مـن رجـالٍ أحـبـةٍ
إلـيـنـا وهـم كـانـوا أعـقّ وأظـلـمـا

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو برزة

الأسلمي: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذ، فربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد ﷺ شفيعه؛ ثم قام فولى.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية، قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد ـ رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه ـ قال يزيد:

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجال أعِزّةٍ
عليْنا وَهُمْ كانوا أَعَقَّ وأظْلَما

أما والله يا حسينُ، لو أنا صاحبُك ما قتلتُك.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جعفر العبسي، عن أبي عمارة العبسي، قال: فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

لهامٌ بجَنْبِ الطَّفِّ أدْنى قَرابةً
من ابن زيادِ العبْدِ ذي الحسَب الوَغْل

سُميَّةُ أمسى نَسْلها عدد الحصى
وبنتُ رسول اللهِ لَيْسَ لها نَسْل

قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم، وقال: اسكت.

موارد الاعتبار:

1 ـ لما حمل الرسولان رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية أعلن عن موقفهما (فنادى بأعلى صوته جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم) وهذا النداء يكشف عن طبيعة جيش العدو وكان

رد فعل يزيد في مجلسه العام حيث سمعهُ الحاضرون جميعاً رد فعل مزدوج فهو من جانب يؤنب النادي بقوله: «**ما ولدت أم مخفر لألأم**» ومن جانب آخر يؤيد قتل الحسين بقوله: «**لكنه قاطعٌ ظالم**».

استقبل يزيد بن معاوية رؤوس الشهداء في قصره:

أ. (وضعت الرؤوس بين يدي يزيد).

ب. أنشد بيتاً جاهلياً يتهمهم بأنهم (رجال أعزه) وأيضاً أنهم (كانوا أعق وأظلما).

ج. علق على قتل الحسين بقوله: «**أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك**» وهي مواقف متناقضة لا تتحمل التوجيه إلا لتضليل الرأي العام وذلك:

أولاً: إن وضع الرؤوس بين يديه تأييد عمليٌّ لقتل الحسين وأصحابه كما يظهر أن كانت العادة المتبعة في ذلك العصر إذ لو لم يكن راضياً لرفض انعقاد مجلس كهذا، فهل كان يفعل ذلك لو كان المقتول أحداً من أصحابه؟

ثانياً: البيت يصف الحسين بأنه (أعق وأظلم) بالرغم من كونه من الرجال الأعزة وأيُّ ظُلم حصل من الحسين وهل الامتناع عن البيعة ظُلم أو الامتّناع عن بيعة شخص مثل الحسين لشخصٍ مثل يزيد يعتبر ظلماً أو عقوقاً حيث لم تثبت الشرعية للبِيعة من أصلها.

ثالثاً: مقالة يزيد (لو أنا صاحبك ما قتلتك) إنكارٌ للحقيقة التاريخية لأن يزيد هو الذي أمر برسالته إلى والي المدينة في أُذن فارة بقتل الحسين وهو الذي أمر ابن زياد وولاه

الكوفة لهذا الغرض ولم يتخلف ابن زياد من الاتصال بيزيد في كل مرحلةٍ من قراراته الحاسمة وآخرها مسألة السبايا حيث أرسلهم ابن زياد إلى الشام بأمر يزيد.

3 ـ ما أنشدهُ أخو مروان بن الحكم يكشف عن انشقاق في قيادة يزيد في مسألة قتل الحسين كما وجدناه من قبل في موقف عمر بن سعد.

4 ـ إن أخا مروان كان يقف موقفه المتسامح كان على الأعراف القبلية وهي:

أ. إن الحسين (أدنى قرابةٌ) من ابن زياد.

ب. (إن ابن زياد العبد) ليس من أصلٍ عربي في النسب.

ج. إن ابن زياد (ذي الحسب الوغلي) فإنه مطعونٌ في نسبه.

د. إن ابن زياد إنما هو ابن أمه (سمية) أي إنها لم تكن نجيبة.

هـ. إن نتيجة رجحان الجانب المتشدد أن (ليس لآل المصطفى اليوم من نسل).

فإن هذه النقاط لا تبتنى إلا على الأعراف القبلية، ولم يستشهد فيها بنصٍ قرآني وسنة نبوية.

5 ـ إن يزيد بن معاوية لما سمع هذه النقاط (ضرب في صدر يحيى بن الحكم وقال اسكت) تحسباً من أن يجب ذلك انقساماً في القيادة فيما إذا تسربت أنباء هذه المواقف إلى خارج قصر الحاكم.

6 ـ استعراض جيش العدو رأس الحسين (دخلوا مسجد دمشق) وهو المركز الرئيسي لتجمع الناس له دلالته على الإعلان

العام للنصر من قبل الجيش في طريقهم إلى قصر يزيد وموقع القصر هو الجانب الغربي من المسجد الجامع المعروف اليوم بالمسجد الأموي في دمشق.

7 ـ استنكرت أسرة يزيد بن معاوية قتل الحسين تعاطفاً مع المستنكرين أهمها موقف زوجة يزيد (تقنعت بثوبها وخرجت فقالت يا أمير المؤمنين أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال نعم فأعولي عليه وحدّي على ابن بنت رسول الله وصريحه قريش عجل عليه ابن زياد فقتلهُ قتله الله) مما يظهر استخدام يزيد سياسة التعاطف مع المستنكرين بعدما وصل الاستنكار إلى داره وأهله فاتخذ سياسة مواليه مخاطباً زوجته:

أ. (أعولي عليه) طلباً للنياح في داخل الأسرة.

ب. علل الحداد على الروح القبلية (صريح قريش).

ج. ركز اللوم على غيره (عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله) وبذلك أمَّن ولاء العائلة له.

8 ـ بالرغم من سياسته في أسرته الداخلية حيث هدأ زوجته مباشرةً قام يزيد بن معاوية بعمل مناقض لذلك تماماً (ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيبٌ فهو ينكت به في ثغره) فإن هذا العمل يناقضُ تماماً أمرهُ زوجته بالحداد كما هو شأن السياسيين الذين يقولون شيئاً ويعملون على نقيضه.

9 ـ معارضة ابن برزة الأسلمي من أصحاب رسول الله لعمل يزيد هذا بقوله: «**أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين... رأيت**

رسول الله يرشفه أما إنك يا يزيد يجيء يوم القيامة وابن زياد شافعك ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد شفيعه» وهذا يكشف عن شيوع المعارضة في داخل القصر، مما لم يجد يزيد جواباً قط.

فإن هذا الموقف المتناقض من يزيد بن معاوية تجاه قتل الحسين من أمر زوجته بالحداد ونكت ثغر الحسين في المجلس، وتحميل المسؤولية لابن زياد من ناحية وعدم عقوبته بشيء من ناحية أخرى، كل ذلك يكشف عن سياسةٍ عدوانية مدروسة للقضاء على الحسين ثم التنصل من المسؤولية.

قال الجلالي: قد زرت موضع رأس الحسين في دمشق ووصفته في الانتقاء في مزارات دمشق الفيحاء وهو في الركن الغربي من ساحة المسجد الأموي الملصق بقصر يزيد ويعرف بمشهد الحسين وحدثني شيخي العارف بالله نقيب الأشراف في سوريا الشيخ محمد الحسيني الرفاعي وكان قد جاء من موطنه الحسكة بمناسبة أيام عاشوراء عام 1421 هـ وقال: إن مشايخه في صغره كانوا يمنعون من اللعب بالكرة لأنه كان يُعيد إلى الذاكرة ما فعله أعداء أهل البيت بالرأس الشريف في هذا القصر.

يزيد وعلي بن الحسين

رواية الطبري:

قالك ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه،

فأدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعلي: يا علي، أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت! قال: فقال علي: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه؛ قال: فما درى خالد ما يرد عليه؛ فقال له يزيد: قل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾، ثم سكت عنه؛ قال: ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة. فقال: قبح الله ابن مرجانة! لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابةٌ ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا.

موارد الاعتبار:

1 ـ عقد يزيد مجلساً عاماً (دعى أشراف أهل الشام وأجلسهم حوله ثم دعى بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونساءه فأدخلوا عليه والناس ينظرون) وهذا المجلس العام تكون من:

أ. الحاكم يزيد بن معاوية.

ب. أشراف أهل الشام حوله.

ج. أسارى أهل البيت.

د. الناس ينظرون.

فالمجلس أشبه بمؤتمر صحفي مخطط له من قبل الإدارة الحاكمة.

2 ـ المحادثة بين يزيد بن معاوية الحاكم وعلي بن الحسين الأسير أشبه بالمناظرة بين شخصين غير متكافئين أحدهما

رئيس غالب والآخر أسير مغلوب على أمره، وبالمقاييس المادية يجب أن يبدو الضعف في جانب المغلوب.

3 ـ وجه الحاكم يزيد خطاباً إلى الأسير ليبرر قتل الحسين بسرد نقاط مخاطباً إياه: «**يا علي**:

أ. أبوك الذي قطع رحمي.

ب. وجهل حقي.

ج. نازعني سلطاني.

د. فصنع الله به ما قد رأيت».

وهي مواقف وحجج متشابهة لما قام به الأمير بن زياد في الكوفة، وهي خليط مما يبرر القتل وأهمها العقيدة الجبرية التي يرى ما حصل من صنع الله وكأنه ليس من تخطيط وأوامر قيادية وهي مرفوضة:

أ. فإنه ليس بينهما رَحِمُ قريب فهذا هاشمي وذاك أموي ولا يجتمعان في النبي إلا في الجد السابع.

ب. ليس ليزيد حقٌّ على أحدٍ من بني هاشم ولم يره أحدٌ منهم أهلاً.

ج. السلطان من ناحية مبدئية ليس إلا لله سبحانه ولمن يطبق حكمه بالشورى.

د. العقيدة بالجبر يبطل قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس من الإسلام في شيء.

4 ـ كان جواب علي بن الحسين قصيراً في اللفظ عميقاً في المعنى واضحاً في الأسلوب والدلالة على السير على

الثوابت الإسلامية وذلك بالاستشهاد بالقرآن الكريم حيث قرأ قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ فعلي بن الحسين بتلاوة هذه الآية الكريمة أكد على نقاط:

أ. إن صلة الرحم هي صلة الإسلام.

ب. وإن الحق هو حق الإسلام.

ج. وإن السلطان هو سلطان الإسلام.

د. وإن المرجع هو كتاب الإسلام.

وبالنتيجة كل الأعراف إذا لم تستقم على أسس ثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية تفقد شرعيتها.

5 ـ أراد يزيد أن يجعل ابنه خالد قريناً لعلي بن الحسين فطلب منه أن يرد على علي بن الحسين (فما درى خالد ما يرد عليه) مما يدل على نقص في الثقافة الإسلامية في الأسرة الحاكمة.

6 ـ اضطر يزيد الحاكم أن يجيب على الأسير المحكوم بعد أن عجز ابنه خالد فقال: «**قل ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**» ولم يفتقر هذا لأي تعليق حيث ظهرت الحقيقة في هذا المجلس العام للجمهور.

7 ـ لقد غطى يزيد هذا الفشل بخطة مباشرة هي (ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه فرأى هيئة قبيحة) ولم يجد بداً سوى أن يدفع المسؤولية عن نفسه وهو الذي يدعي احترام صلة الرَحِمْ فحمل المسؤولية إلى شخصٍ هو ولاه فقال: «**قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينه وبينكم رحم أو**

قرابة ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم هكذا» فلو كان يزيد صادقاً فلماذا لم يعاقبه أو يعزله.

يزيد وزينب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت علي، قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رق لنا، وأمر لنا بشيء، وألطفنا؛ قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه ـ يعنيني، وكنتُ جارية وضيئة ـ فأرعدت وفرقت، وظننت أن ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أختي زينب؛ قالت: وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقالت: كذبت والله ولؤمت! ما ذلك لك وله، فغضب يزيد، فقال: كذبت والله، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلتُ؛ قالت: كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا، قالت: فغضب يزيد واستطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك؛ فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله؛ قالت: أنت أمير مسلط، تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك؛ قالت: فوالله لكأنه استحيا، فسكت، ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية؛ قال: اعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً!

موارد الاعتبار:

1 ـ تطاول الأحمر من أهل الشام بقوله: **«يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية»** يعني فاطمة بنت علي له دلالة

واضحة على الدعايات السلبية حول سبايا أهل البيت بأنهم أسارى غير مسلمين حالهم حال الكفار الذين يجب استرقاقهم.

2 ـ ردة الفعل الطبيعية لفاطمة كانت (أرعدت وفرقت) وهي من جانبها أيضاً ظنت أن ذلك جائز عند أهل الشام حيث إن الاسترقاق ليس بأعظم من القتل (وأخذتُ بثيات أختي زينب) حيث لم يكن لها طريق للتخلص من ذلك سوى التمسك بثياب أختها.

3 ـ قامت زينب الكبري بطلة كربلاء بدورٍ قيادي شجاع ترد على الرجل قبل أن يبادر الحاكم بكلمة فقالت: **«كذبت والله ولؤُمت ما ذلك لك وله»** وهو تحدٍّ ظاهر لحكم يزيد الذي رأى مبادرة زينب وسيلة لمعرفة الحقائق وزيف الشعارات.

4 ـ حاول الحاكم يزيد أن يرد التحدي (فغضب يزيد فقال: **«كذبتِ والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته»** ولكنه كشف عن جهل أو تجاهل بالثوابت الإسلامية أنه لا يجوز استرقاق المسلمين.

5 ـ أجابت زينب معربةً عن شخصية سبايا أهل البيت من جانب والتأكيد على الثوابت الإسلامية من جانب آخر فقالت: **«كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا»**.

6 ـ ومن الطبيعي أن لا يتوقع يزيد الحاكم هذا التحدي الصارخ الذي كشف زيف الشعارات بكل صراحة وفي مجلس عام مخطط لتغطية الحقائق فقال: **«إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك»**.

7 ـ قارعت زينب الاتهامات التي لا يمكن أن يتجاهلها أو ينكرها أحدٌ ممن يدرس التاريخ فقالت: «**بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك**» فلم يبق ليزيد الحاكم سوى السب فقال: «**كذبت يا عدوة الله**» وهذا ما لم يتوقعه أحدٌ من حضار المجلس إطلاقاً بأن يقابل الحاكم الآمر امرأةً بالسب وكان ذلك كافياً لبيان شخصية يزيد التي ظهرت في المجلس، ولكن زينب أرادت بيان فشل سياسة يزيد فقالت: «**أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك**» مؤكدةً على صفات ثلاث تتواجد في الحكم القبلي دون الحكم الإسلامي.

إطلاق سراح الأسارى

رواية الطبري:

ثم قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير؛ جهزهم بما يصلحهم وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهن ما يصلحهن، وأخوهن معهن علي بن الحسين، في الدار التي هن فيها. قال: فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم يبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين. فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً، وكان زيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا علي بن الحسين إليه؛ قال: فدعاه ذات يوم، ودعا عمر بن الحسن بن علي، وهو غلام صغير، فقال لعمر بن الحسن: أتقاتل هذا الفتى؟ يعني خالداً ابنه، قال: لا ، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم أقاتله، فقال له يزيد؛ وأخذه فضمه إليه ثم قال سأل: «**شنشنة أعرفها من**

أخزم"؛ هل تلد الحية إلا حية! قال: ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد علي بن الحسين ثم قال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وأنهِ كل حاجة تكون لك؛ قال: وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول؛ قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا، ويسألهم عن حوائجهم، ويُلطفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أخية، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا؛ قالت لها: فنعطيه حلينا، قالت: فأخذت سواري ودملجي وأخذت أختي سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه. واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل، قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله، ولقرابتكم من رسول ﷺ.

موارد الاعتبار:

1 ـ فشلت المحاولات في تعجيز أسارى أهل البيت في المجلس العام الذي عقده الحاكم يزيد وظهرت الحقائق للمشاركين في المجلس وخشيت القيادة من التوعية العامة من تواجد أسارى أهل البيت وخططت للتخلص من هذه

المشكلة غير المرتقبة، فأمر يزيد مباشرةً بالقرار التالي: «**يا نعمان بن بشير:**

أ. جهزهم بما يصلحهم.

ب. ابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً.

ج. وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسيروا بهم إلى المدينة.

2 ـ تكريم سبايا أهل البيت (ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة معهن ما يصلحهن وأخوهن معهن علي بن الحسين في الدار التي هن بها) فانقلبت السياسة إلى سياسة التكريم والحرية بعد الأسر.

3 ـ التعاطف مع شعور أهل البيت في قصر الحاكم (فلم يبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين) ويظهر أن هذه العادة كانت في أسرة يزيد خاصة دون غيرها.

4 ـ (فأقاموا المناحة عليه ثلاثاً) يظهر من الذي قام المناحة هم من آل معاوية فتكون العادة في الميت سائرة في ذلك العصر ولكن لم يظهر تعدي هذه العادة إلى البيوت الأخرى.

5 ـ كان يزيد بالذات يهتم في استمالة علي بن الحسين إلى التعاطف مع سياسته فكان (لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعى علي بن الحسين إليه).

6 ـ أراد يزيد معرفة تأثير هذه السياسة الجديدة في شعور أهل البيت عامة (فدعاه ذات يوم ودعى عمر بن الحسن بن علي وهو غلام صغير فقال لعمر بن الحسن أتقاتل هذا الفتى يعني خالداً ابنه؟ قال: لا ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً

ثم أقاتله) مما يكشف عن عمق هذه المواقف في شعور أهل البيت.

7 ـ لقد أبدى يزيد منتهى اللين في سياسته الجديدة بعد أن تيقن من زوال خطر الحسين وقال:

أ. لعن الله ابن مرجانة.

ب. أما والله لو أني صاحبه ما سألني حاصلة أبداً إلا أعطيته.

ج. ولدفعت الحيف عنه بكل ما استطعت.

د. ولو بهلاك بعض ولدي.

هـ. ولكن الله قضى ما رأيت.

8 ـ خص يزيد علي بن الحسين بالذات وكلفه أن يقوم بما يؤيد حكمه وسلطانه قال: «**كاتبني في كل حاجة تكون لك ولم يعلق علي بن الحسين على هذا الطلب قط لوضوح نواياه المرفوضة مبدئياً من أهل البيت.**

9 ـ وجد سبايا أهل البيت الحرية بعد الأسر حيث إن الموكلين بإيصالهم إلى المدينة لم يضايقوهم قط على النقيض تماماً في مسيرهم من الكوفة إلى الشام حيث كان علي بن الحسين في الغل.

10 ـ بالرغم من علم أهل البيت بأن التعامل والسياسة الجديدة إنما هي في مصلحة السلطة لم يتركوا واجبهم الإسلامي تجاه الحارس المأمور فقالت فاطمة بنت علي: «**قلت لأختي زينب يا أُخية لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا**

في صحبتنا فهل لك أن تصليه؟ قالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حُلينا قالت لها: فنعطيه حُلينا قالت: فأخذت سواري ودُملجي وأخذت أختي سوارها ودُملجها فبعثنا بذلك إليه... فقال: ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله» ففي هذه اللحظة الأخيرة أكد أهل البيت على الثابتة الإسلامية (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان).

النداء في المدينة

رواية الطبري:

قال هشام: حدثني عوانة بن الحكم؛ قال: لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي وجيء برأسه إليه، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السلمى فقال: انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشره بقتل الحسين ـ وكان عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يومئذٍ ـ قال: فذهب ليعتل له، فزجره ـ وكان عبيد الله لا يصطلي بناره ـ فقال: انطلق حتى تأتي المدينة، ولا يسبقك الخبر؛ وأعطاه دنانير، وقال: لا تعتل، وإن قامت بك راحلتُك فاشتر راحلة؛ قال عبد الملك: فقدمت المدينة، فلقيني رجل من قريش، فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قُتل الحسين بن علي؛ فدخلتُ على عمرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما سر الأمير، قُتل الحسين بن علي؛ فقال: نادِ بقتله، فناديت بقتله، فلم أسمع والله واعيةً قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين، فقال عمرو بن سعيد، وضحك:

عجب نساءُ بني زياد عجةٌ
كَعجيجِ نِسْوتنا غَداةَ الأرْنب

الأرنب: وقة كانت لبني زُبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب؛ من رهط عبد المدان، وهذا البيتُ لعمرو بن معديكرب، ثم قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان، ثم صعد المنبرَ فأعْلَمَ الناس قتله.

قال هشام، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبي الكنود، قال: لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين، دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه ـ قال: ولا أظن مولاه ذلك إلا أبا اللسلاس ـ فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين! قال: فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله، ثم قال: يا ابن اللخناء، أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت ألا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لمما يسخى بنفسي عنهما، ويهون علي المصاب لهما، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسين له، صابرين معه. ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عز وجل على مصرع الحسين، إلا تكن آست حسيناً يدي، فقد آساه ولدي. قال: ولما أتى أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول:

مـاذا تـقـولـونَ إنْ قـال الـنـبـيُّ لـكـمْ
مـاذا فـعـلـتـمْ وأنـتـمْ آخِـرُ الأُمَـمِ
بـعِـتْـرتـي وبـأهـلـي بـعـدَ مُـفـتَـقَـدِي
مـنـهـمْ أُسـارَى ومـنـهـمْ ضُـرِّجـوا بـدمِ!

قال هشام: عن عوانة، قال: قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر، أين الكتاب الذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب؛ قال: لتجئني

به؛ قال: ضاع؛ قال: والله لتجئني به؛ قال: تُرِك والله يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهن بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد ابن أبي وقاص كنت قد أديت حقه. قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يُقتل؛ قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله.

قال هشام: حدثني بعض أصحابنا، عن عمرو بن أبي المقدام، قال: حدثني عمرو بن عكرمة؛ قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدثنا، قال: سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول:

أيّها القاتلون جَهْلاً حُسيناً
أبشِروا بالعذابِ والتَّنْكيل
كلُّ أهل السماء يدعو عليكمْ
من نبيٍّ ومَلأْكٍ وَقبيل
قد لُعِنتمْ على لسان ابن داو
دَ وموسى وحامِل الإنجيل

قال هشام: حدثني عمر بن حيزوم الكلبي، عن أبيه، قال: سمعتُ هذا الصوت.

موارد الاعتبار:

1 ـ مبادرة رجل من قريش السؤال ممن قدم المدينة المنورة وجوابه (الخبر عند الأمير) تكشف عن شيوع نبأ مقتل الحسين قبل الإعلان الرسمي لذلك من قبل والي المدينة.

2 ـ أمر عمرو بن سعيد بن العاص والي المدينة بالنداء العام بقتل الحسين (فناديت بقتله فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم)، وقد علق الوالي على ذلك بقوله: «**هذه واعيةٌ بواعية عثمان بن عفان**» ويظهر أنه أراد تبرير قتل الحسين بإذكاء روح الطائفية.

3 ـ لم تؤثر هذه السياسة الجديدة في الوعاة لحركة الحسين وأهدافها في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي قُتل له ابنان مع الحسين وقال له مولاه مستخدماً سياسة التفرقة (هذا ما لقيناه ودخل علينا من الحسين) وكان رد الفعل بالرغم من شهادة ولديه أن حذفه بنعله ثم قال: «**يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أُقتل معه**» مؤكداً على وحدة الكلمة.

4 ـ من الناحية التاريخية أولُ رثاءٍ شعري للحسين من أهل البيت ما أنشدته ابنة عقيل بقولها:

مـاذَا تـقـولـونَ إنْ قـال الـنـبـيُّ لـكـمْ
مـاذا فـعـلـتـمْ وأنـتـمْ آخِـرُ الأُمَـمِ
بـعِـتْـرتـي وبـأهـلـي بـعـدَ مُـفـتَـقَـدِي
مـنـهـمْ أُسـارَى ومـنـهـمْ ضُـرِّجـوا بـدمِ!

ولا تفتقر هذه الأبيات إلى جوابٍ أو تعليق وإن أول رثاء لغير أهل البيت كان في الصيحة التي أعلنتها المعارضة ليلاً (سمعتُ البارحة منادياً ينادي:

أيّـهـا الـقـاتـلـون جَـهْـلاً حُـسـيـنـاً
أبـشِـروا بـالـعـذابِ والـتَّـنْـكـيـلِ)

المعبر عن السخط العام من مختلف الطوائف والملل والأديان.

رواية الطبري:

ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام، وعدد من قُتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته.

قال هشام: قال أبو مخنف: ولما قتل الحسين بن علي عليه السلام جيء برؤوس ممن قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس، وجاءت مذجج بسبعة رؤوس، وجاء سائر الجيش بسبعة رؤوس، فذلك سبعون رأساً.

قال: وقُتل الحسين ـ وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قتله سنان بن أنس النخعي ثم الأصبحي وجاء برأسه خولي بن يزيد، وقُتل العباس بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رُقاد الجنبي ـ وحكيم بن الطفيل السنبسي، وقتل جعفر بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم البنين أيضاً ـ وقُتل عبد الله بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم البنين أيضاً ـ وقتل عثمان بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم البنين أيضاً ـ رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله، وقتل محمد بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم ولد ـ قتله رجل من بني أبان بن دارم، وقُتل أبو بكر بن علي بن أبي طالب ـ وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، وقد شك في قتله ـ وقُتل علي ابن الحسين بن علي ـ وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأمها

ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب ـ قتله مرة بن منقذ بن النعمان العبدي، وقُتل عبد الله بن الحسين بن علي ـ وأمه الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من كلب ـ قتله هانئ ابن ثُبيت الحضرمي، واستصغر علي بن الحسين بن علي فلم يُقتل؛ وقُتل أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم ولد ـ قتله عبد الله بن عقبة الغنوي؛ وقُتل عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ وأمه أم ولد ـ قتله حرملة بن الكاهن، رماه بسهم؛ وقُتل القاسم بن الحسن بن علي ـ وأمه أم ولد ـ قتله سعد بن عمرو بن نُفيل الأزدي، وقُتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ وأمه جمانة ابنة المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رباح [رياح][1] من بني فزازة ـ قتله عبد الله بن قُطبة الطائي ثم النبهاني، وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ وأمه الخوصاء ابنة خصفة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل ـ قتله عامر ابن نهشل التيمي، وقُتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب ـ وأمه أم البنين ابنة الشقر بن الهضاب ـ قتله بشر بن حوط الهمداني، وقُتل عبد الرحمن ابن عقيل ـ وأمه أم ولد ـ قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهني، وقُتل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب ـ وأمه أم ولد ـ رماه عمرو بن صبيح الصدائي فقتله؛ وقُتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب ـ وأمه أم ولد، وُلد بالكوفة ـ وقُتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب ـ وأمه رقية ابنة علي بن أبي طالب ـ وأمها أم ولد ـ قتله عمرو بن صبيح الصدائي؛ وقيل: قتله أسيد بن مالك الحضرمي، وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل ـ وأمه أم ولد ـ قتله لقيط بن ياسر الجهني، واستُصغر الحسن بن الحسن بن علي، وأمه خولة ابنة منظور بن زبان بن سيار القزازي، واستصغر

---

(1) تاريخ الطبري: طبعة بيروت 1998.

عمر بن الحسن بن علي فتُرك فلم يُقتل ـ وأمه أم ولد ـ وقُتل من الموالي سليمان مولى الحسين بن علي، قتله سليمان بن عوف الحضرمي، وقُتل منجح مولى الحسين بن علي، وقُتل عبد الله بن بقطر رضيع الحسين بن علي.

موارد الاعتبار:

1 ـ ذكر الكبري عدد الشهداء في هذا الموضع 35 قتيلاً كالآتي:

* بُرير قبل الحرب الجماعية.

* مسلم بن عوسجة في بدء الحملة الجماعية.

* الكلبي في بدء الحملة الجماعية.

* بعد حرق الخيام 32 شهيداً.

فيكون المجموع 35 شهيداً.

وقد تقدم أن مجموع أصحاب الحسين كما صرحت رواية الطبري كانوا 72 شخصاً مما يظهر أن الطبري لم يكن بصدد استقصاء أسماء الشهداء أو حصل سقط في النسخة أو الرواية، وإنما اكتفى هنا بمن أُثر عنه شيءٌ من الرجز أو الشعر أو الخطبة أو الأثر.

2 ـ وقد سردت رواية الطبري من قبل مجموع أصحاب الحسين بـ 72 وعددهم بالإجمال كالآتي:

* 13 مع قيس بن الأشعث حملت رؤوسهم.

* 20 مع شمر بن ذي الجوشن حملت رؤوسهم.

* 17 من تميم.
* 6 بنو أسد.
* 7 مذحج.
* 7 سائر الجيش.

فالمجموع سبعون رأساً حملوا إلى الشام.

3 ـ ونظرة إلى حملة هذه الرؤوس تكشف عن سياسة مشاركة القبائل المختلفة في الحرب ضد الحسين هي كندة وهوازن وتميم وبني أسد ومذحج فيكون أكثرها فخراً هوازن حيث حملت أكثر عدد من الرؤوس وربما تعمد بن زياد تلطيخ أيدي هؤلاء بالمشاركة بإقحامهم في حمل الرؤوس لأن لا يؤخذ بها وحدها.

4 ـ رواية أهل البيت تذكر أسماء الشهداء أطول من ذلك نوردها بالإسناد عن رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت 664) بإسناده نستخلص منها الأسماء حسب الرواية التي رواها:

1 ـ علي بن الحسين.

2 ـ عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع.

3 ـ عبد الله بن أمير المؤمنين.

4 ـ العباس بن أمير المؤمنين.

5 ـ جعفر بن أمير المؤمنين.

6 ـ عثمان بن أمير المؤمنين.

7 ـ محمد بن أمير المؤمنين.

8 ـ أبو بكر بن الحسن بن علي.

9 ـ عبد الله بن الحسن بن علي.

10 ـ القاسم بن الحسن بن علي.

11 ـ عون بن عبد الله بن جعفر الطيار.

12 ـ محمد بن عبد الله بن جعفر.

13 ـ جعفر بن عقيل.

14 ـ عبد الرحمن بن عقيل.

15 ـ عبد الله بن مسلم بن عقيل.

16 ـ عبيد الله بن مسلم بن عقيل.

17 ـ محمد بن أبي سعيد بن عقيل.

18 ـ سليمان مولى الحسين.

19 ـ قارب مولى الحسين.

20 ـ منجح مولى الحسين.

21 ـ مسلم بن عوسجة الأسدي.

22 ـ سعد بن عبد الله الحنفي.

23 ـ بشر بن عمر الحضرمي.

24 ـ يزيد بن حصين الهمداني المشرفي القاري.

25 ـ عمر بن كعب الأنصاري.

26 ـ نُعيم بن عجلان الأنصاري.

27 ـ زهير بن القين البجلي.

28 ـ عمر بن قرطة الأنصاري.

29 ـ حبيب بن مظاهر الأسدي.

30 ـ الحر بن يزيد الرياحي.

31 ـ عبد الله بن عمير الكلبي.

32 ـ نافع بن هلال بن نافع البجلي المرادي.

33 ـ أنس بن كاهل الأسدي.

34 ـ قيس بن مسهر الصيداوي.

35 ـ عبد الله بن عروة بن حراق الغفاري.

36 ـ عبدالرحمن بن عروة بن حراق الغفاري.

37 ـ جون (عون) بن حري مولى أبي ذر الغفاري.

38 ـ شبيب بن عبد الله النهشلي.

39 ـ الحجاج بن زيد السعدي.

40 ـ قاصد بن زهير التغلبي.

41 ـ كرش بن زهير التغلبي.

42 ـ كنانة بن عتيق.

43 ـ ضرغامة بن مالك.

44 ـ حوي بن مالك الضبعي.

45 ـ عمر بن ضبيعة الضبعي.

46 ـ زيد بن ثبيت القيسي.

47 ـ عبد الله بن يزيد بن ثبيط (ثبت) القيسي.

48 ـ عبيد الله بن يزيد بن ثبيط (ثبت) القيسي.

49 ـ عامر بن مسلم.

50 ـ قعنب بن عمرو النميري.

51 ـ سالم مولى عامر بن مسلم.

52 ـ سيف بن مالك.

53 ـ زهير بن بشر الخثعمي.

54 ـ زيد بن معقل الجعفي.

55 ـ الحجاج بن مسروق الجعفي.

56 ـ مسعود بن الحجاج.

57 ـ ابن مسعود بن الحجاج.

58 ـ مجمع بن عبد الله العائذي.

59 ـ عمار بن حسان بن شريح الطائي.

60 ـ حيان بن الحرث السلماني الأزدي.

61 ـ جندب بن حجر الخولائي.

62 ـ عمر بن خالد الصيداوي.

63 ـ سعيد مولى عمر بن خالد الصيداوي.

64 ـ يزيد بن زياد بن مظاهر الكندي.

65 ـ زاهد [زاهر] مولى عمرو بن الحمق الخزاعي.

66 ـ جبلة بن علي الشيباني.

67 ـ سالم مولى بني المدينة الكلبي.

68 ـ أسلم بن كثير الأزدي الأعرج.

69 ـ زهير بن سليم الأزدي.

70 ـ قاسم بن حبيب الأزدي.

71 ـ عمر بن جندب الحضرمي.

72 ـ أبو تمامة عمر بن عبد الله الصائدي.

73 ـ حنظلة بن أسعد الشيباني (الشبامي).

74 ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن الكدر الأرحبي.

75 ـ عمار بن أبي سلامة الهمداني.

76 ـ عابس بن شبيب الشاكري.

77 ـ شوذب مولى شاكر.

78 ـ شبيب بن الحارث بن سريع.

79 ـ مالك بن عبد بن سريع.

80 ـ الجريح المأسور سوار بن أبي حمير الهمداني.

81 ـ عمرو بن عبد الله الجندعي (المرتب معه).

وهذه القائمة تحتوي على 81 اسماً ثمانية منهم مَوالٍ فيكون المجموع 73 شخصاً، والأخير هو مرتب أي الذي حمل من المعركة رتباً أي

جريحاً وبه رمق الباقي 72 قتيلاً كما تقدمت بذلك رواية الطبري المشهورة.

مطاردة المعارضة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، أن عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقد أشراف أهل الكوفة، فلم ير عبيد الله بن الحر، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه؛ فقال: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضاً؛ قال: مريض القلب، أو مريض البدن؟ قال: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد من الله علي بالعافية، فقال له ابن زياد: كذبت؛ ولكنك كنت مع عدونا؛ قال: لو كنت مع عدوك لرُئِيَ مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى؛ قال: وغفل عنه ابن زياد غفلة، فخرج ابن الحر فقعد على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا: خرج الساعة؛ قال: علي به؛ فأحضرته الشرط فقالوا له: أجب الأمير؛ فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أني لا آتيه والله طائعاً أبداً؛ ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم، فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن، وقال في ذلك:

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقَ غادرٍ
ألا كنتَ قاتَلْتَ الشهيد ابن فاطمةْ!
فيا ندمي ألاّ أكونَ نصرتُهُ
ألا كلُّ نفس لا تُسدّد نادمَهْ
وَإنّي لأنّني لم أكُن من حُماتِهِ
لذو حسرة ما إن تفارقُ لازمَه

سَقَى الله أرواحَ الذين تآزّروا
على نصرهِ سُقْيَا من الغيْثِ دائمهْ
وقفتُ على أجْدائِهمْ ومِجالِهمْ
فكاد الحَشَى ينفَضُّ والعينُ ساجمَه
لَعَمْري لقد كانوا مصاليتَ في الوَغى
سِراعاً إلى الهيجا حُماةً خَضارِمَهْ
تآسَوْا على نَصْر ابن بنتِ نبيِّهمْ
بأسيافهمْ آسادَ غيلٍ ضراغمة
فإن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ تقيَّةٍ
على الأرض قد أضْحَتَ لذلك واجمَهْ
وما إن رأى الراءُونَ أفضل منهُمُ
لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْراً قماقمهُ
أتقتلهمْ ظُلماً وترجو ودادَنا
فَدَعْ خُطَّةً ليست لنا بملائمهْ!
لعمري لقد راغَمُتمونا بقتلهمْ
فكم ناقِم مِنَّا عليكم وناقمَهْ
أهمُّ مِراراً أن أسِيرَ بجَحْفَلٍ
إلى فئة زاغتْ عن الحقِّ ظالِمهْ
فَكُفُّوا وإلاّ ذَدْتكمْ في كتَائبٍ
أشدّ عليكمُ من زُحوفِ الديالِمَهْ

موارد الاعتبار:

1 ـ بعد ما قضى ابن زياد مهمته الرئيسية بالقضاء على الحسين وأصحابه جاء دوره في القضاء على فلول المعارضة باعتبارهم مكامن الخطر للثأر وأخذ (يتفقد أشراف الكوفة)

ليتعرف على المعارضة لاستئصالها.

2 ـ كان ابن الحر من أوائل القافلة الواعية لخطط ابن زياد والمحادثة التالية تكشف عن محاولة بن زياد ليأخذ على ابن الحر مأخذاً وعن مدى حذر ابن الحر لتفويت كل فرصةٍ لذلك.

ابن زياد: أين كنت يا ابن الحر؟

ابن الحر: كنت مريضاً.

ابن زياد: مريض القلب أو مريض البدن؟

ابن الحر: أما قلبي فلم يمرض وأما بدني فقد من الله علي بالعافية.

ابن زياد: كذبت ولكنك كنت مع عدونا.

ابن الحر: لو كنت مع عدوك لرُئيَ مكاني.

وفي أولى فرصة متاحة (غفل عنه ابن زياد غفلة) خرج ابن الحر من دون أن يجلب انتباه أحد، ولم ينفع أمر ابن زياد للشرطة، فقد أجاب بقوله: «**أبلغوه أني لا آتيه طائعاً أبداً**» لعلمه بمواقفه وخططه ومصيره.

3 ـ اختار ابن الحر أن يبتعد عن وطنه خشية ابن زياد وتوجه نحو المدائن، ولكنه لم ينسَ أداء الواجب بالتحية والسلام للقائد المعلوم وليس للجندي المجهول أبي الأحرار الحسين بن علي سيد الشهداء.

4 ـ وتعتبر الأبيات التي أنشأها من أوائل الرثاء للحسين والتي تشكل مكتبة غنية في الأدب العربي، وهذه الأبيات البالغ

عددها 13 بيتاً لها دلالتها على نقاط كثيرة يستدعي كلٌّ منها دراسة مستقلة ويكشف عن واقع الحال، والحقيقة في حركة الحسين من منطلقها وأهدافها ومواقف ابن زياد وأهدافه والمجتمع الذي انقسم بين معارض ومناصر ومخاذل وأهم هذه النقاط:

1 ـ الغدر صفة الأمير (غادر حق غادر).

2 ـ الندم على عدم نصر الحسين (أن لا أكون نصرته).

3 ـ الحسرة على عدم الحماية (لذو حسرةٍ).

4 ـ الدعاء للشهداء (سقوا الله).

5 ـ الزيارة للحسين بمثابة القائد المعلوم لا الجندي المجهول.

6 ـ الصمود في أصحاب الحسين (مصاليت في الوغى).

7 ـ النقطة السوداء في التاريخ (كلُّ نفسٍ واجمة).

8 ـ الفضيلة لأصحاب الحسين (سادات زهر قماقمة).

9 ـ الظلم في سياسة ابن زياد (أتقتلهم ظلماً).

10 ـ الدكتاتورية (راغمتمونا بقتلهم).

11 ـ روح الثأر (أهمُّ مراراً أن أسير).

12 ـ القطيعة (فكفوا وإلا).

وكانت هذه أولى المبادرات لملاحقة المعارضة.

وصدق الحسين

وصدق الحسين حيث قال: «**وأيمُ الله لو كنتُ في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيَّ حاجتهم**».

حيث إن نظام الحكم في عهد النبي كان بالشورى ودراسة أنواع الحكومات في ذلك العصر تدل على أنها حكومات وراثية بين الإمبراطورية البيرنطية (تركيا اليوم) والأكاسرة (إيران اليوم) وعلى هذا المنطلق تسلم معاوية الحكم على مسلمين على أساس أنه أقرب الناس إلى نبي الإسلام لأنهما معاً من قريش فكان يجد الحسين أقرب إلى النبي نسباً وحسباً لأنه ابن بنت رسول الله فكان حجر عثرة في ملكه.

وصدق الحسين حيث قال: «**ووالله لتعتدنَّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت**».

مُشيراً إلى الصلة بين السياسة الجديدة السائرة على خطى أعداء الإسلام في نظام الحكم وقراراته فقد استشار يزيد سرجون مولى معاويه وهو من موالي البيزنطيين الروم ولم يستشر أحداً من المسلمين العرب من بلاد المسلمين (...فقال سرجون أرأيت معاوية لو نشر لك أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة، فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب». (ص٣٥٦).

مما يكشف عن خطةٍ واضحةٍ مدروسةٍ مسبقة للاعتداء على شخص الحسين بيدٍ أجنبية ذات أصول رومية.

وصدق الحسين حيث قال: «... **أما والله لو قد قتلتموني لقد**

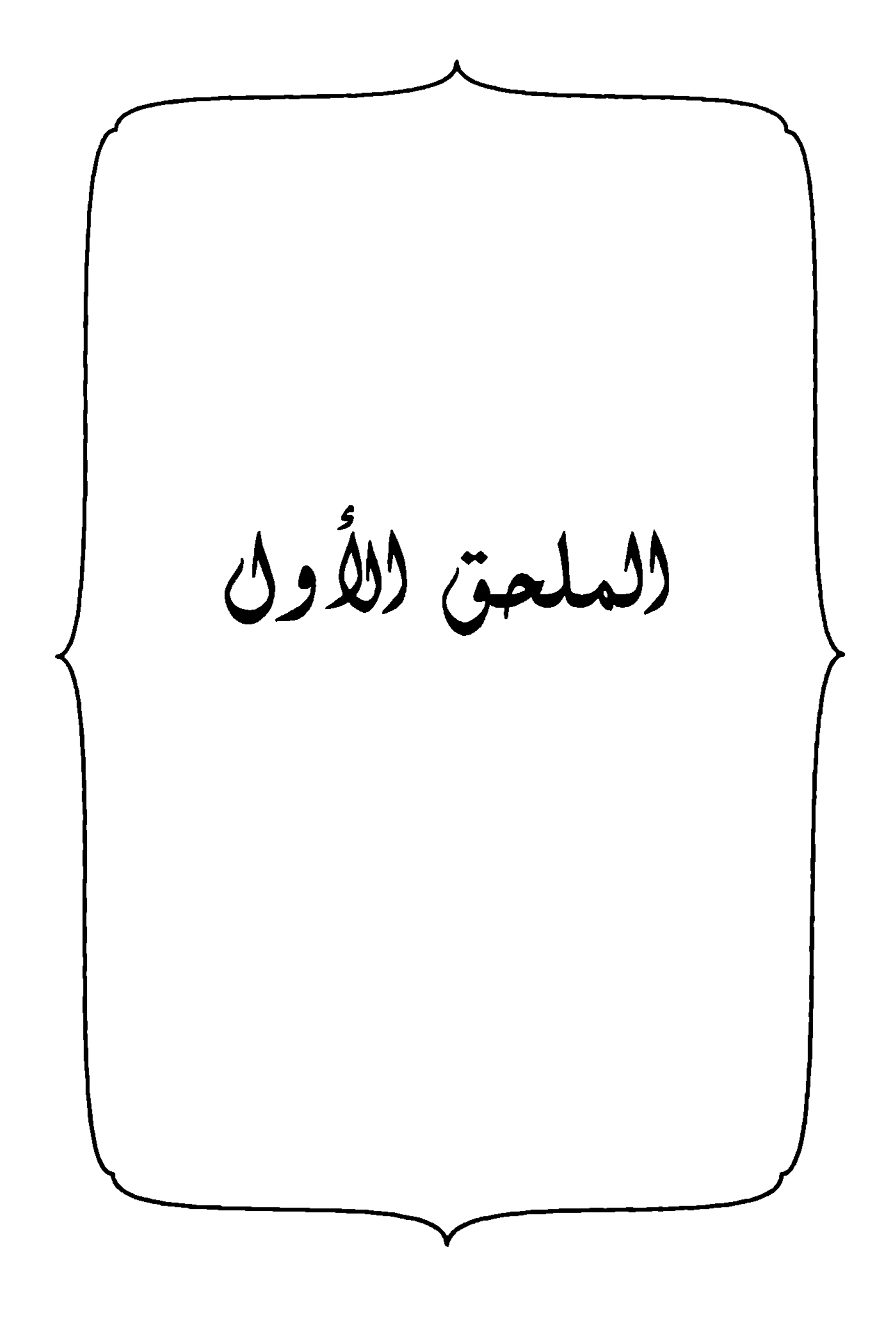
ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم».

فقد قام ابن زياد يطارد كل من لم يوافق على سياسته فأول من قتل في الكوفة كان عبد الله بن عفيف الأزدي وكان واثقاً من حماية عشيرته حيث كانوا يومئذن في الكوفة (من الأزد سبعمائة مقاتل) فأرسل إليه ابن زياد من أتى به (فقتله وأمر بصلبه في السبخة)، وكان ذلك بداية لسلسلةٍ مستمرة من القتل والصلب.

وصدق الحسين حيث قال في آخر كلمةٍ قبل أن يقتل: **«وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم منكم من حيث لا تشعرون»**. (ص ١٤٨)

فهي كلمة الواثق بعدالة القضية ووضوح الرؤيا، قالها لكي تبقى حقيقةً صارخةً، فإن دم الشهادة كشف زيف الدعايات الباطلة وأظهر الحقائق للمجتمع الإسلامي، ولم يلبث حكم الظلم أن تهاوى أمام الصحوة بعد الصحوة في مجلس ابن زياد في الكوفة، ومجلس يزيد في دمشق، ولم يبق للحاكم الظالم قائمة في الشرق حتى هرب المشاركون في قتل الحسين إلى الغرب.

وبكلمة حركة الحسين من المنطلق من المدينة حتى الشهادة في كربلاء ـ لمن يدرسها بعمق ـ تمثل الثوابت الإسلامية الأصيلة التي تعلمها في مدرسة جده رسول الله وسار عليها في حياته بوضوح الرؤيا في المسير والمصير والأهداف.

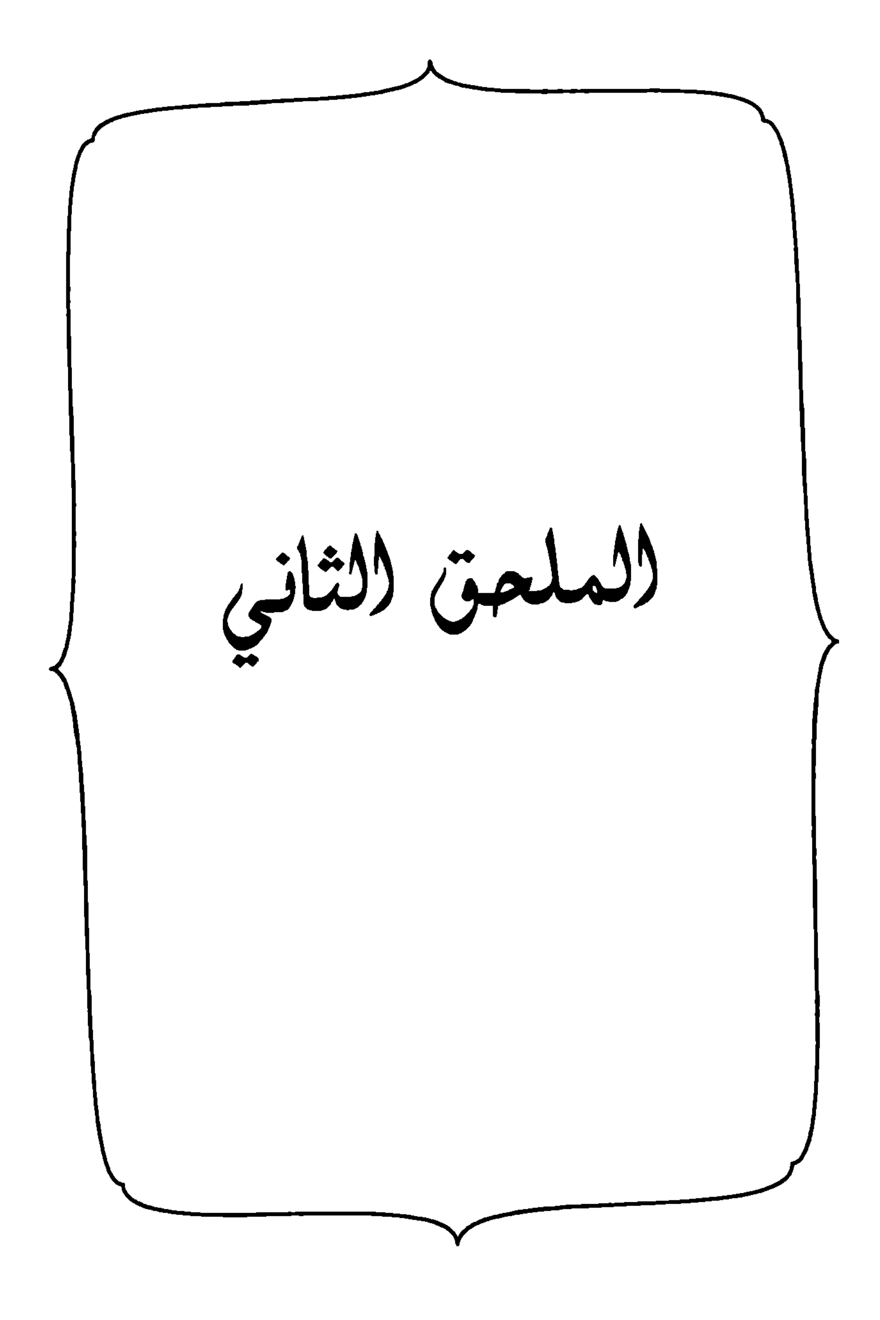


الملحق الأول

الملحق الأول

وأما ابنُ الزبير، فقال: الآن آتيكم، ثم أتى داره فكمن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزاً، فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في إثر الرجال، فأما حسين فقال: كُف حتى تنظر ننظر، وترى ونرى؛ وأما ابنُ الزبير فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم، أمهلوني، فألحوا عليهما عشيتها تلك كلها وأول ليلهما، وكانوا على حسين أشد إبقاء، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالي له فشتموه وصاحوا به: يا ابن الكاهلية، والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليلة يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال، وتتابع هذه الرجال، فلا تُعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله! كف عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رُسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله، فمر رُسلك فلينصرفوا عنا. فبعث إليهم فانصرفوا، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفُرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب، وتوجه نحو مكة، فلما أصبح

بعث إليه الوليد فوجده قد خرج، فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرح في أثره الرجال. فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً، فطلبوه فلم يقدروا عليه. فرجعوا، فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا، ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء، فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه تلك الليلة، ولم يُلحوا عليه.



الملحق الثاني

الملحق الثاني

[ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر [عمرو] بن سعيد، وفي هذه السنة عزل يزيد الولي بن عتبة عن المدينة، عزله في شهر رمضان، فأقر عليها عمرو بن سعيد الأشدق.

وفيها قدم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان، فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد، وإن ابن الزبير والحسين لما دُعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة. فليقيهما [فلقيهما][1] ابن عباس وابن عمر جاءيين من مكة. فسألاهما: ما وراءكما؟ قالا: موتُ معاوية والبيعة ليزيد، فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين، وأما ابن عمر فقدم فأقام أياماً، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان، فتقدم على الوليد بن عتبة فبايعه، وبايعه ابن عباس.

وفي هذه السنة وجه عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير لحربه.

ذكر الخبر عن ذلك: ذكر محمد بن عمر أن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدم المدينة في رمضان سنة ستين فدخل عليه أهل

---

(1) تاريخ الطبري: طبعة بيروت 1998.

المدينة، فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفوه.

قال محمد بن عمر: حدثنا هشام بن سعيد، عن شيبة بن نصاح، قال: كانت الرسل تجري بين يزيد بن معاوية وابن الزبير في البيعة، فحلف يزيد ألا يقبل منه حتى يؤتى به في جامعة، وكان الحارث بن خالد المخزومي على الصلاة، فمنعه ابن الزبير، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد، ابعث جيشاً إلى ابن الزبير، وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولى شرطته عمرو بن الزبير، لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً.

قال محمد بن عمر: حدثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه قال: نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه، وكان ممن ضرب المنذر ابن الزبير، وابنه محمد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، وخُبيب بن عبد الله بن الزبير، ومحمد بن عمار بن ياسر، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير: مَن رجلٌ نوجه إلى أخيك؟ قال: لا توجه إليه رجلاً أبداً أنكأ له مني، فأخرج لأهل الديوان عشرات، وخرج من موالي أهل المدينة ناس كثير، وتوجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة، فوجهه في مقدمته، فعسكر بالجرف، فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تغز مكة، واتق الله، ولا تُحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبر، هذا له بضع وستون سنة، وهو رجل لجوج، والله لئن لم تقتلوه ليموتن، فقال عمرو بن الزبير: والله لتقاتلنه ولتغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغيم، فقال مروان: والله إن ذلك

ليسؤني؛ فسار أنيس بن عمرو الأسلمي حتى نزل بذي طُوى، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه: بر يمين الخليفة، واجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً، واتق الله فإنك في بلد حرام.

قال ابن الزبير: موعدك المسجد، فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان الجمحي إلى أنيس بن عمرو قبل ذي طوى، وكان قد ضوى إلى عبد الله ابن صفوان قومٌ ممن نزل حول مكة. فقاتلوا أنيس بن عمرو، فهزم أنيس بن عمرو أقبح هزيمة، وتفرق عن عمرو جماعة أصحابه. فدخل دار علقمة، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجاره. ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال: إني قد أجِرْته، فقال: أتجير من حقوق الناس؟ هذا ما لا يصلح.

قال محمد بن عمر: فحدثت هذا الحديث محمد بن عبيد بن عمير فقال: أخبرني عمرو بن دينار، قال: كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد: أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير، وابعث معه أنيس بن عمرو؛ قال: فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا، ونزل أنيس بن عمرو بذي طوى، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس، ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير. فإذا انصرف شبك أصابعه في أصابعه. ولم يبق أحد من قريش إلا أتى عمرو بن الزبير، وقعد عبد الله بن صفوان فقال: ما لي لا أرى عبد الله بن صفوان؟ أما والله لئن سرت إليه ليعلمن أن بني جمح ومن ضوى إليه من غيرهم قليل. فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه، فحركته، فقال لعبد الله بن الزبير: إني أراك كأنك تريد البُقْيا على أخيك، فقال عبد الله: أنا أبقي عليه يا أبا صفوان؟ والله لو قدرت على عون الذر عليه لاستغنت بها عليه. فقال ابن صفوان: فأنا أكفيك أنيس بن عمرو،

فاكفني أخاك. قال ابن الزبير: نعم، فسار عبد الله بن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طوى، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكة وغيرهم من الأعوان، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه، وقتلوا مدبرهم، وأجهزوا على جريحهم، وسار معصب [مصعب][1] بن عبد الرحمن إلى عمرو، وتفرق عنه أصحابه حتى تخلص إلى عمرو بن الزبير. فقال عبيدة بن الزبير لعمرو: تعال أنا أجيرك، فجاء عبد الله بن الزبير، فقال: قد أجرت عمراً، فأجره لي، فأبى أن يجيره، وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة، وحبسه بسجن عارم.

قال الواقدي: قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزبير، وكتبت كل ذلك.

حدثني خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي الجهم، قال: لما قدم عمرو بن سعيد المدينة والياً، قدم من ذي القعدة سنة ستين، فولى عمرو بن الزبير شرطته، وقال: قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به في جامعة، فليبر يمين أمير المؤمنين، فإني أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برنُساً، ولا تُرى إلا أن يُسمع صوتُها، وقال:

خُذْها فليَستْ للعزيزِ بخُطَّةٍ
وفيها مقالٌ لامرئٍ مُتذَلِّلِ
أعامِرُ إنَّ القوْمَ ساموكَ خُطَّةً
ومالكَ في الجيران عذلُ مُعَذَّل

قال محمد: وحدثني رياح بن مسلم، عن أبيه، قال: بُعثَ إلى عبد الله بن الزبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شريح: لا تَغْزُ مكة

---

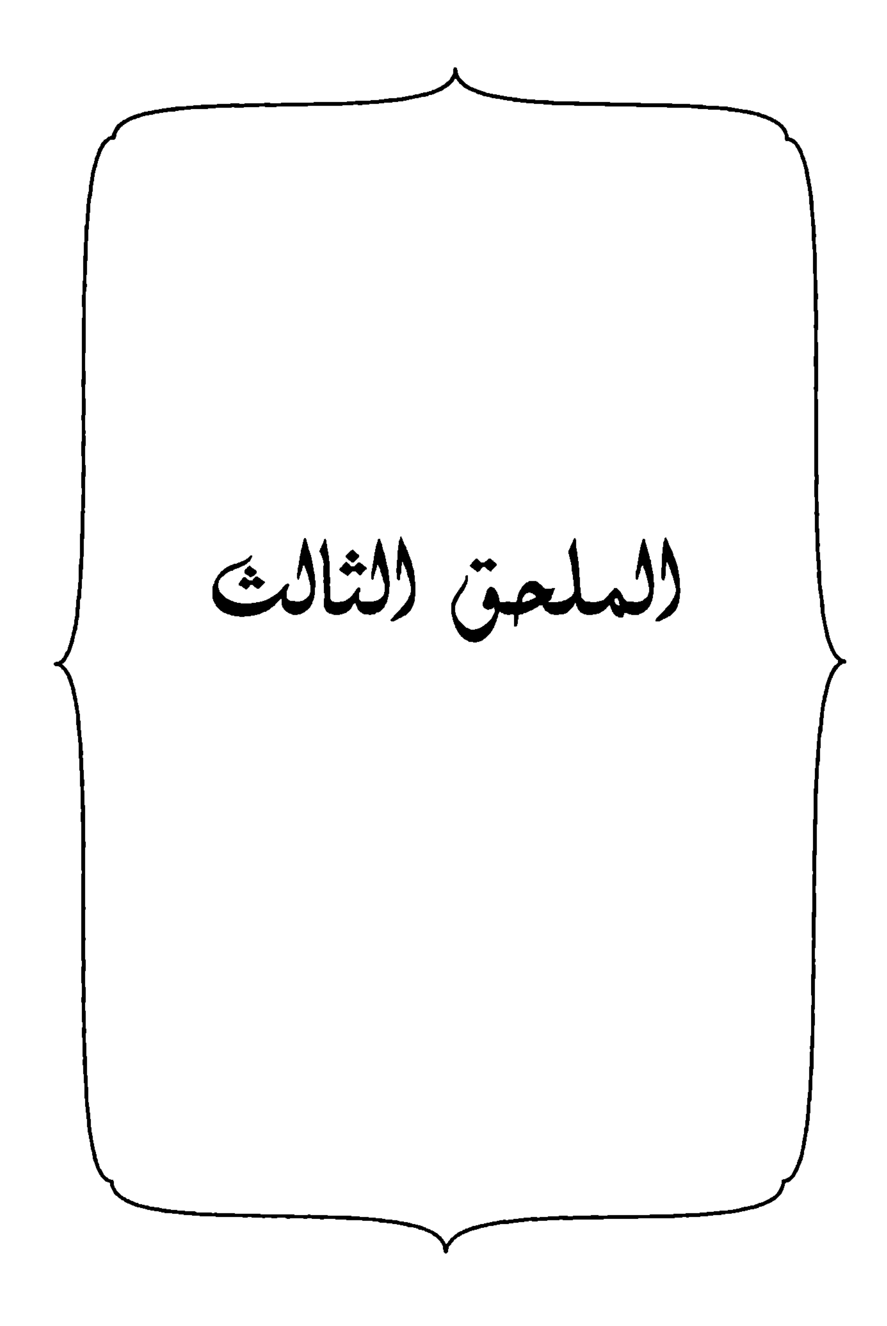
(1) تاريخ الطبري: طبعة بيروت 1998.

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«وإنما أذن الله لي في القتال بمكة ساعةً من نهار، ثم عادت كحُرْمتها»**؛ فأبى عمرو أن يسمع قوله، وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ؛ فبعث عمرو جيشاً مع عمرو ومعه أنيس بن عمرو الأسلمي، وزيد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام ـ وكانوا نحو ألفين ـ فقاتلهم أهل مكة، فقتل أنيس بن عمرو والمهاجر مولى القلمس في ناس كثير. وهُزم جيش عمرو، فجاء عبيدة بن الزبير، فقال لأخيه عمرو: أنت في ذمتي، وأنا لك جار، فانطلق به إلى عبد الله، فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدم الذي في وجهك يا خبيث؟ فقال عمرو:

لَسْنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا
ولكنْ على أقدامنا تَقَطُرُ الدما

فحبسه وأخفر عبيدة، وقال: أمرتك أن تجير هذا الفاسق المستحل لحرمات الله؛ ثم أقاد عمراً من كل من ضربه إلا المنذر وابنه، فإنهما أبيا أن يستقيدا، ومات تحت السياط، قال: وإنما سمي سجن عارم لعبد كان يقال له: زيد عارم، فسمي السجن به، وحبس ابن الزبير أخاه عمراً فيه.

قال الواقدي: حدثنا عبد الله بن أبي يحيى، عن أبيه، قال: كان مع أنيس بن عمرو ألفان.



الملحق الثالث

الملحق الثالث

رجع الحديث إلى عمار الدهني عن أبي جعفر، فحدثني زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي قال: حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري قال: حدثنا عمار الدهني قال: قلت لأبي جعفر، حدثني عن مقتل الحسين حتى كأني حضرته؛ قال: فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر؛ قال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهمَّ أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نُقتل؛ فقال: لا خير في الحياة بعدكم! فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وخلا كيلا يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الري وعهد إليه عهده فقال: اكفني هذا الرجل؛ قال: اعفني، فأبى أن يُعفيه، قال: فأنظرني الليلة، فأخره، فنظر في أمره فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمر به، فتوجه إليه عمر بن سعد، فلما أتاه قال له الحسين: اختر واحدة من ثلاث: إما أن تدعوني فأنصرف من حيث

جئتُ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور؛ فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي! فقال له الحسين: لا والله لا يكون ذلك أبداً، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم، وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته، وجاء سهم فأصاب إبناً معه في حجره، فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم أحكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، ثم أمر بحبرة فشققها، ثم لبسها وخرج بسيفه، فقاتل حتى قُتل صلوات الله عليه، قتله رجل من مذحج وحز رأسه، وانطلق به إلى عبيد الله وقال:

أَوْقِرْ ركابي فِضَّةً وذَهَبَا
فقد قَتَلْتُ المَلِكَ المُحجَّبا
قَتَلتُ خَيْرَ الناسِ أُمًّا وأَبَا
وخَيْرهُمْ إذ يُنْسبُونَ نَسبا

وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي، فجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول:

يُفَلِّقْنَ هاماً مِن رجالٍ أَعِزَّةٍ
علَينا وَهُمْ كانوا أعقَّ وأَظْلَمَا

فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيتُ فا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فيه يلثمه! وسرح عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين بن علي عليه السلام إلا غلام كان مريضاً مع النساء، فأمر به عبيد الله ليُقتل، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت: والله لا يُقتل حتى تقتلوني! فرقَّ لها، فتركه وكف عنه.

قال: فجهزهم وحملهم إلى يزيد، فلما قدموا عليه جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثم أدخلوهم، فهنأوه بالفتح، قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفة من بناتهم فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرج من دين الله، قال: فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كف عن هذا؛ ثم أدخلهم على عياله، فجهزهم وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها، واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النَّبيُّ لكمْ
ماذا فَعلْتمْ وأنتُمْ آخِرُ الأُمَمِ؟
بعترتي وبأهْلِي بعْدَ مُفْتَقَدِي
منهم أُسارَى وقَتْلَى ضُرِّجوا بِدَمِ
ما كان هذا جزائي إذ نَصحتُ لكم
أن تُخلفُوني بسوءٍ في ذوي رحِمِي!

حدثني الحسين بن نصر قال: حدثنا أبو ربيعة، قال: حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن قال: بلغنا أن الحسين عليه السلام... وحدثنا محمد بن عمار الرازي، قال: حدثنا سعيد بن سليمان؛ قال: حدثنا عباد بن العوام قال: حدثنا حصين، أن الحسين بن علي عليه السلام كتب إليه أهل الكوفة: إنه معك مائة ألف، فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فقدم الكوفة، فنزل دار هانئ بن عروة، فاجتمع إليه الناس، فأخبر ابن زياد بذلك. زاد الحسين بن نصر في حديثه: فأرسل إلى هانئ فأتاه، فقال: ألم أوقرك؟ ألم أكرمك؟ ألم أفعل بك؟ قال: بلى. قال: فما جزاء ذلك؟ قال: جزاؤه أن أمنعك؛ قال: تمنعني؟ قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمر فكتف ثم ضرب عنقه. فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ

ابن زياد ذلك، فأمر باب القصر فأغلق، وأمر منادياً فنادى: يا خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظن أنه في ملأ من الناس.

قال حصين: فحدثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرون في طريق يميناً ولا شمالاً إلا وذهبت منهم طائفة؛ الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك. قال: فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما ترى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقُلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قرب خمسين رجلاً. قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس رُبْعهم، فنهض إليهم قومٌ يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحةً ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا؛ فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارَّه، فقال له: إن مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إن مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغتسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك، فقال: اعقدا لي عقداً؛ فقالا: ما نملك ذاك؛ فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكتف ثم قال: هيه هيه يا ابن خلية ـ قال الحسين في حديثه: يا ابن كذا ـ جئت لتنزع سلطاني؟ ثم أمر به فضربت عنقه. قال حصين: فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب، فسألهم، فقالوا: لا والله ما ندري، غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج؛ قال: فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد، فلقيته الخيول بكربلاء، فنزل يناشدهم الله والإسلام؛ قال: وكان بعث إليه عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن

وحصين بن تميم، فناشدهم الحسين الله والإسلام أن يسيروه إلى أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، فقالوا: لا، إلا على حكم ابن زياد وكان فيمن بعث إليه الحر بن يزيد الحنظلي، ثم النهشلي على خيل، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم: ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم؟ والله لو سألك هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوه. فأبوا إلا على حكم ابن زياد، فصرف الحر وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم، ثم كر على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين، ثم قتل رحمة الله عليه.

وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجاً، فأقبل معه، وخرج إليه ابن أبي بحرية المرادي ورجلان آخران وعمرو بن الحجاج ومعن السلمي؛ قال الحصين: وقد رأيتهما.

قال الحصين: وحدثني سعد بن عبيدة، قال: إن أشياخاً من أهل الكوفة لوقوف على التل يبكون ويقولون «**اللهم أنزل نصرك، قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون فتنصرونه؟ قال: فأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد، قال: وإني لأنظر إليه وعليه جبة من برود، فلما كلمهم انصرف، فرماه رجل من بني تميم يقال له: عمر الطهوي بسهم، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلقاً في جبته، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه، وإني لأنظر إليهم، وإنهم لقريب ما مائة رجل، فبهم لصلب علي بن أبي طالب عليه السلام خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ورجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من بني كنانة حليف لهم، وابن عمر بن زياد**».

قال: وحدثني سعد بن عبيدة، قال: إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد، إذ أتاه رجل فسارَّه وقال له: قد بعث إليك ابن زياد

حويرية بن بدر التميمي، وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك؛ قال: فوثب إلى فرسه فركبه، ثم دعا سلاحه فلبسه، وإنه على فرسه، فنهض بالناس إليهم فقاتلوهم، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد، فوضع بين يديه، فجعل ينكت بقضيبه، ويقول: إن أبا عبد الله قد كان شمط، قال: وجيء بنسائه وبناته وأهله، وكان أحسن شيء صنعه أن أمر لهن بمنزل في مكان منعزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة. قال: فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر ـ أو ابن ابن جعفر ـ فأتيا رجلاً من طيئ فلجآ إليه، فضرب أعناقهما، وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد؛ قال: فهمَّ بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت.

قال: وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال: لما أُتي يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه، قال: رأيته يبكي، وقال: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا.

قال حصين: فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثةً، كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلُع الشمس حتى ترتفع.

قال: وحدثني العلاء بن أبي عاثة، قال: حدثني رأس الجالوت، عن أبيه قال: ما مررت بكربلاء إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان، قال: قلت: لِمَ؟ قال: كنا نتحدث أن ولد نبي مقتول في ذلك المكان؛ قال: وكنتُ أخاف أن أكون أنا، فلما قتل الحسين قلنا: هذا الذي كنا نتحدث. قال: وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد قال: حدثني علي بن

محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: قال الحسين: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة؛ فقدم للعراق فقُتل بنينوى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: قُتل الحسين بن علي عليه السلام في صفر سنة إحدى وستين وهو يومئذٍ ابن خمس وخمسين.

حدثني بذلك أفلح بن سعيد، عن أبي كعب القرظي، قال الحارث: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، عن أبي معشر، قال: قُتل الحسين لعشر خلون من المحرم. قال الواقدي: هذا أثبت.

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا عطاء بن مسلم، عمن أخبره، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، قال: أول رأس رُفع على خشبة رأس الحسين رضي الله عنه وصلى الله على روحه.

قال أبو مخنف: عن هشام بن الوليد، عمن شهد ذلك، قال: أقبل الحسين ابن علي بأهله من مكة ومحمد بن الحنفية بالمدينة؛ قال: فبلغه خبره وهو يتوضأ في طست؛ قال: فبكى حتى سمعت وكْفَ دموعه في الطست. وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية، قال: فأبى إلا أن يمضي.

الفهرست

الفصل الأول

المنطلق 28 رجب 60 هـ

الفصل الثاني

سفير الحسين إلى الكوفة 5 شوال 60هـ

الفصل الثالث

مسيرة كربلاء مكة ـ كربلاء (العراق) 8 ذو الحجة 60هـ

الفصل الرابع

عاشوراء مصرع الحسين في كربلاء 10 محرم 61 هـ

الفصل الخامس

سبايا أهل البيت الكوفة ـ الشام 12 محرم 61 هـ